

الكوكب الشاهق

فى

الفرق بين المريد الصادق
وغير الصادق

للإمام عبدالوهاب الشعرانى

تحقيق وتعليق ودراسة

دكتور

حسن محمد الشرقاوى

أستاذ الفلسفة الإسلامية

جامعة الاسكندرية

١٩٩١

دار المعارف



دار المعارف

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فتمنى

الأسكنه رية

الكوكب الشاهق

بسم الله الرحمن الرحيم

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ
رَبِّكَ بِسَجْنُونَ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمْ
الْمُفْتُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُوا
لَوْ تَذْهَنَ فَيَذْهَبُونَ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ *
هَذَا مَشَاءٌ بِذَنِّهِمْ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ .

صدق الله العظيم

(سورة القلم من ١ : ١٢)

مقدمة الطبعة الثانية

نفذت الطبعة الأولى من هذا المخطوط ، ولم أكن أحسب عند نشره أنه سيلقى هذا الإهتمام من القراء بعامة وأهل التصوف بخاصة ، فقد صور المؤلف مئات المرات بعد نفاذه وتبادلته القراء وطلب منى أن أغير طبعه مرارا وتعاقدت مع دار المعارف من سنوات ، ولكن لظروف خارجة عن إرادة الدار تأخر طبعه إلى أن تغيرت الظروف ووقفهم الله لإعادة طبعه مرة أخرى لينتفع به المسلمون .

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب عبارة عن الرابطة بين الشيخ والمريد وبالمفهوم العادى بين الأستاذ وتلميذه أو بين الطبيب المربى والسالك إلى الله ، وهناك نوع من القيم والمفاهيم والسلوكيات والأخلاقيات المتوارثة من علماء الأمة مأخوذة من الكتاب والسنة وأئمة الصوفية .

ولقد لاحظت أثناء تحقيقى لهذا الكتاب سبق الإمام الشعرانى فى ريادته «لعلم الإنسان الإجتماعى» الذى يسمى بعلم الانثروبولوجى الحديث ويزعمون أن مؤسسى هذا العلم هما إيفانز بريتشارد وراى كليف براون الانجليزى ، إلا أن هذا الكتاب يثبت بالحجج والأسانيد والأدلة على أن للشعرانى الفضل الأول فى هذا التخصص .

وعلاوة على ذلك فإن الانثروبولوجيا الحديثة قد غفلت عن جانب هام فى دراستها إذ اهتمت فحسب بالمعامل الظاهرى وغفلت عن المعامل الباطنى الذى أكدته الشعرانى فى دراسته فجمع بين المعاملين جمعا مفيدا طيبا لتصبح دراسته نظرية وذوقية ، وهذه دراسة متكاملة لم تحظ بها الانثروبولوجيا الحديثة فى جميع فروعها .

ان لدى المسلمين تراثا حضاريا عظيما مازال مدفونا فى دهااليز المكتبات العربية والإسلامية يحتاج إلى باحثين مهرة ومفكرين أكفاء

ليزيلوا عنه تراب النسيان وينفعوا به العامة والخاصة من الناس من مسلمين وغير مسلمين ...

ولقد حددت لنفسى هذه المهمة منذ أن عينت مدرسا بكلية الآداب وأخرجت بعض هذه الكنوز من مناجمها مثل علم النفس الإسلامى والأخلاق الإسلامية والتربية الإسلامية ، وتاريخ المسلمين فى العلوم الحياتية والمسخرة ، وفى الحكومة الباطنية والشريعة والحقيقة ، وغير ذلك كثير .

وما يزال هناك آلاف من المؤلفات للأئمة المسلمين لم تُبَحَثْ ولم تحقق إلى الآن ، ونحن فى أشد الحاجة إليها فى الوقت الراهن الذى نزمع فيه إنشاء مكتبة الاسكندرية ، ونرى أنه من الأهمية بمكان أن نبدأ فى تحقيق هذه المخطوطات المنتشرة فى أنحاء العالم دون إبطاء لتكون ركيزة المكتبة الاسكندرية فى التراث العربى والإسلامى ... والله ولى التوفيق .

المؤلف

حسن الشرفاوى

تصديرو

يعالج الشيخ عبدالوهاب الشعرانى ٩٧٢هـ فى هذا المخطوط الأخلاق التى يجب أن يكون عليها المريد فى الطريق الصوفى ، وما يتحلى به أهل الله من صدق وإيثار وتسامح وإخلاص وإحسان .

ويقرر أن الأخلاق فى عصره - القرن العاشر الهجرى - قد انحدرت عما كانت عليه فى العصور السابقة ، حتى أنه يرى أن أخلاق المريدين فى الأزمنة السابقة ، أضحت هى أخلاق مشايخ عصره ، وهذا نفس ما قرره الإمام أبوحامد الغزالى ٥٠٥هـ فى الاحياء ، وبرغم اختلاف مشايخ عصر كل من الغزالى والشعرانى ، فإنه يبدو أن الأخلاق تنحدر باستمرار كلما ابتعدت مع الزمن عن صدر الإسلام .

وواضح من دراسة مخطوط الكوكب الشاهق أنه اعتمد فى تأليفه على المسح الاجتماعى لشرائح من المجتمع الصوفى فى عصره ، فهى دراسة حقلية كان مجالها مدينة القاهرة إلا أنها مركزة على فئة محددة ، إذ تنصب على دراسة المريدين والمشايخ فى الطريق .

وكان الشعرانى قد سبق عصره بقرون عندما استخدم الطريقة العلمية فى الدراسة وهو ما يعرف الآن بالانثروبولوجيا أو علم الإنسان الاجتماعى ، والتى تنصب دراستها وتضع جل اهتمامها على دراسة المجتمعات الصغيرة والبسيطة والمحدودة دراسة تحليلية وموضوعية يقصد منها الوصول إلى نظرية متكاملة تفسر المجتمع المدروس .

وقد قام الشعرانى بوضع فرض حاول امتحان صدقه من كذبه مفاده أن أخلاق المريدين فى الزمن الماضى (على عصره) سارت أخلاق الأندياخ فى زمانه .

واعتمد الشعراى فى جمع معلوماته عن طريق اللقاءات المستمرة بأهل الطريق مستخدماً فى ذلك الملاحظة المباشرة وغير المباشرة ، تلقاها كما يقول^(١) عن نحو مائة شيخ مما أدركهم فى أوائل القرن العاشر فى مصر وقراها ، بعضها شاهده من أفعالهم وبعضها اقتبسه من نور أخلاقهم .

ومما هو جدير بالذكر أن الشعراى قد وقف على أحوال الصوفية فى عصره وتعرف على مشاربهم ، وتذوق مواجيدهم ، وتقهم رموزهم وإشاراتهم وإصطلاحاتهم وتعبيراتهم ، والتمس دقائهم ورقائهم ولطائفهم ، وعاین مجالسهم ، فتكشف له بذلك صادقهم من كاذبهم .

وأما السبب الرئيسى فى إهتمام الشعراى بهذه الدراسة الفريدة والتى يورد فى مؤلفه أنه لم يجد أحد قد اعتنى بشئ منها ، يرجع إلى خوفه من أن تدرس أخلاق الصوفية باندراس تلاميذهم ثم يقول : فوضعتها فى هذا الطروس لينفع الله بها من يشاء^(٢) .

ولا نظن أنه من قبيل الصدفة أن يكون هدف الدراسات الانثروبولوجية الحديثة هو نفس الهدف الذى أذاعه الشعراى قبل عدة قرون ، فالدراسات الانثروبولوجية الحديثة تعلن دائماً أنها تهتم بدراسة المجتمعات الصغيرة والبسيطة أو ما تسميه بالمجتمعات البدائية أو المتخلفة ، خوفاً من ضياع معالمها ، وإندثارها نتيجة للتقدم التكنولوجى والعمرانى وما يستتبع ذلك من تغيير فى البناء والوظائف الإجتماعية الأمر الذى يفقد التقاليد المرعية وجودها ، ومن ثم العادات والشعائر والآداب وأخلاقيات الجماعة .

(١) من المخطوط .

(٢) من المخطوط .

ومما يؤكد على صدق ما استخلصناه من أن الشعراني يعد من رواد الانثروبولوجيا الحديثة أنه قد اتبع في دراسته نفس المنهج العلمى الذى يتبعه ، علماء الانثروبولوجيا فى دراساتهم العقلية والمسحية ، فهو لا يأتوا جهلاً فى فحص وتسحيص ما يسمعه ويلقاه ويشاهده أو ينقل إليه ، ويعتمد على موازين دقيقة فى إصدار الحكم على الأحداث والوقائع والمشاهدات وهو فى ذلك يقول :

«وهى كالسيف القاطع لعنق كل من يدعى الصلاح فى هذا الزمان بغير حق لأنها تغسله وتسلخه من طريق الصلاح كما تنسلخ الحية من جلدها ، ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمى ومقامى»^(١) .

وقد اهتم الشعرانى بالدراسة المقارنة كما اهتمت الدراسات الانثروبولوجية الحديثة من بعده بالدراسات المقارنة بين المجتمعات البسيطة ، بغية الوصول إلى نظرية متكاملة تفسر الحياة فى تلك المجتمعات .

لذلك نجد الشعرانى يعقد مقارنة بين المجتمع المدرس وهو موضوع تحقيقنا وبين مجتمع آخر أدركه الشعرانى فى أوائل القرن العاشر وأخرج لنا ثمرة هذه الدراسة فى مؤلف آخر أسماه «تنبيه المغترين»^(٢) ويحوى الكتاب على دراسة مائة وستة وثلاثون خلقاً إستخلصها الشعرانى من أخلاقيات الصوفية مما أسماهم بالسلف الصالح ، وأوضح أن هذه الأخلاق تميزهم عن غيرهم إذ هى صفات ملازمة لهم وأوصاف لأشخاصهم .

(١) ص ١ من المخطوط .

(٢) مطبوع نشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، وبهامش كتاب الكشف والتبيين للإمام

وأوضح الشعراني في دراسته لمجتمع السلف الصالح في كتابه «تنبيه المغتربين» ودراسته للمجتمع الصوفي في مصر في عصره «الكوكب الشاهق» ، أن المؤلفين يتبعان منهجاً واحداً في الدراسة وكأن أحدهما يكمل الآخر إذ يستخدم الشعراني طريقة واحدة في العرض وأسلوباً متماثلاً في تصنيف موضوعات كل من الكتابين فيبدأ كل موضوع بقوله «ومن أخلاقهم» ، وهذا لا نجده في بقية كتبه ومؤلفاته وتصانيفه^(١) .

وربما يكون الفارق الظاهر بين الكوكب الشاهق ، وتنبيه المغتربين أن الأخير يركز إهتمامه فيه على السمات الأخلاقية في السلف الصالح ويعرضها مسهباً ، بينما يهتم بالتركيز في الكوكب الشاهق على إنحدار الأخلاق في مريدى عصره مع عقد مقارنة في كل موضوع بين تلكم الأخلاق والكمالات الأخلاقية التي كانت عند السلف الصالح من الصوفية قبل زمنه .

وهناك فارق آخر بين المؤلفين إذ يفتتح الكوكب الشاهق بقول الشعراني أنه قصد في تأليفه كشف المريد غير الصادق وإظهار كذب من يدعى الصالح في عصره ، بينما أراد من تأليف تنبيه المغتربين الاقتداء بالسلف الصالح والتخلق بأخلاقهم وأنه بدأ بنفسه أولاً ولولا ذلك ما ألف هذا الكتاب .

وعلى العموم فإن المؤلفين يمالجان نفس الموضوع وهي الأخلاق التي يتوجب أن يكون عليها الصوفي وأن يتسم بها سالوكه وأفعاله وأعماله جميعاً ، وعلى هذا يمكن القول بأن المؤلفين يكمل بعضهما

(١) مطبوع نشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بهامش كتاب الكشف والتبيين للإمام الغزالي .

بعضاً مع وجود اشتراك فى بعض الأحيان فى المعنى وهذا يقطع الشك باليقين فى أن المؤلفين للشعرانى .

وفى هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، يحاول الشعرانى أن يصف وصفا دقيقا حال المجتمع الصوفى بجميع أبعاده دون أن يضيف إليه من عنده صورا جمالية أو يتدخل تدخلا ذاتيا يشوه حقيقة الواقع ، ولهذا فاننا نرى أنها دراسة موضوعية لهذا المجتمع ، قد اتبع فيها المنهج العلمى الحديث من حيث إتباعه أسلوب الملاحظة المباشرة وغير المباشرة وإستخدامه للاستقراء العلمى فقد درس أكثر من مائة مرید - كما سبق القول - اختارهم من المجتمع الصوفى كعينات عشوائية ممثلة ، ثم عقد مقارنة بين النتائج التى توصل إليها فى دراسته لصوفية عصره وبين السلف الصالح ، حتى أكد على صدق الغرض الذى وضعه أول الدراسة وهو أن الأخلاق الصوفية قد انحدرت فى عصره ودل على ذلك بالأمثلة والشواهد والواقع الماثل أمامه .

والحقيقة أن دراسة الشعرانى للمجتمع الصوفى فى عصره وما توصل إليه من نتائج تؤكد انحدار الأخلاق ، قد عززتها كتب التاريخ وما أرخه المؤرخون لهذا العصر الذى حكم فيه المماليك مصر ثم أذن مع بداية القرن العاشر الهجرى للرحيل ليستقبل حكم العثمانيين ، وقد سبق ذلك الظلم والجهل والفقر والمرض والفساد ، وعمت الفوضى أرجاء البلاد ، واضطرب الأمن ، وجنحت أداة الحكم للانحلال وبدأت مصر كأنها قد اعتزلت العالم إذ وافق ما تعانيه من ضنك أكتشاف رأس الرجاء الصالح الأمر الذى أزداد فى عزلتها .

ولم يكن حكم العثمانيين لمصر بأفضل من حكم المماليك لها ، فقد أفقدوها خلافة المسلمين ، وضيعوا عليها زعامتها على دولهم «وعملوا على ارهاقها بالسلب والنهب والمغانم ، وفرض الضرائب الجائرة ،

واغتصاب الخراج عنوة ، كما نقلوا خيرة صناعاتها إلى الاستانة ،
وأهملوا الزراعة ، واخلفوا سنة الممالك فى رعاية العلم الا مالا يكاد
يتجاوز علوم الدين النقلية ، ففسدت الحياة واستشرى الجهل بين
الناس (١) .

وفى هذا الجو المشحون بالظلم والفساد نشأ عبدالوهاب
الشعرانى ٨٩٨ - ٩٧٣ هـ .

وقد سحب الشعرانى الممالك حتى بلغ الخامسة والعشرين من
عمره ، قضى فى صحبة الحكم العثمانى خمسين عاما طوالا إرتبط
بالام مجتمعه وبيئته وأخوانه .

وقد تلقى العلم عن صفوة من علماء عصره من رجال الشرع
وأرباب التصوف وكأنه جمع فيضا من المعلومات لترتد فيضا من
الكتب والمؤلفات التى فى شتى العلوم والفنون فانه بمثابة روح
عصره (٢) .

ولقد كان من بين المؤلفات العديدة التى ألفها الشعرانى هذا
المخطوط الذى يترجم ترجمة صادقة مجتمع الصوفية ، ويبين إلى أى
حد انحدرت الأخلاق فى عصره فيما يتعلق بالمتصوفين أهل الله ،
فكيف يكون - والحال هذه - عامة الناس الذين لا يميلون إلى التدين
أو التمسك بأهدابه .

وفى مقدمة المخطوط يوضح لنا الشعرانى سبب تأليفه فيقول :

«وقد سميت هذا الكتاب بمنهج الصدق والتحقيق فى تفليس غالب
المدعين للطريق» ولكنه يذكر بعد ذلك أن هدفه من الكتاب هو إظهار

(١) توفيق الطويل : أعلام الإسلام - الشعرانى ، دائرة المعارف الإسلامية ص ٥ وما بعدها .

(٢) الترجمة لـ : دائرة المعارف الإسلامية ص ٦ وما بعدها .

المريد الصادق من غير الصادق ، وعلى كل حال فإن الهدف فى العنوانين واحد إذ أن كشف المريد غير الصادق وهو سمة عصره إنما يوضح تفليس غالب المدعين للطريق .

وفى ثنايا الكتاب إشارات عديدة لمدعى الولاية فى عصره ، فقد انتشر المشايخ فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها والذين يرثون المشيخة كما يورث المال والمتاع وانحرف الكثير منهم عن طريق أهل الله وخرجوا على آداب الطريق أما لجهلهم وأما لفسقهم كما يورد الشعرانى فى مؤلفه .

وينتقد الشعرانى هذا الأسلوب فى وراثة المشيخة فيورد على لسانه قول شيخه محمد الشرولى الذى جاء فيها :

« لا تتعبوا أنفسكم فى تسليك المتمشixin بالآباء والجدود ، إلا أن ينسلخوا من جميع الدعاوى فإن أحدهم يفتح عينيه على تعظيم جماعة والده له فيقول : «قد صرت شيخا كوالدى» .

ولقد عالجت فى تحقيقى للمخطوط الموضوعات التى بحثها المؤلف وقد ذيلت بحثى بفهرست يشتمل عليها وأعطيت لكل موضوع رقما وضعته بين قوسين هكذا () .

هذا وقد أعددت ثبوتا للأسماء والأعلام الواردة فى المخطوط مرتبا ترتيبا ابجديا وزيلت التحقيق بالمراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فى تحقيق هذا المخطوط .

سيرة الشعراني ،

تتصل سلسلة نسب عبدالوهاب الشعراني^(١) إلى الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وينحدر عن قبيلة زغلة من أعمال المغرب العربي ، أما جد الشعراني فهو أبو عبدالله أحمد الزغلي سلطان تلمسان بالمغرب ، وقد تصوف ابنه موسى أبو العمران وأثر التصوف على السلطنة وأخذ الطريق على يد الإمام أبي مدين التلمساني الذي أرسله إلى صعيد مصر لتكتمل تربيته حيث مات هناك عام ٧٠٧هـ ، وكان ابنه أحمد والد الشعراني بصحبته مهاجرا بعد موت والده إلى ساقية أبي شعرة وهي قرية بالمنوفية تجاه النيل وإليها ينتسب الشعراني ، وقد كان على حظ كبير من العلم الذي شاع في عصره وقد طلب إلى جلال الدين السيوطي أن يجيز ابنه عبدالوهاب فأجازه وهو مازال في غضون العاشرة من عمره وألبسه خرقة الصوفية في روضة المقياس بالقاهرة وهو ولا يزال صبياً . وقد توفي أحمد والد عبدالوهاب عام سبع وتسعمائة للهجرة ودفن مع والده في زاويته بساقية أبي شعرة .

وقد كفل عبدالوهاب أخوه عبدالقادر + ٨٥٦هـ وكان ورعاً منصرفاً عن الدنيا متزهداً فيها مشغولاً بخدمة المحتاجين والمعوزين . أما ميلاده فقد كان عام ٧٩٨هـ بقرية قلقشندة ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية أبيه وإليها اشتهر باسمه الشعراني أو الشعراوي .

(١) ورد عن المناوي أنه ولد ٢٧ رمضان ٧٩٨هـ وكذلك على مبارك والمستشرق شاخت ويقول د. توفيق الطويل في كتابه أعلام الإسلام عن الشعراني أنه لا صحة لما جاء في المناقب الكبرى وغيرها مما يحالف ذلك فيما يتعلق بميلاده .

وقد غادر قريته إلى القاهرة طلباً للعلم حيث استفاد من كثرة من شيوخ القاهرة وأقام بالجامع الأزهر ملازماً لشيخه وأستاذه نور الدين الشونى + ٩٤٠هـ . نحو خمس سنين ثم غادر الأزهر إلى الجامع الغمري عام ٩١٩هـ ولبث به سبعة عشر عاماً . ثم تحول بعدها إلى مدرسة أم خوند حيث اشتهر شهرة كبيرة .

وفى هذه الفترة اتصل بأساتذة العلم منهم جلال الدين السيوطى وزكريا الأنصارى وناصر الدين اللقانى والسمنودى وغيرهم كثير .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والتزم القيام بالفرائض وهو ابن ثمان ويقول دكتور توفيق الطويل عنه فى ترجمته^(١) «أنه كان يتلو القرآن كله فى الركعة الواحدة قبل أن يبلغ سن الرشد وأنه كان معصوماً من آفات عصره ، ويعلق على ذلك بقوله : «إلى آخر ما يرويه عن نفسه ، مما يبدو إغراقاً لا يساغ فى رأى العقل» .

والشعرانى مؤلفات عديدة فى شتى العلوم والفنون مما يدل على الامام الواسع بعلوم عصره والأحاطة التامة بما وقع له من كتب البارزين من أهلها من القدامى والمعاصرين ، فقد كتب فى التصوف والفقه والتفسير والحديث والسير واللغة والقواعد والأصول .. وغيرها ..^(٢) .

عاش الشعرانى ٧٥ عاماً وقد ذكر أنه خلف فيها ثلاثمائة كتاب فى النحو والطب والفقه والتفسير والتصوف وغيره .. بعضها فى خمسة مجلدات فإذا أسقطنا فترة الصبا من عمره فإنه يكون قد كتب أكثر من خمسة كتب فى العام الواحد وهذا شئ كثير يدعو إلى الدهشة والعجب .

(١) د. توفيق الطويل : الشعرانى ، اعلام الإسلام - دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠ وما بعدها .

استقى الشعرانى علمه من خيرة من عرف فى عصره ونزع إلى مزاوله التصوف قبل أن يسلك على أرباب الطريق ، فراض نفسه على احتمال المكاره ، وعانى فى كبح شهواته ورد رغباته حتى عن الحلال المباح ، وأسرف فى ذكر الله حتى علق فى سقف خلوته حبلا يطوق عنقه متى جلس منذ العشاء حتى مطلع الفجر مدة سبع سنين - ليأمن سنوات النوم وغفلاته ، فانه أن غالبه النعاس أنزل الماء البارد بثيابه أو ضرب بالسياط أفخاذه^(١) .

وقد لزم الزهد فى مأكله وملبسه واتصاله بالناس واشتد فى محاسبة نفسه ، وطعم التراب شهريين ، وقيل أن حالة قد اشتد به ذات يوم فصاح باسم «الله» صيحة ارتجت لها جدران المسجد ، وكاد يتصدع منها بيت الشيخ أبى الحسن الغمرى + ٩٣٩هـ وكان قريبا منه .

ولقد كان للشعرانى زاوية يتعبد فيها أقامها له القاضى الارزبكى ، أصبحت رباطا للعباد ، ومدرسة لطلب العلم ، وملتصبا للمتجهدين ومسجداً للصلاة وتكية للفقراء ، وقد حبس عليها الأوقاف ، وأجرى عليها الأرزاق ، وعين لها القراء والأئمة والخطباء ، فضلا عن المؤذنين، واستطارت سمعة الشعرانى حتى بلغت الآفاق فتسابق أهل السعة واليسار بالعطايا والهدايا والهبات والأوقاف يخصوه بها ، واجتذبت شهرته آلاف المريدين والذى استقر مئات منهم فى رحاب الزاوية منهم المبصر والكفيف ، حيث أقاموا طاعمين لا يتحملون نفقات معيشتهم وقد أعد لهم فى كل صباح ما يحتاجون إليه من غذاء .

يقول د. توفيق الطويل فى وصف زاوية الشعرانى^(٢) وهو يترجم له :

(١) لطائف المنن ج ١ ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) أعلام الإسلام - الشعرانى ، ص ٣٥ ، وما بعدها .

«فقد كان الشعرانى أوسع أهل عصره علما وأرسخهم فى التصوف قدما . فكان طبيعيا ما تحدث عنه مؤرخوه من شهرة زاويته بمزاولة العلم المعروف فى عصره ، ومباشرة العبادات على اختلاف صورها ، وقد فاخر الشعرانى بأن الذين يقرعون القرآن والحديث فى زاويته يواصلون القراءة ليلا ونهارا فلا يفرغ قارئ من القراءة فى التصوف ، ولا ينتهى هذا حتى يليه قارئ آخر فى كتب الفقه وهكذا سحابة النهار وطيلة الليل من غير انقطاع» .

ويورد د. توفيق الطويل نقلا عن مؤرخى عصره من أمثال المناوى والشبلى وصاحب طبقات الشاذلية قولهم بأن الناس كانوا يسمعون لزاويته دويا كدوى النحل ليلا ونهارا ، ما بين ذاكر وقارئ ومجتهد ومطالع فى الكتب ونحو ذلك .

ويعلق د. الطويل بقوله : «هكذا نرى أن زاوية الشعرانى كانت تحفل بالقراء فى الفقه والحديث والنحو وما إليها من أدوات العلوم الشرعية واكتظت بالقراء فى التصوف والمقيمين على ذكر الله أو قراءة الحزب ونحوه ، مما حمل أهل الفضل فى عصره على أن يصرحوا بأنهم لم يروا فى مشارق الأرض ومغاربها خيرا من زاويته علما وفضلا وتصوف وأدبا» .

غاص الشعرانى فى بحر العلم اللدنى العميق القاع وهو لا يقوم إلا على الكشف الصحيح والتعريف الالهى ولا يتصل بالفكر والنظر فى كثير ولا قليل ويقول الشعرانى فى لطائف المنن^(١) أنه قد غطس فى هذا البحر خمس مرات فلما هم بالسادسة استحال البحر حجرا وقد وجد فى كل مرة غاص فيها صعيدا من خزائن العلم اللدنى ، ولم يكن الشعرانى يكشف عن جميع ما اهتدى إليه من علم الباطن خوفا من الفتنة وتهيبا من خصومه من علماء الظاهر .

(١) المنقب الكبرى ٥٤ ، ٥٨ .

شيوخه :

للشعرانى أشياخ تتلمذ عليهم وأخلص فى خدمتهم وتآدب بأدابهم ويذكر لنا فى الطبقات الكبرى هؤلاء المشايخ بشئ من التمجيد والاعزاز .

الشيخ نورالدين الشونى - ٩٤٤هـ :

يقول عنه الشعرانى^(١) : هو شيخى ووالدى وقد وفى الشيخ نورالدين الشونى وهو أطول أشياخى خدمة ، خدمته خمسا وثلاثين سنة لم يتغير على يوما واحدا ، وقد داوم الشعرانى على حضور مجلس الشيخ الشونى نحو سبع سنين بعدها إذن له فى ترتيب مجلس خاص به ويقول الشعرانى أن مجلسه لم ينقطع إلى هذا الوقت .. ويروى الشعرانى عن شيخه أنه كان يرى بعرفات فى الموقف مرارا لا تحصى وهو مقيم بمصر لم يغادرها ، وأنه كان ينكر على من يقول له ذلك ، ويروى الشعرانى عن شيخه الشونى مناقب كثيرة وكان يمنى النفس أن يفردها فى كتاب إلا أن المنية عاجلته قبل أن يحقق ذلك .

الشيخ على الخواص^(٢) :

«يقول عنه الشعرانى هو شيخى وأستاذى سيدى على الخواص البرلسى رضى الله عنه ورحمة ، وكان أميا لا يكتب ولا يقرأ إلا أنه يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير فيه العلماء» ، ويذكر الشعرانى أن الشيخ على الخواص إذا قال قولا لا بد أن يقع ، وكان يعرف حاجة المريد قبل أن يتكلم ولا يرده خائبا وله طب غريب ، كما يقول الشعرانى يوصف للاستسقاء والجذام والفالج

(١) الطبقات الكبرى - الجزء الثانى ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٢) المناقب الكبرى - الجزء الثانى ، ص ١٣٥ وما بعدها .

والأمراض المزمنة وكل شيء يشيخ باستعماله يكره فيه الشفاء . وروى
الشعراني أن الخواص كان له اطلاع كبير على قلب القرآن .

وقد حجببه الشعراني أكثر من عشر سنين يقول عنها «فكانها
ساعة» ويذكر محاسن الخواص فيقول «وله كلام نفيس رقمنا غالبه في
كتابنا المسى بالجواهر والدرر»^(١) . وقد ذكر مناقبه وكراماته ومحاسنه
في أكثر من سبعة عشرة صفحة في كتابه الطبقات الكبرى .

ويوضح د . توفيق الطويل^(٢) أسباب اتصال الشعراني بأستاذ
الخواص فيقول أن الشعراني استشار أصحابه وشيوخه ممن يأخذ
عنهم طريق التصوف فأرشدوه إلى الشيخ على الخواص الذي اشتهر
عنه الاجتماع برسول الله ﷺ أبان يقطته ، حتى يتسنى له أن يأخذ
عنه علم ما يجهل ، وقد عرف عن الخواص أنه كان يفيض في الحديث
عن علوم فيما يجهله كبار العلماء في عصره ، وقد سلك الشعراني
على يديه الطريق .

يقول الشعراني انه لما اجتمع بالخواص أول اجتماع أشار عليه
أن يبيع كتبه وينفق ثمنها أحسانا على المعوزين ، فاستجاب لمطلبه ،
لكنه كان يحسن إليها فأشار عليه شيخه بالاستعاضة عنها بالتجرد لذكر
الله حتى هيا الله له سبيل الخلاص من همها .

وطلب إليه الشيخ الخواص أن يعتزل الناس وأن لا يشغله دون الله
فأقام على ذلك بضعة أشهر ثم أمره بالزهد في لذات الطعام
فانصاع لأمره ، حتى وجد أن العلوم الوهبية تزاحم العلوم النقلية في
نفسه ، فنصحته بالتوجه إلى الله وفي التماس الأدلة الشرعية ، فلما
أطلعه الله على علوم الباطن ومحي العلوم النقلية من لوح قلبه ، أقبلت
عليه العلوم الوهبية .

(١) ذكره صاحب معجم المؤلفين وكذلك الزركلي في الاعلام .

(٢) اعلام الإسلام - ص ٤٧ وما بعدها .

الشيخ على نورالدين المرصفي :

أشار إليه في كثير من كتبه ، وقد اعتبره الناس جنيد عصره ، وذكر أنه لم ينهض بتربية المريدين إلا بعد أن أذن الله له على لسان رسوله ﷺ . وقد لقن الشعراني الذكر ويقول في ذلك في الطبقات الكبرى^(١) :

«تلقنت عليه الذكر ثلاث مرات متفرقات أول مرة وأنا شاب أمرد فقلت لقنى الذكر فأطرق ساعة ، ثم قال لا إله إلا الله فما أتمها إلا وقد غبت عن احساسى ، وما أفقت إلا عند المغرب ولم أجد أحدا ، وظللت مطرودا خمسة عشر يوما لا أستطيع الاجتماع به لسوء أدبى معه ، لقولى له : لقنى الذكر بحال قوى ، ثم لقنه الثانية والثالثة بحال قوى» .

يقول عنه : كان من الأئمة الراسخين فى العلم وله المؤلفات النافعة فى الطريق واختصر رسالة القشيري . كان إذا تكلم فى دقائق الطريق وحضر أحد القضاة ينقل الحديث إلى مسائل الفقه حتى يقوم ، وكان يرى أن ذكر الكلام بين غير أهله عورة .

وقد أوصى المرصفي تلميذه الشعراني ألا يسكن فى جامع أو زاوية لها وقف ومستحقون ولا يسكن إلا فى المواضع المهجورة التى لا وقف لها ، لأن الفقراء لا ينبغى لهم أن يعاشروا إلا من كان من حزمهم وعشرة الضد تكدر نفوسهم .

وقد توفى المرصفي سنة نيف وثلاثين وتسعمائة بزاويته بقنطرة الأمير حسن بالقاهرة .

(١) الطبقات الكبرى - الجزء الثانى . ص ١١٦ .

الشيخ محمد الشناوى نم ٩٣٢ هـ .

أخذ الشعرانى العهد ولبس الخرقة على يديه ، وأجازه فى تربية المريدين فى «حضره جمع من الناس فى ليلة وفاته فأقبل على الشعرانى الناس يلتمسون منه تلقينهم الذكر وأن يأخذ فى تربيتهم فاستشار شيخه الخواص فى ذلك فأبى عليه ذلك .

الشيخ محمد ابن أخت مدين :

معاصر للشعرانى وقد أخذ عنه واشتهر باسم ابن عبدالدايم المدينى ، وكانت له مجاهدات رائعة وظهر صدقه مع تلامذته وقد تخرج على يديه الشيخ محمد الحماثل السورى ، والشيخ نورالدين الحسنى بن عمن النزال ، والشيخ نورالدين المرحضى الذى سبق الإشارة إليه . وكان رضى الله عنه ذا همة ومظهره بهى نظيف وأقبل عليه القوم كما ورد عن الشعرانى فى طبقاته الكبرى إلا أنه طردهم عن طريق القلب ، وصار يخرج وحده إلى السوق ليشتري حاجاته بنفسه ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن توفى ودفن بجوار سيدي مدين رضى الله عنه .

زهيد الشعرانى :

قد سبق الإشارة فى سيرته عن ورعه وبعده عن الناس وتشفه فى المأكول والمشرب حتى طعم التراب ، ويروى أن الدفتر دار أحمد قدم إليه مبلغا من المال جهرا فرفضه الشعرانى ، فبعث به مرة أخرى عن طريق أحد مماليكه خفية عن الأنظار فقال الشعرانى للمملوك :

«كيف أقبله منك وقد رفضته من مولاك» وانطلق المملوك مشدوها يشيد بزهد هذا الرجل الغريب من فقراء مصر» (١) .

(١) المناقب ، ص ١١٥ .

وقدم المباشرون للشعراني الذهب والفضة في جامع الغمري
فألقاها في صحن المسجد على مرأى منهم حتى تهافت للانقاطها
المجاورون^(١) .

لقد كان يؤمن الشعراني كل الإيمان أن الهدايا والعطايا والهبات
التي يمن بها أهل السعة تفسد حال المجاورين فضلا عن أنها مجلبة
للاستدانة والجهر بالشكوى فأنها تعرض أهل الطريق للرياء والانفاق
والذلة أمام هؤلاء المحسنين .

ويؤكد الشعراني في صراحة أنه إنما يستمد هذا الفيض من
الخيرات مما يمن الله به ومما يفتح به الله عليه ، ولا يدخل في ذلك
الفتح الألهي مما يفيض به المحسنون من أوقاف وأرزاق ، ويكفي لأهل
الطريق الاخلاص في عبادة الله والانقطاع لذكره ليكون ذلك بابا
مفتوحا للرزق من حيث لا يحتسبون .

كتبه :

كثيرة ومتعددة في أنواع من العلوم ، يذكر منها صاحب معجم
المؤلفين^(٢) :

١ - الجواهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار
والعلوم .

٢ - الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة .

٣ - لواقح الأنوار في طبقات الاخيار (ويعرف باسم طبقات الشعراني
الكبرى) .

٤ - المقدمة النحوية في علم العربية .

(١) المرجع السابق .

(٢) معجم المؤلفين - محمد رضا كحالة ج ٦ ص ٢١٩ .

- ٥ - شرح جمع الجوامع للسبكي فى أصول الفقه .
ويضيف الزركلى^(١) إلى تصانيفه الكثيرة :
- ٦ - أدب القضاة - مخطوط .
- ٧ - الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية - مخطوط .
- ٨ - أرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين - مخطوط .
- ٩ - الأنوار القدسية فى معرفة آداب العبودية - مطبوع .
- ١٠ - البحر المزود فى الموائيق والعهود - مطبوع .
- ١١ - البدر المنير - مطبوع .
- ١٢ - بهجة النفوس والأسماع والاحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق - مخطوط بخطه .
- ١٣ - تنبيه المغترين فى آداب الدين - مطبوع .
- ١٤ - تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ما خالفوا سلفهم الطاهر - مطبوع .
- ١٥ - الجواهر والدرر الكبرى - مطبوع .
- ١٦ - الجواهر والدرر الوسطى - مطبوع .
- ١٧ - حقوق أخوة الإسلام (فى الواعظ) مخطوط .
- ١٨ - درر الخواص (من فتاوى الشيخ على الخواص) مطبوع .
- ١٩ - ذيل لواقح الأنوار (جزء صغير) مخطوط .
- ٢٠ - القواعد الكشفية فى الصفات الالهية - مخطوط .
- ٢١ - الكبريت الأحمر فى علوم الشيخ الأكبر - مطبوع .
- ٢٢ - كشف الغمة عن جميع الأمة - مطبوع .
- ٢٣ - لطائف المنن (يعرف بالمنن الكبرى) مطبوع .

(١) الاعلام - الزركلى ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

- ٢٤ - لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية - مطبوع .
- ٢٥ - مختصر تذكرة السويرى (فى الطب) مطبوع .
- ٢٦ - مستدرك تذكرة القرطابى (مواظ) .
- ٢٧ - مدارك السالكين فى رسوم طريق العارفين - مطبوع .
- ٢٨ - مشارق الأنوار - مطبوع .
- ٢٩ - المنح السنية - مطبوع .
- ٣٠ - شرح ونسبة المتبولى .
- ٣١ - منح المنة فى التلبس بالسنة - مطبوع .
- ٣٢ - الميزان الكبرى .
- ٣٣ - اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر - مطبوع .

ويذكر بروكلمان^(١) أن للشعرانى أكثر من ستين كتابا توجد اليوم نسخا منها مخطوطة أو مطبوعة فى دور الكتب فى أرجاء العالم - لكن ما عثر عليه حتى الآن لا يزيد على أربعة وثلاثين كتابا مطبوعا ومخطوطا - وقد تضمنت كما يورد بروكلمان فيضا من المعاومات يشهد بقوة ذاكرة الشعرانى وقدرته على استيعاب ما يقرأ أو ما يسمع .

وصف المخطوط ،

ليس هناك أحصاء دقيق لمؤلفات الشعرانى ، لكن الكتب المنسوبة إليه والتي أفردت الفهارس المختلفة لها بعض صفحاتها تربو على ثلاثة وثلاثين كتابا ليس بينها هذا المخطوط الذى بين أيدينا الآن .

فقد أحصى بروكلمان كتبه فوجدها أكثر من ستين كتابا ، وأما على مبارك فانه يقرر أن مؤلفاته قد بلغت السبعين ، وقيل أنه خلف ثلاثمائة كتاب تناولت الطب والنحو والتفسير والفقه والتصوف وغيره .

(١) بروكلمان ج ٢ ص ٣٣٥ - ٨ والملحق ج ٢ ص ٤٦٤ - ٦٠٠ .

ولما لم نهتد إلى نسخة أخرى من المخطوط غير النسخة التى بأيدينا والتى تم استعارتها من مكتبة محافظة الاسكندرية عن طريق كلية الآداب بجامعة الاسكندرية التى أتمت مشكورة عملية تصويرها «ميكروفيلم» ثم ساهمت جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة بطبع «الميكروفيلم» والذى يسر لنا فحص المخطوط ودراسته دراسة دقيقة والتعليق عليه واستظهار ما غمض منه ، وتحليل ألفاظه ونصوصه .

حالة المخطوط :

والمخطوط معنون فى صفحته الأولى بالعنوان الآتى :

«الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق تأليف العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين» .

وقد رقم المخطوط برقم $\frac{٦١٨٨}{١٢٢٨٥}$ ج تصوف ، وهو عبارة عن كتاب مجلد باللون الأزرق حديثا ، وأما الورق المصنوع منه فيميل إلى الاصفرار من النوع الخشن وغير المصقول وصفحاته غير مرقمة لكنها متماسكة وليس بها شوائب .

أما عن حجم المخطوط فطوله ٢٢ سم وعرض صفحته ١٦ سم ويبلغ سمك المخطوط ١ سم تقريبا ، وعدد الكلمات الأفقية فى الصفحة الواحدة ١٢ كلمة تقريبا فى المتوسط ، وعدد صفحاته ١٤٨ صفحة .

والخط المكتوب جميل والحبر المستخدم أسود ومدون باليد بالخط النسخ ، وحالته جيدة جدا ، وليس مقسما إلى موضوعات أو أبواب أو فصول ولا يختوى فى أوله أو فى ذيله على فهرس للموضوعات التى يعالجها ، وإنما يبدأ كل موضوع بهذه الجملة «ومن أخلاقهم» حتى

نهاية الكتاب وهذه الجملة نسط محيرة باللون الأحمر غالباً ، يبنى بعض
الأحيان بالبن الأخضر والبراقات غير المكتوبة في كل نسخة ، قسم
تقريباً من كل جانب .

وبالرجوع إلى الفهارس المختلفة أتضح أنه لم يذكر المخطوط
ضمن كتب ومؤلفات الشعرانى رغم تواجده فى أكبر مكتبة حكومية
بمدينة الاسكندرية وهى مكتبة محافظة الاسكندرية (اليانبة سابقاً)
كما أننا رجعنا إلى كثير من دور الكتب فى البلاد العربية والإسلامية ،
وإلى المعاجم والمصنفات التى ذكرت كتب الشعرانى المطبوع منها
والمخطوط مثل معجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة والاعلام للزركلى
وكشاف الفنون للدكتور أحمد نطفى عبدالبديع والذى ساهم معنا فى
العمل بجامعة الملك عبدالعزيز كأستاذ بقسم الدراسات العليا لكننا لم
نعثر على إشارة تفيدنا فى وجود نسخة واحدة من هذا الكتاب .

نسبة المخطوط إلى الشعرانى ،

وقد ترددت كثيراً فى نشر هذا المخطوط قبل أن أتحرى تماماً
من عدم وجود نسخة أخرى من المخطوط فرجعت إلى مكتبة جامعة
ساربروكن بألمانيا الغربية وأرسلت مشكورة إلى مكتبة جامعة برلين
تستفسر عن وجود نسخة من هذا المخطوط فجاء الرد بالإعتذار وكان
نفس الرد بالنسبة لتركيا .

وقد رجعت إلى أستاذى الدكتور محمد على أبوريان وأخبرته بما
قمت به وما أسفر عنه البحث ، فشجعنى على نشر المخطوط خدمة
للتراث الإسلامى بعامة ومكتبة التصوف بخاصة ، وبناء عليه عزمتم
على اخراج هذا الكتاب ولقد شجعنى أيضاً على نشره الأمور الآتية :

١ - أن المخطوط مكتوب بخط واضح سليح ولا يحتوى على
صفحات مهترئة أو مطموسة .

٢ - أن المتمرس فى قراءة كتب عبدالوهاب الشعرانى يوقن أن كاتبه هو الشعرانى نظراً لتمييز أسلوبه ووضوح خصائصه وإستخدام تعبيرات ومصطلحات تشتمل عليها غالبية مؤلفاته .

٣ - أنه بالرجوع إلى كتابه المعروف بأسم «تنبيه المغترين» وهو مطبوع أكثر من مرة وبالمقارنة بينه وبين المخطوط الذى بين أيدينا ، نجد إتفاقاً تاماً فى طريقة الإخراج والعرض والصيغة بل وأسلوب التفكير واللغة والعصر ، كما أن الصياغة للجمل والأساليب موحدة ومتواترة بل ومكررة فى غالبية مؤلفاته . حتى أننا نجد أن كتابنا يبدأ فى كل موضوع بنفس البداية التى يبدأ بها كتاب تنبيه المغترين وهى جملة «ومن أخلاقهم» والفرق الواضح بين الكتابين أنه كان يعالج فى «تنبيه المغترين» سير الخلفاء الراشدين والصحابه والتابعين ، أما فى الكوكب الشاهق فإن جل اهتمامه ينصب على مريدى عصره ويركز عن طريق المقارنة ما انحدرت إليه الأخلاق فى زمانه «القرن العاشر» وما يجده من نقائص وعيوب ومثالب لم تكن موجودة عند أهل الله من السلف الصالح . وقد عمد الشعرانى إلى المقارنة بين أخلاق مريدى عصره وبين أخلاق السلف ووصل فى نهاية الأمر إلى نتائج منها أن الشيخ فى عصره يعد مريداً فى عصر السلف الصالح .

٤ - مما أكد أن المخطوط ينتسب إلى الشعرانى - ولو أنه يرجح أن كاتبه هو أحد تلامذته أو مريديه ، أنه يبدأ بالدعاء للشعرانى ويتمجيده باعتباره من الأولياء فيقول كاتبه : الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق تأليف العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين .

٥ - من الشواهد التى تؤكد نسبة المخطوط إلى الشعرانى أنه دأب فى مؤلفه على الاستشهاد بأقوال أساتذته ومشايخه عندما

يعرض لمسألة من المسائل فيقول : وقال شيخى على الخواص وقال شيخى على المرصفى وشيخى محمد ابن أخت سيدى مدين وأخبرنى شيخى الشناوى : وكان شيخى الشونى يقول ... الخ . وجميع هؤلاء الذين ذكرهم أساتذته الذين لقن عنهم العلم وسلك على أيديهم الطريق ولبس الخرقة وأمر بتولى التربية والتعليم وعاش معهم وتذوق مشاربهم ، وحضر مجالسهم ولقن عنهم الذكر وعرف أحوالهم ومقاماتهم .

٦ - أنه واضح من أسلوب المخطوط أنه ينقل عن عصر الشعرانى «القرن العاشر» ومن البيئة القاهرية التى عاش وتوفى بها فضلا عن ذكره بالتحديد للعلماء والأئمة والصالحين والأمراء ورجال الحكم الذين قابلهم وما تم بينه وبينهم من أحاديث وما رفع من الأولياء منهم من كرامات وما حدث لأرباب الحكم من وقائع وأحداث على يد أهل الله .

٧ - وينتهى المخطوط بقول ناسخه :

«وهذا آخر الكتاب المسمى الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق تأليف سيدنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدى الشيخ عبدالوهاب الشعرانى صاحب الكرامات والعلوم والمعانى رحمة الله عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» .

وافق الفراغ من هذه الكلمات الشريفة المباركة المبجلة المعظمة صبيحة الجمعة خامس شهر من شهور سنة سبعة وثلاثين بعد الألف الهجرى .

وظاهر أن ناسخه من مريدى الشعرانى أو تلامذته وربما يكون قد عاصره حيث أن المدة الزمنية بين وفاة الشعرانى ونسخ هذا المخطوط لا تزيد عن ٦٥ سنة إذ نسخ المخطوط فى عام ١٠٣٧هـ وتوفى الشعرانى ٩٧٣هـ .

الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق مخطوط من تأليف الشيخ العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعرانى (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين ،
اللهم فصلى عليه وسلم وعلى سائر^(١) الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم
وصحبهم أجمعين . أما بعد ، فهذه أخلاق غريبة فى فقراء^(٢) أهل هذا
الزمان ، وكانت من أخلاق المريدين فى الزمن الماضى فصارت من
أخلاق الأشياخ فى هذا الزمان^(٣) تلقيتها عن نحو مائة^(٤) شيخ ممن

(١) فى الأصل : (سائر) .

(٢) فقراء : جمع فقير ، والفقير الصوفى هو الفقير إلى الله تعالى الزاهد فيما عند الخلق ،
المحتاج إلى الله على الدوام ، الذاكر لله على الاستمرار الذى يعرف أن الله رب ، وأنه عبد ،
يفرق بين مقام العبودية وبين مقام الربوبية فلا يشعر بحوله ولا قوته ، وإنما تنعقد إرادته مع
الله تعالى ، فلا يرضى إلا بما رضى الله عنه ، ولا يكره إلا ما ينهى الله عنه ، فهو عبد متوكل
عليه بالكلية ، مسقط التدبير لا يجد لنفسه شيئا غير ما يعطيه الله سبحانه وتعالى له ، والفقير
ليس بالضرورة فقيرا ماديا ، فلقد كان بعض هؤلاء الفقراء أمثال العارف بالله أبو الحسن
الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية من أثرياء المال ، لكنهم من الفقراء إلى الله سبحانه وتعالى .

(٣) يقصد أن المريدين الأوائل فى صدر الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين
كانت أخلاقهم هى القوة الحسنة ، وذلك لقرب عهدهم من عهد رسول الله ، أما فى عصر
الإمام الشعرانى ، وهو القرن العاشر الهجرى فقد تداخل المجتمع مع جنسيات وعناصر
مختلفة من الإيمان الذى كان للمريدين الأوائل حق أن ما وجده الشعرانى من حال الأشياخ فى
عصره لا يختلف عما كان عليه حال المريدين الأوائل فى الحال والمقام .

(٤) فى الأصل «مايه» .

أدركتهم أوائل القرن العاشر فى مصر وقراها ، فبعضها شاهده من أنعالمهم وبعضها أقتبسته من نور أخلاقهم ، ولم أجد أحدا من أصحابهم من أتى بشئ منها ، فخفت أن تتدرس باندراست تلامذتهم فوضعتها فى هذه الطروس لينفع الله بها من شاء ، وهى كالسيف القاطع لعنق كل من يدعى الصلاح فى هذا الزمان بغير حق لأنها تغسله وتسلخه من طريق الصلاح كما تنسلخ الحية من ثوبها ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمى ومقامى .

ثم أعلم يا أخى أن الفقراء الصادقين قد اختلفوا فى هذا الزمان ، وغالب من يتظاهر فيه الآن بالصلاح معدود من النصابين على تحصيل الدنيا ، كما يدل على ذلك مزاحمتهم على اعتقاد الأمراء والأكابر فيهم فكل من طلع له أمير يود أنه لا يطلع لغيره أبدا ، ومن شك فى قولى هذا فليجرب ، وقد سميت هذا الكتاب بمنهج الصدق والتحقيق فى تفليس المدعين للطريق^(١) جعله الله خالصا لوجهه الكريم آمين .. إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق .

(١) بمراجعة هذا المخطوط الموجود بدار مكتبة محافظة الاسكندرية البلدية سابقا تحت رقم ٦١٨٨ والذي لم يسبق نشره حتى الآن ، وهو فى عدد مكتوب بخط اليد وليس به فهرس ، هو كتاب من الحجم الصغير ، مكتوب على ورق أصفر سميك ومجلد بجلد بنى اللون وبه فواصل للموضوعات تبدأ بكلمة ومن أخلاقهم أما العنوان المكتوب على فاتحة الكتاب فهو (الكوكب الشاهق فى الفرق بين المرید الصادق) ، ويظهر من ذلك أن كاتب هذا المخطوط هو أحد تلاميذ الإمام الشعرانى أو من مريديه إلا أنه لم يذكر اسمه ولا تاريخ نسخه أو تدوينه وهذا فى تصورنا راجع إلى أنه قد نقل عنه مشافهة ، أو أن هناك أصل نقل عنه ولم يسكننا الاستدلال عليه فى مكتبة دار الكتب أو فى المكاتب الأخرى ولم يسمع بهذا المخطوط أحد من الباحثين المهتمين بالتراث الإسلامى عامة والصوفى خاصة ، إلا أنه قد وجدنا كتابا آخر للأمام الشعرانى وهو قد سبق نشره بهامش كتاب الكشف والتبيين طبعة المكتبة التجارية بمصر وأسمه تنبيه المغترين ، إلا أن هذا المخطوط يختلف عنه فى الموضوع حيث ينصب على أخلاق المریدين وعلاقتهم بأشياخهم من الصوفية .

وما يبين من معالجة الإمام الشعرانى لهذا الموضوع هو إنتشار مدعى الولاية فى =

الثلاث كلمات وهي ملتفت لا يصل ، متشكك لا يفلح ، ومن لا يعرف عن نفسه النقصان ، فكل أوقاته نقصان ، فإذا سلكت الطريق ورأيت النقص في نفسك بعد ذلك فقد دخلت إلى أول قدم في الطريق فأياك أن يقع منك جهل أو جفاء^(١) أو تكون بك علة تحجبك عن شهود ربك في ليل أو نهار ، فما أقبح الجهل بالألبا^(٢) والجفا بالأحبا والعلة بالأطبا^(٣) - انتهى .

قال سيدي أحمد . فكان جميع سلوكي بهؤلاء الكلمات وبلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه^(٤) أنه كان يقول من لم يتبحر في علوم الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة في مجلس المناظرة فلا يطلب صحبتنا ، فاعرض يا أخى ما قررناه لك في هذا الخلق على أكثر مریدی عصرک الذين أدعوا دخولهم في الطريق تجد أحدهم لا يقدر أن يحل لك أخصر كتاب في الفقه بل ولا يعرف شروط الموضوع فضلا عن الزيادة على ذلك فلذلك عمدوا النفع وبعضهم فتح له باب من التوحيد فتزندق^(٥) وصار يأكل

(١) رويت في الأصل (جفا) ، وأغفال الهمزة شائع في المخطوط .

(٢) يقصد الألبا .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) هكذا أبو الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية (٥١٣ - ٦٥٦ هـ) وهو قطب هذه الطريقة وعميدها ومؤسسها بدأ حياته باحثا في المعرفة حافظا للكتاب والسنة ملازما لمجالس العلم حتى بهر الناس بعمله وأدبه وطلبوا منه أن يتولى التدريس لهم ، وقد التقى بالشيخ عبدالسلام ابن مشيش حيث أثر فيه تأثيرا كبيرا وقال له مرة حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء وفي كل شيء وقريبا من كل شيء .

(٥) ربما يقصد هنا أن من يستخدم الجدول والتلقشة وهم أصحاب النظر من العلماء والفقهاء ويظن أنه متمكن من الشريعة ، عالم بأسرارها ومتفهم لمعانيها لا يستطيع أن يدانيه في سير أغوارها أو مناقسته في العلوم الفقهية والشرعية فهو مغرور يستخدم لسان حسه وهواه ، ولا يستفتي قلبه ونقاه لأن العالم الحقيقي عند الصوفية هو الذي يشعر بالنقص مهما سما علمه وارتفع فهمه ويحس بالعجز في بحر علم الله الذي لا يتعد لذلك فإن مدعى الكمال في العلم لا يصلح ولا يصبر على التواضع والفقير والمعاناة والزهد والرياضة لأن هذه الاخلاق قوام الصوفي وخلقه فحسب .

الحرام والشبهات ويقول لا أحد يملك مع الله ، وصار على وجهه ظلمه حتى ربما ظهر ذلك للخاص والعام فاعلم ذلك ولا تنسى نصيبك والحمد لله رب العالمين .

(٢) ومن أخلاقهم إذا أراد أحدهم الأخذ عن أحد من مشايخ عصره أن يصوم ثلاثة أيام أو سبعة أيام ملازماً للصمت وقلة الأكل فيها ، فإذا انقضت صلي ركعتين^(١) ، وسئل الله تعالى في سجوده وبعد سلامة منها^(٢) أن يجمعه على عارف الزمان ويرزقه الاعتقاد فيه والانقياد له ثم يتوجه إلى مشايخ عصره في بلاده أو غيرها بالقلب واحداً بعد واحد إلى أن يستوعبهم ، فكل من حصل له في قلبه أنه يجتمع به فان وديعته عنده^(٣) وقد خالف قوم هذا فقالوا أنهم ليسوا لهم عنده وديعة فلم يحصلوا على طائل ثم فارقوا شيخهم (قائلين)^(٤) للناس

== ويجوز أن يدعى بعض الناس العلم لما كشف له من الأسرار والفتوحات من باب الاستدراج التي تظهر في صورة كرامات أو خرق للعادات ، فيعتقد في نفسه أنه قد أطلع على الحقائق ويات عالماً بحتاً بالأمور وأن الله قدر قربه له ، فلا يحق لعبه أن يخالفه في ذلك . وهو في واقع الأمر «شريك» في ما لا يدرك من حقائق باب الكفر والتزندق وأن الأصل في الصوفي التواضع وعدم المبالاة بما لا يتكشف له من حقائق وتجليات ، فهي من باب الثمرات أو من باب الإستدراج ، قلنا ما يسمى عن نفسه يقع في المعاصي المهلكات ، والذي يسير في هذا الطريق إنما يعزبه الخيال فيعتبر بوقع في حبلته ، فتطبخ نفسه ويصير من الظالمين .

(٧) يعتقد الصوفية أن التوبة تدعيم للتوبة وتثبت للخلاص يسير في طريق الله وهي أفضل اللحظات التي يتقرب بها الإنسان مع ربه وهي عزله عن الناس وقربه إلى الله وفيها يستغفر الإنسان عن ذنوبه ويقتطع إلى نفسه ويصلح عيوبها ويدأب ما أعوج من أمرها فيتوب عما لفتت من ذنوب وآثام . ومن ثمار التوبة التواضع لأنه يرى نفسه صغير والله كبير فقيرا والله غنياً ، ضعيفاً والله قويّاً ، وكلما ازداد صدقاً وعبيّة من الله ازداد تواضعاً

(٢) بعد سلامة من صلاة للركعتين .

(٣) يختار ملاقات المرشد لشبهة - الذي هو من أولياء الله الصالحين - نعمة أنعم الله عليه بها وعلى المرشد أن يشكر الله على هذه النعمة ويقوم بواجب الخدمة لشيخه ، وكما يقول الصوفية «وبالخدمة يبلغ المرشد مبلغ الرجال ، ومن آداب الطريق أن يعتقد المرشد في شيخه الكمال» .

(٤) في الأصل (قائلين) .

لو وجدنا عنده مددا أو خيرا ما فارقناه كما وقع ذلك لجماعة من مشايخ العصر وإيضاح ذلك أن الطريق عزيزة وأهلها أعز منها والطالب لها بصدق أعز من الكبريت الأحمر وربما راج حال بعض الكذابين النصابين على حال الصادقين كما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب فيأتي المريد المحجوب يطلب الطريق على يد هؤلاء الكذابين بحكم الصيت فلا يحصل على طائل ، فإذا استخار الله تعالى وسأله أن يده على عارف الزمان الصادق دله عليه فيدخل في صحبته على بصيرة وقد قال الراوى رحمه الله أن الشيخ المرشد في كل عصر لم يزل مستورا بين أولياء الله تعالى فضلا عن غيرهم من العوام فلا يعرفه إلا أرباب البواطن والبصائر دون أهل العمل الظاهر وذلك لأن غالب أعماله التي يتميز بها عن أقرانه تصير قلبية لا يظهر منها على ظاهرة إلا ما لا يتميز به عن العامة من (الفرائض)^(١) والسنن المؤكدة فيخفى بعد الشهرة ضرورة فمن أين يعرفه المريد المحجوب بسبعين ألف حجاب^(٢) . وقد ورد في الحديث القدسي أياي تحت قبائي لا يعرفهم غيري أى وغير من عرفته أياهم ... إنتهى كلام على المرصفي رحمه الله .

وكان يقول^(٣) كثيرا «سبب اختفاء الصادقين من أهل الله في كل عصر وزمان قلة صدق الطالبين الطريق بصدق ، ولو أن المريدين

(١) وردت في الأصل (الفرائض) .

(٢) هذا الأصل والمقصود أن بين المبتدئ والقطب أو الولي الكامل سبعون ألف مقام .

(٣) العارفون بالله لا يريدون نفعا ولا مصلحة دنيوية من خدمة تلامذتهم ومريديهم في الطريق إلى الله لأنهم لا يهتمون بالحياة الدنيوية ، وإنما صلتهم كلها وشغلهم كله بالله سبحانه وتعالى ، فلا يهتمون ولا ينظرون إلا إلى من صدقت نيته وهم الذين يريدون باخلاص أن يسيروا في طريق الصدق حتى يصلوا إلى القريبى من الله تعالى أما المريدين الذين يهتمون بحفظ النفس من مال وجاه وأغراض فاسدة فانهم لا يحفظون بمقابلة شيخ من العارفين لأنهم خارجين عن الطريق لا يرجى شئ ، لذلك فلا رابطة يمكن أن توثقهم بأحد من المشايخ العارفين في ==

صدقوا لأظهروا لهم أنفسهم ، ولكنهم دخلوا بالحظوظ النفسية والأغراض الفاسدة^(١) فكان من عقل الواصلين الاختفاء عنهم رحمة بهم ، فقلت له أن المريدين لم يزالوا يطلبوا الطريق بهذه الأمراض ولا يمنعهم الأشياء بل يقبلونهم ويصيرون يصفون لهم الدواء المزيل لأمراضهم شيئا فشيئا حتى تنصلح أحوالهم ، فقال صحيح ؛ لو علم الصادقون من المريدين ما عندهم من العلل وطلبوا من الأشياء دواءها^(٢) لأغراض صحيحة ما منعوهم ولكنهم طلبوا إزالة أمراضهم ليتمشيخوا على الناس ، ويرون بذلك نفوسهم على اخوانهم ، ثم لا يطلبون الخروج عن ذلك بل يمكث أخذهم يدعى الصلاح ويعجب بحاله حتى يموت على ذلك ولا يقبل نصيح ناصح أبداً ، فحكم هؤلاء حكم من يشتري العنب ليعصره خمراً أو الجارية ليوقفها مع الزانيات ، ومعلوم أن بيع ما ذكر حرام بالنظر لآخرة أمره فكذلك المريد الذي لم يخلص في طلب الطريق .. فافهم .

وقد كثر هذا النوع في مريدى هذا الزمان وادعوا للمشيخة بغير حق ، وجلسوا لها بغير إذن من أشياخهم ، فضلوا وأضلوا ، وكان

== زمانهم ، لأنهم لا يريدون الوصول إلى محبة الله ورضوانه تعالى وإنما أمراضهم النفسية وقلوبهم المريضة تريد تصنع الصلاح ، وأدعاء التقوى والفلاح بقصد منافع مادية ومصالح دنيوية ليقال عنهم أنهم من تلامذة العارف بالله ، وهم بذلك يلبسون مسوح التقوى والورع ويحظوا بالمشيخة طمعا وجشعا ، وهم لا يستحقونها ولا يجدر بهم أن ينتسبوا إلى الطريق من قريب أو بعيد .

(١) ولذلك فإن الاختفاء من جانب العارفين عن هؤلاء المريدين غير الصادقين إنما هو رحمة بهم حتى لا يستمروا على الضلال ويطمعوا في حظوظ أكثر خطرا وأقرب إلى التهلكة ، أما إذا أرادوا ملاقة العارفين بالله بقصد صادق وهو معاونتهم في إزالة ما أصيبوا به من الأمراض وحتى يتمكنوا من اصلاح أحوالهم فهذا هو ما يقبله أئمة الصوفية ، ولكن إذا كان القصد أن يمكث المريد من شيخه فيغتر بهذه المصاحبة ويقال عنه أنه من الصالحين فهو يسير في طريق الضلال ولا ينفع معه نصيح ولا إرشاد .

(٢) وردت في الأصل (دواها) .

عليهم اثم قاطع الطريق وقد قال الراوى رحمه الله^(١) يجب على الطالب الصادق أن لا يصحب أكثر من يدعى المشيخة فى عصرنا هذا البتة إلا بعد ظهور امارات الصدق بإلهام من الله تعالى للطالب حيث يستخير الله تعالى أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق^(٢) لذلك الشيخ ، قال : وإياك أن تصحب أحدا من المدعين للطريق بلبس الزى أو تدعهم يأخذون عليك العهد فانهم «أكثر أذى»^(٣) من الثعبان ، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من تظاهر بالصلاح وهو فى الباطن شيطان فى زى إنسان^(٤) .

(١) يقصد الشيخ الشعرانى الذى ينقل عنه ويظهر أن النسخ لهذا المخطوط قد تم بعد وفاته .

(٢) للولاية عند العارفين بالله من أهل الطريق علامات يصدق فيها الشيخ المربى تعتبر بمثابة المرجع الأساسى للطريق الصوفى ، وهى اثنتا عشر علامة :

- ١ - أن يكون عارفا بالله .
- ٢ - أن يكون مراعى لأوامر الله .
- ٣ - أن يكون متمسكا بسنة النبى ﷺ .
- ٤ - أن يكون دائم الطهارة .
- ٥ - أن يكون راخيا عنه الله تعالى .
- ٦ - أن يكون موقفا فيما وعد الله به .
- ٧ - أن يياس مما فى أيدي الناس .
- ٨ - أن يتحمل أذى الناس .
- ٩ - أن يكون مبادرا لأوامر الله .
- ١٠ - أن يكون متواضعا للناس .
- ١١ - أن يكون شقيقا على خلق الله .
- ١٢ - أن يكون عالما بأن الشيطان عدوا كما أخبر الله تعالى .

ويرى سيدى أبوالحسن الشاذلى أن للصوفى أربعة أوصاف ، التخلق بأخلاق الله عز وجل .. المجاورة لأوامر الله عز وجل وترك الانتصار للنفس حياء من الله عز وجل وملازمة البساط بصدق مع الله عز وجل .

(٣) وردت فى الأصل مطموسة ه والظاهر من السياق أنها «أكثر أذى» حتى يستقيم المعنى (٤) ويشترط فى المريد الصادق أن يكون متصفا بهذه الخصال فإذا جردت عنه فهو مريد كاذب ومدعى منافق وجب طرده من الطريق وفتش أمره ، وهذه الخصال : تجريد التوحيد ، فهم السماع ، حسن العشرة ، إثارة الأيثار ، ترك الاختيار ، سرعة الوجد ، الكشف عن الخواطر ، كثرة الاسفار ، طلق الاكتساب تحريم الإخبار .

قال وذلك كالجماعة الذين سمو نفوسهم بأسماء المشايخ الصادقين أو أنه من أتباعهم كالملاطية^(١) والقلندرية والحيدرية والبسطامية^(٢) وأشباههم فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من تلقبوا بلقبه أو انتسبوا إليه فإن المنقول عن جميع أشياخ الخرق كلها التقيد بالكتاب كسيدى عبدالقادر الجيللى^(٣) وسيدى أحمد بن الرفاعى وسيدى أحمد البدوى^(٤) وسيدى إبراهيم الدسوقي^(٥) وغيرهم من

(١) الملاطية هى فرقة من الفرق الصوفية وكان أصحابها على عهدى الأول يعتبرون من أكابر الصوفية وكانت تلك الفرقة لا تهتم بالمظاهر الكاذبة وإنما كان مجلى عبادتها فى النية والصدق مع الله ، وذلك خوفاً من الفتنة ، وهم أهل فتوة وإخلاص وطاعة وقد انتسب إليهم فى العصور المتأخرة المستفدين الذين كانوا يقومون بضرب أنفسهم وتقطيع ثيابهم وجرح أعضائهم للدعاء بأنهم من الصوفية أو من أهل الملاطية ، وهم فى واقع الأمر أهل دنيا وليس لهم فى الطريق قدم .

(٢) هو أبويزيد البسطامى رضى الله عنه وكان من أكابر الصوفية فى القرن الثالث الهجرى ناطقا بالشرعية والحقيقة على السواء وكان قبل إسلامه ماجوسياً وللبسطامى أخوة على الطريق هم آدم وطيفور وعلى وكانوا جميعاً عباداً ونساکاً ولقد كان أبويزيد أجلبهم حالاً وأعلامهم وقاراً توفى سنة ٣٦٢هـ واشتهر بحكمته التى تسمى شطحات ولها قيمة علمية لا تقدر .

(٣) الجيللى أو الجيلانى (عبدالقادر) من نسل الحسن رضى الله عنه قال عنه صاحب الكواكب الدرية :

« أجمع الناس على أمانته وكان صريح اللسان ، ثابت الجأش والجنان ، وله إقدام ، وتمكن أقدام ، ملوكى الفتى ، عظيم المنزلة ، كثير الشطح ، ومواعظه مشحونة بلطائف ورقائق يرجى الرجاء منها ومجالسه يثنى عليها الأئمة ، كان فى الفقه أمام وفى التصوف لا يسامى - تضلع فى الأصول والفروع وتقدم على غيره فى كل فن مشروع ، مات سنة ٥٦٠هـ تقريباً رضى الله عنه فى بغداد ، وهو شيخ الطريقة القادرية وقطبها الأعظم » .

(٤) هو أبو الفتى أحمد بن إبراهيم بن محمد بن بكر الفاسى المعروف بأبى اللثامين السطوحى نسبة إلى السطوح الذى أقام به اثنى عشر عاماً ، ولد سنة ٥٩٦هـ وتوفى عام ٦٧٥هـ عن واحد وثمانين عاماً ودفن بطنطا ، وهو شيخ الطريقة الأحمدية وقطبها ويمتد نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه كما أجمع الكتاب على أن أسرته من أصل قرشى ولكنها انتقلت إلى مدينة فاس بالمغرب عام ٧٣هـ وأن أهل المغرب اعتقدوا فيه اعتقاداً زائداً .

(٥) هو إبراهيم الدسوقي القرشى توفى عام ٦٧٠هـ عن ٤٣ عاماً وهو شيخ الطريقة البرهامية وصاحب المحاضرات القدسية والعلوم الدينية وهو أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق العادات والولاية الراسخة ، وانتهت إليه الرياضة فى الكلام على خواطر الانام .

المشايخ حتى كان سيدي ابراهيم يقول «من لم يحبس نفسه فى قمقم الشريعة ويختم عليها بخاتم الحقيقة فليس هو منى وأنا برئ منه فى الدنيا والآخرة .

وكان سيدي أحمد بن الرفاعى - رضى الله عنه - يقول أجمع أهل الطريق على أن كل حقيقة ردتها الشريعة^(١) فهى زندقة ، وقالوا الشريعة هى أحكام العبودية ، والحقيقة هى حقيقة العبودية ، وكان أبو القاسم الجنيد^(٢) رحمه الله - يقول طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يفهم القرآن والحديث لا يجوز الاقتداء به عندنا وكان يقول : إذا رأيت شخصا قد ترفع فى الهوى فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حالة عند الأمر والنهى .

وكان يقول من ادعى أن أحدا من أهل الله وصل إليه حالة يسقط عنه فيها أحكام الشريعة مع عقله فهو كاذب والذي يسرق ويزنى أحسن حالا من هذا^(٣) .. انتهى .

(١) التصوف إنما يتبع أحكام الشريعة الإسلامية فى منهجه ومسلكه وغايته مقتديا بالحديث الشريف وهو أن الشريعة هى أن تعبد الله والحقيقة أن تشهده وكل من تحقق ولم يتشعر فقد تزندق وكل من تشعر ولم يتحقق فقد تفسق والشريعة بهذا المعنى تكون هى الموافقة لله تعالى فى العبودية كعبدة وفى الربوبية لله سبحانه وتعالى كرب ، وتكون بهذا المعنى الحقيقى هى الاستسلام لله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا والاحساس بالافتقار إليه على الاستمرار ، ولذلك سعى الصوفى بالفقر والفقر هنا بمعنى الحاجة ليست الحاجة إلى المال والجاه المؤقت ولا الفقر فى الدنيا وإنما الفقر لله تعالى ، والاحتياج إليه على الاستمرار ، فهو الصمد أى المستغنى الكامل - الذى لا يحتاج إلى أحد والكل يحتاج إليه .

(٢) هو شيخ الطائفة فى عصره وأبيه أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزار كان أبوه بائعا للزجاج فلذلك كان يقال له القواريرى ، وأصله من (نهاوند) مراده منشأة بالعراق كان فقيها تتلمذ على أبى ثور وكان يفتى فى حلقته صاحب السرى السقطى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب البغدادى وغيرهم .. وهو من أئمة القوم وساداتهم ومقبول عند الجميع ، توفى سنة ٢٩٧هـ - وسئل عن العارف فقال :

من نطق عن سرى وأنت ساكت ، وقال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن الجوع وترك الدنيا ، ويقول أيضا : عزت نفسى عن الدنيا فاسهرت أبلى وأظلمات نهارى .

(٣) الشريعة والحقيقة بهما يكتمل البناء النفسى للإنسان ، كما تكتمل حقيقة العبودية ==

وكان سيدي على الخواص^(١) - رحمه الله - يقول ما وصل أحد إلى درج الحقيقة إلا وجب عليه التقيد بحقوق العبودية وحقيقتها وصار

== من علم ومعرفة وظاهر وباطن ، وفى ذلك يبين شيخ الطريقة أبو القاسم الجنيد أنه لا عبرة بصاحب الكرامات أو خوارق العادات لأنه يقال عند أئمة الصوفية أن للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء مخادعات ، والمخادعات هى التى تهمنا هنا كما يقول الامام الجنيد : إذا رأيت الشخص قد ترفع فى الهوى ، فهذا للشخص وأن كان يظهر بعض خوارق العادات لا يلتفت إليه عند أهل الحقيقة إلا إذا كان يتبع الشريعة من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وإيتاء الزكاة وإقامة التكاليف الشرعية ، فإذا كان على هذه الحال فهو من أهل الصدق . أما إذا ادعى أنه من أصحاب الحقيقة والأحوال والمقامات والكراهات دون أن يتبع أحكام الشريعة فهو مخادع كاذب لأن الحقيقة إنما تقوم أصلا على الشريعة ، فإذا انتفت الشريعة فلا حقيقة ولا كرامة .

ولبعض الأعداء استدراجات فيعطون بعض خوارق العادات لكى يقعوا فى التهلكة ويكشف أمرهم ، ولذلك لا يجب الاقتداء عند أئمة الصوفية بمدعى الولاية إلا إذا كانوا من أهل الصلاح والتقوى . فإذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فاعلم أن طريقه التقوى وإذا رأيت يحدث بآيات الله فاعلم أنه على طريق الإبدال .

ويقول أحد أئمة الصوفية : « يا من أراد منازل الإبدال من غير قصد منه للأعمال ... لا تطمعن بها فلست من أهلها إن لم تزامهم على الأحوال ، بيت الولاية قسمت أركانه : سادتنا فيه من الإبدال . ما بين صمت واعتدال دائم : والجوع والسهر التزيه الغالى . »
لذلك فمن ادعى أنه من أصحاب الولاية ومن أهل الله وأنه قد وصل إلى منتهى غاية الواصلين فانه مدع كاذب إذا كان لا يقيم أحكام الشريعة ، ويقول فى ذلك الشعرانى : إن الذى يسرق ويبنى أحسن حالا من هذا وهو يؤكد هنا ما قاله الامام عبدالقادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية عندما سئل : هل يجدر أن يسرق الولي ؟ .. فقال : يجوز .. وسئل : هل يجوز أن يبنى الولي ؟ .. قال : يجوز .. ثم سئل : هل يجوز أن يكذب الولي ؟ .. قال : لا .. لا يجوز . ومعنى ذلك أن الولي يمكن أن يقع فى سقطات من السقطات بنظرة يعد فيها زانيا كما أنه يجوز أن يجد شيئا ليس هو صاحبه فيأخذه فيقع فى السرقة ، أما لطهارة قلبه ونقاوة سريرته فانه لا يستطيع أن يكذب لأنه دائم الصدق ، وهذه أولى مراتب الولاية .. أو لا يصدق مع نفسه ثم يصدق مع غيره وإلا انتفت عنه الولاية .

(١) هو شيخ الامام الشعرانى وأستاذه يسمى على الخواص البرلسي ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ويتكلم فى معانى القرآن الكريم كلاما نفيسا يتحير فيه العلماء وإذا قال قولا لابد أن يقع ، ويقول الامام الشعرانى عنه أنه كان يرسل أصحاب الحاجات إليه ، ولم يكن يكلمهم وإنما يخبرهم بالموضوع الذى أتى من أجله ، ويعطيه الراى فيه كأن يقول له اصبر أو سافر أو لا تسافر ، ويقول عنه الشعرانى أيضا أنه كان له طب غريب يداوى به مريضى الاستسقاء ومريضى شلوط القلب ، والجذام والأمراض الأخري ، وأنه . وكان فى كل يوم هذه شفاء .

مطالباً بأداب كثيرة ليس هي على غيره وكان أخى أفضل الدين - رحمه الله - يقول كل من خلع من عنقه رقبة التكليف فقد خامر باطنه الزيف والتحريف وكان يقول كل من ادعى أنه أخلص مع الله ضميره وقال رتبته في الحقيقة تنزه بها عن الحاجة إلى التقيد بظاهر الشريعة والوقوف على حد مراسمها وجعل التقيد بالشريعة إنما هو للعوام المنحصرين في ضيق الاقتداء ، فاعلموا أنه مفتون في دينه وهو من أهل الالحاد والزندقة فيياكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه فإن ظلمة أنفاسه سم قاتل لقلوب المريدين . أو لا يعلم هذا المغرور أن الشريعة هي ظاهر لب حقيقتها ولا تربو الحبة وتثمر وتنعد إلا بالاستمداد من ظاهر الظاهر وأطال في ذلك .

قال .. والضابط في تمييز الصادقين عن بيان الكاذبين إقامة الأعمال كلها على قانون الشريعة (ومتابعاتهم)^(١) لأدائها والتأديب بأداب أهل الطريقة على وفق سير المشايخ من السلف الصالحين .. انتهى^(٢) .

(١) في الأصل : (ومتابعاتهم) والظاهر أنها خطأ في النقل .

(٢) أن من وصل إلى مراتب الولاية فإنه ملتزم بواجبات الشريعة من حقوق أنه علاوة على تقيد بالأوامر الشرعية من نهى عن المنكر وأتيان المعروف والخير ، مطالب أكثر من غيره بأداب كثيرة أولها الصدق ، وثانيها الاخلاص ، وثالثها الطاعة ، فضلاً عن العبادات الظاهرة المطلوب أيضاً من الولي طهارة القلب ونقاء السريرة ، فالمراد هنا ألا يكون على شريعة العدل فحسب إذ العدل هو ميزان العقل ومحك الاختيار بين الحق والباطل ، والخير والشر وهذا مطالب به كل مسلم ، أما الأولياء فإنهم مطالبون بالإخلاص والاحسان وهذه درجة أعلى في سلم الحياة الروحية ، وذلك تأييداً لقوله تعالى : «إلا من أتى الله بقلب سليم» فالمراد هنا أن القلب أساس الإيمان كما ورد في قوله تعالى : «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» وقوله تعالى أيضاً : «فإنها من تقوى القلوب» ، وقوله تعالى : «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» ، وبعض مدعى الولاية يعتقد أنه نال مرتبة عليا ومقامات عالية تنزلة بهذه المن والعطايا والبهات الربانية عن التقيد بظاهر الشريعة ، وهؤلاء نفر من المنافقين كشف دعواهم حجة الإسلام الامام الغزالي في كتابه «فضائح الباطنية» ، وفضائل المستظهرية» وبين أنهم أكثر من ٧٠ فرقة القرامطة والتعلبية والمحمرة =

فاعرض يا أخى ما ذكرته من أحوال الصادقين من المريدين والأشياخ تصرف حال أهل زمانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين^(١) .

(٣) ومن أخلاقهم^(٢) إذا كان أحدهم من أولاد المشايخ أن يطلب له شيخا يربيه ولا يكتفى بالعيشة فى حس والده فان الولاية والمشيخة

== والسبعية والمزدكية والزيدية والاسماعيلية .. وغيرهم ، وتدعى هذه الفرق جميعا نفس هذا الادعاء وهو قولهم بأن لظواهر القرآن بواطن . ويدعون أن الذين يهتمون بالظواهر هم العوام والأغبياء أما الذين يقولون المعنى القرآنى وينفذون إلى الباطن فهم الأذكىاء ، ويشبهون القرآن فى ظاهره بالقشر أما باطنه فهو اللب ، وهؤلاء جميعا قد خرجوا عن الشريعة الإسلامية بهذه البدع ودخلوا فى أهل الزندقة والإلحاد .

(١) يبين لنا الامام الشعرانى المعايير التى يحكم بها الشخص على الصادق والكاذب فى طريق الله لأن بعض الناس يستظهرون الطاعات ويضعون فى ادعاء أنه من أهل الله ولكنه فى واقع الأمر من أهل الضلالة والفحشاء وفرق بين الصالح والطالح ، وهذا الفرق إنما يتضح فى التمسك بالأخلاق والآداب التى أدبنا بها القرآن ، والتى نجدتها فى القدوة الحسنة فى شخصية الرسول محمد ﷺ ، ثم فى الصحابة والتابعين وتابعى والتابعين من أهل الطريق المنتسبين المطبقين لأحكام الشريعة الإسلامية من أئمة الشريعة والحقيقة فهم جميعا يتمسكون بما كان عليه الرسول ﷺ من آداب ونجدتها فى أفعالهم وأعمالهم الطيبة ، كما نجدتها فى الإيثار وفى الصدق والطاعة وفى التوكل واسقاط التدبير ، فلا يجد المؤمن إلا تدبير الله وإرادة الله ، ولعل الله لأن إرادته مع إرادة الله فما يراه خيرا فهو خير له وما يراه شرا فهو شر له .

هذه هى الأخلاق الجميلة التى يتصف بها الأئمة الصالحون الذين يقتنون بالرسول . هى فى ظاهريهم وباطنهم .

(٢) يبين لنا هنا الامام الشعرانى أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب فإذا سعى العبد لقربته من أب صالح دون أن يمن الله عليه بالمغن والعطايا والهبات والرحمات فإنه لن يظفر بحال ولا بمقام لأنه لا يرث المقام كما تورث الأمتعة والأموال إنما يجب عليه ، ولو أن أباه شيخ صالح أن يبحث ويجتهد عن مرب صالح يوجهه ويرشده ليتعرف على مسالبه ويربى نفسه ، ذلك أن الطريق إلى الله ليس ميراثا وإنما صدقا ومعاناة ومجاهدة ورياضة للنفس لأن النفس إذا تركت لنعمة الانتساب اطمأنت ورضت وعافت عن المجاهدة والرياضة ، وبذلك تنتكس وتحرف عن الطريق بما فتنت به من دعوى الاغترار ومدح الناس ومداهنتهم فالذى لا يطلب هذا الطريق لأن أباه شيخ ويظن أنه بذلك بورثه قد ضل ضلالا كبيرا وأنحرف ووقع فى الرذيلة .

المعروفة ما هي بالأباء والجدود ، وإنما هي موهبة من الله على يد
الأشياخ غالبا ، كما درج عليه السلف الصالحون كلهم خلافا ما عليه
أولاد المشايخ في هذا الزمان فيكتفى أحدهم بكونه ابن سيدي الشيخ،
ولا يطلب أن يكون شيخا مثل والده في الدين والمجاهدة والرياضة .

وذلك دليل على دناءة همتهم ؛ وقد كان سيدي يوسف العجمي^(١)
رحمه الله تعالى لا ينبغي للشيخ أن يأخذ العهد على أولاد المشايخ
المتشيخين بالأباء والجدود إلا بعد ظهور امارات صدقهم في طلب
الطريق على وجه المجاهدة والرياضة ، أى فان أحدهم ربما كان يعتقد
أن ولد الشيخ شيخ كما حكى لى ذلك شيخى الشيخ محمد
الشناوى^(٢) رحمه الله .

ولقد مكثت نحو عشرين سنة وأنا أعتقد أن ولد الشيخ شيخ
بالخاصية إلى أن^(٣) جمعنى الله تعالى على شيخى الشيخ محمد
السرولى - رحمه الله تعالى - وسمعتة رضى الله عنه أيضا يقول
لاتتبعوا أنفسكم في تسليك المتشيخين^(٤) بالأباء والجدود إلا أن

(١) هو يوسف العجمى الكوراني ، ويقول عنه الشعراني أنه أول من أحيا طريقة الشيخ
الجنيد بمصر ، وكان له مريدون كثيرون وعدة زوايا توفي عام ٧٦٨هـ .

(٢) هو الشيخ محمد الشناوى رحمه الله ، أستاذ الشعراني الذى يقول عنه أنه كان من
الأولياء الراسخين فى العلم ومن أهل الإنصاف والأدب ، ومن أقواله : (ما دخلت على فقير إلا
وأنظر لنفسى بونه ، وما امتحنت قط فقيرا) وكان رحمه الله يساعد المحتاجين ويسعى فى
قضاء الحوائج للناس ليلا ونهارا ، وهو مدفون بضواحي طنطا وتوفي سنة ٩٣٢هـ ودفن فى
زاويته بمحلة روح وقبره معروف يزار حتى الآن .

(٣) لم ترد فى الأصل وأزيدت ليتسق المعنى .

يعتقد أئمة الصوفية أنه لا يتبع وصول الأب إلى مقام المشيخة أن يرث ابنه من بعده هذا
المقام لأن التصرف ليس ميراثا كما تورث الأمتعة والأموال وإنما هو مجاهدة ورياضة واجتهاد
واخلاص وطاعة لله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا ، فإذا من الله على العبد وأصبح من
خاصته ، فليس بالضرورة أن يكون ابنه قد وصل إلى طريقة أو مقامه إلا إذا أخلص الابن
وسار على طريق والده ، وحمل لواء العلم والمعرفة حتى صار مثل والده فى الورع والإيمان ==

ينسلخوا من جميع الدعاوى فان أحدهم يفتح عينه على تعظيم جماعة والده له فيقول قد صرت شيخا كوالدى فيكون التعب فى مثل هذا (ضائع)^(١) لا سيما أولاد شيخ الانسان فان نفوسهم لا تكاد تنكس لأن يأخذوا الطريق عن تلميذ والدهم الذى أذن له والدهم أبداً ولو بلغ فى المقامات أقصى المراتب ويقولون أن هذا ما اكتسب الشرف إلا منا فيرون نفوسهم عليه ولا يكاد أحد منهم يرى نفسه دونه أبداً . قال : وإن كان ولا بد له من تسليكهم فلينصحبهم بقوله كان والدكم يربى المريدين بكذا وكذا فلعلهم يصغوا إلى قول والدهم ، فاعلم ذلك يا أخى وأعرضه على مدعى الطريق من أولاد مشايخ عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤) ومن أخلاقهم^(٢) إذا أراد أحدهم أن يدخل فى الطريق على يد شيخ أن يسيل من فضل شيخه أن يذكر له ما يجب على المريـد إذا

== والتقى ، أما إذا ادعى ابن الشيخ أنه قد صار شيخا كوالده فهذا غرور وادعاء كاذب ناتج من أنه نشأ فى بيت والده ووجد أفراد الطريق يعظمونه كتعظيمهم لشيخهم .
والقربة الصوفية التى يمكن أن تتصل فيها البتة بالأبوة تحدد فى القربة الروحية إذ يجوز أن يدخل لواء الطريق بعد الشيخ من يوصى به الشيخ من المريدين الصادقين الذين وصلوا إلى المقامات العليا فى المجاهدة والرياضة والتزهد فى الجاه والمال والمراكز وهذه القربة الروحية إنما هى قرابة من نوع فريد لا ترتبط بالرابطة الدموية وإنما بالرابطة الروحية كرابطة الرسول ﷺ بأبى بكر الصديق .

(١) ورد فى الأمل (ضائع) .

(٢) معنى ذلك أنه إذا صاحب المريـد شيخه ليتلمذ عليه فان عليه أن يصدق به حال نفسه ، فلا يدخل مفتونا أو مغرورا أو راغيبا عما وصل إليه من العلم والمعرفة ، أو أن يخفى عليه دواخل نفسه وخواطره فإذا ما صاحب الشيخ وهو فى حال من هذه الأحوال أسرع إليه العطب والانتكاس ولم يظفر من شيخه بعلم أو حال لأن نفسه غير صادقة وقلبه غير مخلص ، لأن الأساس فى الطريق الصوفى ، الاخلاص والطاعة وهما بابان للصدق ، لذلك لابد للمريـد الصادق أن يحدث شيخه بما فى نفسه من خواطر شيطانية كانت أو ملائكية حتى يتعرف شيخه على حاله ويوجهه إلى ما يصلح له ، أو أن ينصح له بترك الطريق لأنه لا يصلح له ، وهذا هو الأساس الذى يجمع عليه أئمة الصوفية فى دخول الطريق . ويقتدى أئمة الصوفية فى ذلك بالرسول ﷺ فى سؤال المرأة عن حق الزوج وجواب الرسول ﷺ فى أن تطيعه طاعة عمياء . أن تخلص له كل الاخلاص حتى أنه لو سأل دم وقيح من أنفه فلا تأنف منه حتى ولو لحسته بلسانها ، وهذا هو موقف المريـد من شيخه .

دخل في صحبة الشيخ ليعرض ذلك على نفسه خوفاً من الدخول في صحبته بالجهل فيسرع إليه العطب وهذا من باب التعظيم لطريق أهل الله والاحتياط للنفس ويؤيد ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها من حق الزوج على المرأة أن لو سال من منخره دم وقبح فاحسسته بلسانها لم تؤد (١) حقه ، إلى آخر ما قال ﷺ فقالت والتدبى بعثك بالحق نبيا لا أتزوج ما بقيت الدنيا .. انتهى .

فمن شرط الشيخ على المريد (٢) أن يعتقد فيه أنه عارف بالكتاب والسنة عارف بميزان الخواطر النفسية والشرطانية والملكية والرحمانية عارف بالأصل الذي تنبعث منه هذه الخواطر من حضرات الأسماء الإلهية عارف بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة عارفاً بأمزجة المريدين ليعطى كل إنسان من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه عارفاً (بالعائق) (٣) الخارجة عن أعمال الطريق

(١) في الأصل : (لم تؤدى) .

(٢) الأصل في المريد أن يبحث عن شيخ عارف بالله ، عالم بالكتاب والسنة صادق في ظاهره وباطنه فإذا ما وجده سلم إليه قياد نفسه ، وأتبعه وأطلقه الله من غير الاختلاص والطاعة لشيخه فلن يتمكن من التقدم في الطريق ، فإذا ما شك في شيخه ظاهراً أو باطناً ، انحرف عن الطريق السليم ووقع في القلق والاضطراب وأغواه الشيطان ، فاعتزل بنفسه ، وربما وصل إليه ، واعترض على مقام شيخه وربما قال في نفسه ، أنا أحسن منه مقاماً ، وهنا الطامة الكبرى إذ يتردى هذا المريد في السقوط والانتكاس ويخرج عن آداب الطريق ، فلا يصلح له حال ولا مقام .

الأصل إذن هو التصديق بكلام الشيخ وأفعاله ، وأنه يعرف مصلحة مريده وما يصلح له في حاله ، وأنه قادر على تقديم ما يصلح له في حاله من خير ومنفعة ومصلحة ، وأن كل ما يرشده شيخه يجب أن يسلم به تسليمًا دون اعتراض أو مجادلة ، وعند ذلك يصبح المريد صابحاً للتقدم في الطريق .

(٣) في الأصل (العائق) .

كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوجة . والآمال والرياسة له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أقدام الشياطين وأيدي العوائق بواسطة رغبة المريد في طريق الله وإلا فلا يقدر شيخ على استخلاصه من يد من ذكر أبداً ولو كان من أكبر الأولياء فإذا سمع مريد بهذه الصفات ، وعرضها على أحد من مشايخ عصره فوجدها مجموعة فيه وجب عليه الانقياد له ، والعمل بكل ما يأمره به بانشرح صدره ولو شق ذلك عليه .

ومأمورات الشيخ لا تنحصر ولكن نذكر للمريد منها طرفاً صالحاً تأنيساً له ، وليعلم أن الشيخ لم يبتدع له ما (حجر) ^(١) عليه وإنما هو تابع في ذلك أشياخ الطريق الذين سلفوا ، ولو أن الشيخ ترك ذلك ورخص للمريد لعصى ربه عز وجل وكان من جملة الغاشين في الطريق إذا علمت ذلك فمن شروط الشيخ ^(٢) الذي يجب عليه أن يأمر بها المريد أو ينهيه أن لا يتركه يبرح من منزله أو زاويته إلا لضرورة أو حاجة يوجهه فيها ، ومن (شروطه) ^(٣) أن يعاقب للمريد على كل هفوة تصدر منه ولو سهواً ونسياناً ^(٤) ولا سبيل إلى الصفح عنه في زلة وقع فيها البتة ، وأن وقع أنه صفح فهو أمام غاش لرعيته غير (قائم) ^(٥)

(١) هكذا في الأصل ويبدو أن المقصود هو ما اقترضه عليه .

(٢) ويتمسك أئمة الصوفية في محاسبة المريد على الأخطاء التي يقع فيها لعلمه أنه إذا تساهل مع المريد في الزلة البسيطة فإن المريد يقع في زلة كبيرة وإذا وقع في الزلة الكبيرة عصي ، وبذلك لا تصلح معه التربية ولا ترويض نفسه الامارة ، لذلك يجب على المريد أن يلتقي شيخه بالسمع والطاعة ، فإذا أمره بشئ يجب أن يطيعه وإذا نهاه عن شئ يجب أن يبتعد عنه . والمريد الصادق هو الذي يقبل محاسبة شيخه على هفواته حتى ولو كان سهواً أو نسياناً لعلمه أن ما يعاقبه شيخه به إنما هو لتربيته ورعايته وإصلاح أمره وذلك اقتداء بالرسول ﷺ في أنه كان يهجر صاحبه الذي يكذب كذبة واحدة لمدة شهرين أو ثلاثة وذلك نصحا وتربية وترويضاً لنفسه ونصرة للشريعة الإسلامية .

(٣) وردت في الأصل (شروطه) .

(٤) وردت في الأصل (ونسياناً) .

(٥) وردت في الأصل (قائم) .

بحقيقة ربه مخيل بحق المقام الذي هو فيه ، وقد قال الله من أهدى لنا
صفحة أقمنا عليه الحيوة وكان يهجر على الكذبة الواحدة الشهرين أو
الثلاثة نصحا لذلك الكاذب ونصرة للشريعه وبه من وجل .

ومما يجب على الشيخ أيضا أن يشترط على المريد أن لا يكتمه
شيئا مما يخطر له في نفسه ويستقر فيها أو شيئا (بطرا) (١) عليه في
حاله ، ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب كلها والعقاقير
ويعرف تركيبة الأدوية فهو ممن يسرع بهلاك المريض فان العلم من
غير معرفة العين لا يفيد ، فلا بد من معرفة التمييز (٢) لا تربي أخه لو كان
للغشاب عرض في اهلاك المريض وقلة الطبيب في تلك الأعشاب من
غير أن يعرفها من خارج ووصفها للمريض أهلكه ، واثم الطبيب
والغشاب فإنه كان من الواجب على الطبيب أن لا يداوى المريض إلا بما
يعرف منه وشخصه ، وكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ
الطريق من بطون الكتب وأقواه الرجال وجلس يربى بذلك المريدين (٣)
طالبا للرئاسة فهو ماله لمن تبعه لجهله بمورد الطلاب ، و قد
أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدر لمشيخته إلا أن يكون

(١) وردت في الأصل (يطر)

(٢) المريد المصدق هو الذي يشترط فيه الصديق والصراحة مع شريكه حتى يستطيع
الطبيب للربى أن يعف له الدولة المقاسب لحالته حتى لا يمرض العطب إلى نفسه ويهلك لأخيه من
المريدين المريض أن يعرض حاله على طبيبه فرضا منادقا وإلا وضعت له الطبيب ذواء لا
يصلح له ولها زيادة مرضه ، وهنا تقع على الطبيب مسئولية العمل ، وذلك يوضح أئمة الصوفية
بأن يأخذ المريد العهد من الشيخ إلا بعد أن يجزيه الشيخ ويعرف كل شيء عن شخصيته قبل أن
يتضم إلى الطريق .

كذلك فإنه لا يمكن أن يكون الشيخ ذا قدم إلا إذا كان صاحب فراسة فيعرف مريده
ببصيرة نافذة ناتجة عن صدقه وعلمه ، وأتباعه للقوة المحمدية ومعرفة بالخواطر الشيطانية ،
وسياسة الدين والدنيا وبذلك يمكن أن يقال عنه أنه شيخ في الطريق (٣) .

عنده دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك (وحيثنذ) (١) يصح أن يقال له أستاذ .

ومما يجب على الشيخ أيضا المحاسبة للمريد على أنفاسه وحركاته والمبالغة في التضيق عليه على قدر صدقه في اتباعه ، فان الطريق (٢) . القوم طريق شدة ليس للرخاء والترخص فيها مدخل ، قال الله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» فما جعل الله تعالى وضوح السبل إلا بعد المجاهدة وحيثنذ يكون السلوك عليها وهو سفر بالأرواح والسفر قطعة من العذاب فلا يزال السالك في عذاب ، وتعب حتى (يلقى) (٣) . ربه عز وجل فإن نظر إلى مقاومة نفسه من شهوات الدنيا عذب وأن نظر إلى عدم لقاء ربه عذب ، فأين الراحة .

قال تعالى لنبيه محمد (ﷺ) (٤) «فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فأرجع» أى إذا فرغت من أمر مشروع متعب ، فاشروع فى أمر آخر

(١) فى الأصل (وحيثنذ) .

(٢) الطريق الصولى هو طريق الله تعالى ، والمريد المبتدئ عليه بالمجاهدة والريضة ومخالفة طلب النفس كما عليه معاناة الجوع والتعب والزهد فى أعراض الدنيا ، وذلك حتى يروض نفسه ويتكلف هذه المشاق حتى يتقاد إلى طريق الله .

فالطريق إذن تكلف من النفس البشرية ، وهو تخلية وتخلي ، تخلية من الأوصاف المذمومة وتخلي بالأوصاف الحمودة ، والتكلف هو السبيل الوحيد فى الاتصاف بمكارم الأخلاق وتجنب الرذائل والشرور والآثام ، فهو سفر طويل وشاق لا يزال المريد يجاهد ويعانى حتى يصل إلى المنة الالهية والنعم والعطايا الربانية ، أو يلقي ربه وهو فى طريق المجاهدة .

والمريد الذى يضعف فى المجاهدة وتستهو به الشهوات فانه ينحرف ويقع فى الضلالات ، وتنتهى حياته بشقاء أبدى وجحيم مقيم .

والمريد الذى يجتهد ويتربص ثم يعترض بعد برهة ويقول : لماذا لم يكافئنى الله ولماذا لم أصل كما وصل المجاهدون ، وهذا الاعتراض يعتبر انحرافا وكفرا وبذلك يكتب عليه العذاب لأنه لم يكن مخلصا ولا صادقاً ولا مطيعاً لربه وإنما كان كل همه أن يجتهد من أجل الجزاء ، وأن يعمل ليحظى بمكاسب الدنيا وشهواتها ، وإيقال عنه أنه عارف وولى وعالم .

(٣) فى الأصل (تلقيا) .

(٤) يقتدى أئمة الصوفية بالرسول ﷺ فى مداومة المجاهدة فى طريق الله تعالى

ولا تترك الاشتغال بما يقربك إلينا لمحة واحدة رغبة في وصولك إلى حضرتنا الخاصة بك ، فأمره تعالى بمداومة السفر من غير فتور عن ذلك .. فافهم ذلك .

ومما يجب على الشيخ^(١) زجر المريد إذا نازعه في فهم (مسألة)^(٢) بل اخراجه برجله من الحلقة وطرده لأن علوم أهل الطريق لا تقبل المنازعة كطريق غيرهم فإنها وارثة نبوية فلا تذكر إلا للمؤمنين بها وقد كان النبي ﷺ يقول إذا تنوزع عنده عند نبي لا ينبغي التنازع^(٣) .. انتهى .

وايضاح ذلك أن المعارف الالهية والاشارات اللطيفة الربانية خارجة عن مدارك أى من حيث كون العقول ناظرة وباحثة لا من حيث كونها قابلة فلم يبق فيها إلا الكشف الصحيح لأنه اخبار عن حقائق الأشياء كما هي عليه في نفسها فهو كالنص الصريح ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد فلا يجوز للسامع أن ينازعه فيما أتى به بل يجب

== فلا يترك المريد دون الاشتغال بأمر من الأمور الدينية فهو سفر إلى الله تعالى من غير فتور ولا راحة ، لأن الراحة إنما توجب الغفلة فإذا غفل المريد تعود على ذلك واستمرأ الراحة ، فيأتيه الشيطان ويغويه فيضيع عليه جهاده وتعبه .

لذلك فإنه من الواجبات أن يشتغل المريد دوماً بعمل من الأعمال الصالحات في قراءة الورد أو الذكر أو الحكمة فلا خوان ، حتى يملأ وقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يترك لنفسه سبيلاً للخواطر الشيطانية وغواية إبليس .

(١) وعلوم الصوفية ليست ناتجة من القيل والقال ، ولا الجدل والحجاج ، وإنما من الصدق والاخلاص والطاعة لله والقُدوة الحسنة في شخصية الرسول ﷺ ، فهي علوم فوق أنها عقلية لها معان قلبية لا يمكن أن تدخل إلا قلب المؤمن الصادق ، لأن العقل إنما ويتم بالخطأ والصواب والرأى والجدل ، ولكن المؤمن هو الذى يصدق بقلبه ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى ، «إلا من أتى الله بقلب سليم» ، وقوله تعالى «أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ، وقوله تعالى «فإنها من تقوى القلوب ...» .

(٢) في الأصل : (مسألة) .

(٣) هكذا الأصل ولم نر الحديث أثراً .

عليه التصديق أن كان مريداً أو التسليم أن كان أجنبياً وقد أجمع الشيوخ على أنه لا ينبغي للمريد^(١) أن يتكلم بأحوال الطريق إلا فيما شاهده وعيانه وأن الصمت عليه في حضرة شيخه واجب والكلام عليه حرام والنظر عليه في الأدلة والمعارضة لكلام شيخه محظور ، وكل شيخ ترك مريده يبحث ويستدل عليه فهو ساع في هلاكه وحجابه وطرده عن حضرة ربه «فالأولى بالشيخ إذا رأى المريد يجنح إلى استعمال عقله بالنظريات أن يطرده من حضرة لئلا يفسد عليه بقية أصحابه» ، فان المريدين لله تعالى حور مقصورات في خيام شيخهم .

وأعلم يا أخى أن طريق الصوفية هو الصراط المستقيم وهو أجل الطرق وأسناها فان الطرق تشرق وتتضح بحسب غاياتها وهذا الطريق غايته معرفة الحق^(٢) جل وعلا ومعرفة الآداب المتعلقة بحضرة ومعلوم

(١) المريد الصادق كما سبق الإشارة إنما هو متواضع كل التواضع أمام شيخه فيجب عليه أن لا يجادل ولا يناقش فيما هو فوق علمه لأن العقل مهما علا وارتفع ويبحث وحصل فاته لا يتفهم الكشوفات والفتوحات الملكية ولا التجليات الإلهية ولا الإلهامات القدسية ولا الحقائق الربانية ، ولكن عليه أن يصدق شيخه فيما يتكلم عنه في هذه الفتوحات تصديقا لا ريب فيه لأن ذلك دليل الصدق والاستقامة كما عليه ألا يدمى لنفسه معرفة بأحوال العارفين فيتكلم عنهم كلام أصحاب الأحوال والمقامات ، وإنما يصمت أمام شيخه حتى يبدأ الشيخ بالكلام ..

وهو إذا أراد أن يتكلم فعليه أن يتكلم عما ذاقه وشاهده من أحوال أما الاعتراض على غيره والنظر في الحجج المختلفة ليدحض رأيا أو غيره فهذا مكروه وعلى الشيخ أن يحذر مريده من الكلام والحجج حتى لا يتأثر به أخوانه ويفقد المجلس توقيره واحترامه بالإضافة إلى هلاك المريد وفساد أخوانه في الطريق بما يعرضه من آراء وحجج عقلية ، ليس مجالها هذا المجلس . فإذا قام أحد المريدين بالاعتراض أو انكار فضل أحد من الصالحين أو الطعن في رواية تم اقراءها من الشيخ وجب على الشيخ أن يطرده من مجلسه بذلك لسوء أدبه وتطاوله على من لا يعرف مقامهم .

(٢) تأييدا لقوله تعالى «وما خلقت الأنس والجن إلا ليعبدون» أي إلا ليعرفوا والمعرفة بالله إذن طريق الدين الحق وهو في نفس الوقت طريق الحكمة والحكمة مؤيدة بقوله تعالى «فمن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» .

أن معرفة الحق أشرف العلوم ، كما أن معرفتها أشرف وأعز في الوجود ، فلذلك كان الطريق إلى معرفته أشرف الطرق وأفضلها وكان الشيخ الدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم ، والسالكون إليه أسعد السالكين وأنجاهم فينبغي لكل من نصح نفسه أن لا يسلك من الطرق سوى هذا الطريق لارتباطه بالسعادة الأبدية فإنه حاو لعلم الشريعة والحقيقة^(١) والعارف به^(٢) هو الحقيق بمقام الشياخة والورثة النبوية الكاملة ، ومن حصل فيه قيل إنه الشيخ والوارث والأستاذ أن كان تابعا ، والنبي إن كان في زمن النبوة وقد جعل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة مقام الأستاذ للأنبياء تعليما لنا وارشادا لاتخاذنا الواسطة بيننا وبين الله تعالى ، ولا يقنع بما يليق الله تعالى إلى قلوبنا من الوجه الخاص الذي بيننا وبين ربنا ، فكان الأنبياء في مقام المتعلمين من أشياخهم ، وأشياخنا في مقام المتعلمين من نبينا محمد ﷺ فهو الشيخ الحقيقى لنا ولأشياخنا ، ونحن جميعا تلامذته ﷺ .

(١) الشريعة أن تعبد الله والحقيقة أن تعرفه ، والظاهر هو إقامة التكليف الشرعية والباطن هو الاخلاص والطاعة والنية في أدائها فلا تعارض بين الشريعة والحقيقة وإنما بهما يتكامل المرید للوصول إلى مرتبة الصدق في الطريق إلى الله .

(٢) العارف بالله هو العالم الذي صدق وأخلص وعدل فأصبح أهل المنة الالهية والرحمة الربانية ، وذلك كثرة ومكافاة من الله .

والعلم علان ، علم اكتسابي وعلم وهبي الهامى ، والكسبى يحصله بالدرس والتحصيل ، وبهذا العلم الكسبى يصبح الانسان عالما به أما الوهبي فينقسم إلى وحى والهام ، فالوحى يختص به الأنبياء أما الالهام فيختص به أهل الحقيقة من الأولياء والصديقين ومن غير الوحى ، إذ أن الوحى على لسان جبريل عليه السلام ليؤيد به النبى في دعوته . أما الالهام فهو في لسان ملك إما كلاما أو رؤيا ولا يجتمع الكلام والرؤيا معا ، ويجوز أن يكون مخادعات من الشيطان إذا كان الالهام لا يؤيد بالشريعة أى لا يكون له أسل في الشرع والاحكام الدينية ، ولذلك ليس علم الالهام دليلا على القرب من الله إلا إذا كان العبد زاهدا في الدنيا قليل الكلام عن نفسه ، أى إذا كان حكيما .

ثم اعلم يا أخى أن هذا الطريق لما كان فى مقام العزة والشرف حفت به الافات من سائر الجهات فلا يسلكه الاشجاع مقدام على يد شيخ علام وحينئذ تقع (الفائدة)(١) ، فعلى الشيخ أن يوفى حق تربيته وعلى المريد أن يوفى حق طريقته بالسمع والطاعة ، وليس مقام الشيوخة هو الغاية بل الشيخ هو نفسه الطالب للمزيد من ربه على الدوام قال تعالى لأشرف المرسلين محمد ﷺ وقل «ربى زدنى علما» أى بك لا بزيادة الأحكام التكليفية فافهم وتأدب مع شيخك ، فانه (نائب)(٢) لرسول الله ﷺ فى هداية الأمة إلى الطريق التى جاء بها ﷺ فيوقظ المؤمنين من نومة الجهالة وينقذهم من شقاء صفات الحفرة النارية التى هم عليها .

قال تعالى «وانذر عشيرتك الأقربين» ، والقرب على نوعين قرب طينى وقرب دينى ، والمعتبر فى الشرع القرب الدينى قال ﷺ لايتوارث أهل ملتين فلولاً الدين ماورث صاحب قرابة الطين (شيناً)(٣) ثم لما كان الناس فى الدين على جالين مدع وصادق ، وطالب للأخرة ، وطالب لله انتدب الصوفية الناصحون للأمة وبينوا المريدين ما فى مقام من العلل، وبينوا لهم أن القرابة الصورية الطينية لا عبرة بها وإنما النافع لهم الجمع بين القرابة الصورية والحقيقة ، فيعمل أحدهم بالشرعية على وجه الحقيقة ليخرج عن النفاق ويكون ضميره مطابقاً لأفعاله الظاهرة فى الإيمان واليقين ، فاعلم ذلك يا أخى وأعرضه على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) وردت فى الأصل (الذاتية)

(٢) ذكرت فى الأصل (نائب) .

(٣) فى الأصل (شيان) .

(٥) ومن أخلاقهم المبادرة^(١) إلى امتثال أمر شيخهم أي ذهابه ، وإن أذن أحدهم أن يأكل طعام الفقراء في الزاوية فعل وإن نهاه عن ذلك فليس له أن يأكل منه ولو سرا ، سواء كان ذلك في زاوية وقف ، أو كان الفقراء فيها على ما يفتح الله تعالى عليهم به ، وأن نهاه عن الاجتماع بأحد من فقراء الزاوية أو غيره فليس له الاجتماع به لا سرا ولا جهرا وأن حجبته عن مجالسته وجب عليه الانسراح (لذلك)^(٢) وقد أجمعوا على أنه لا ينبغي للشيخ أن جالس تلامذته إلا لصلحة يعود نفعها عليهم ، ومتى تركهم يجلسون معه بغير ضرورة فقد أساء في حقهم .

وكان سيدي يوسف العجمي^(٣) لا يجالس أصحابه إلا للمناقشة والتربية أو في قراءة التوراة ، وما عدا ذلك فلا يجتمع بهم وكذلك بلغنا عن سيدي أحمد الزاهد^(٤) .

(١) الطاعة هي دستور العلاقة بين المريد وشيخه في الطريق الصوفي ، ويقول أحد أئمة الصوفية : لولا المري ما عرفت ربي ، لأن الشيخ المري هو الذي يدرّب المريد ويعرّفه فن العوم والسباحة حتى لا يغرق في البحر اللجى ، فإذا ما اكتمل تعليمه ظاهرا أو باطنا ، شريعة وحقيقة وتعريف على الطريق ، وابتعد عن المثالب فهنا يستطيع أن يشق وحده هذا الطريق الوعر ، أما قبل ذلك ويدون معونة وإرشاد شيخ عارف بالخواطر الملائكية والشيطانية فإنه يجوز أن يقع المريد في الأخطاء لعدم درايته بالطريق الموصلة وربما يشده الشيطان بما يخله في نفسه من الرضا الالهي ، وكذلك فإن الاعتزاز مما يكون سببا في السقوط والانتكاس والبعد عن الدين ، لذلك يقول بعض الصوفية ، «من لا شيخ له فالشيطان شيخه» أي أن المريد لا بد له من موجه ومعين وإلا انحرف وسقط .

ولذلك كانت أوامر الشيخ العارف لمريده نافذة لا مرد لها ، مادامت لا تخالف شريعة الله ولا تتبع ضلالة ، فالمريد يصدق من شيخه ويتبناه لأنه يثق فيه وفي إرشاده وتوجيهه ، رأى أنه يعلم تماما أن لا عصية للشيخ إلا أنه يعلم تمام العلم أن شيخه هو «مريد» وإرشاده وتوجيهه لا يخرج به أن يقبل على ما يأمر به وينتهي عما ينهاه عنه .

(٢) في الأصل غير واضحة .

(٣) سبق الإشارة إليه .

(٤) هو الإمام العالم العامل الرباني شيخ الدرويش وكان يقال : ما من زاهد في الدنيا

وسيدى مدين^(١) وسيدى محمد العمرى^(٢) وغيرهم فالشيخ فيما هو بصدد المريد فيما أمره به شيخه وإذا منع الشيخ^(٣) المريد من القرب منه فى الليل وجب عليه الامتنال ، ولا يجوز له التجسس على شئ من حركاته (وسكناته)^(٤) من أكل أو نوم أو طهارة أو صلاة أو غير ذلك ، لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ عنده إذا وقف على بعض أحواله ، وذلك لجهله بأحوال الكمل ومتى هجر الشيخ المريد ولو بلا سبب فتكدر المريد من ذلك فقد خرج عن الطاعة ، وإذا خرج عن الطاعة فقد خرج عن الطريق ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من أخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

== القوم وكان يتحدث فى الفقه ولم يسمع منه كلمة فى التصوف وصنف عدة رسائل فى أمور الدين .

يقول الشيخ الشعرائى أنه كان يعظ النساء فى المساجد ويعلمهن أحكام الدين ويقول أيضا أن عنده بخط سيدى أحمد الزاهد نحو ٦٠ كراسة فى المواظ التى كان يعظها وكانت له كرامات كثيرة ، مات رضى الله عنه سنة ثمانمائة وعشرين تقريبا ودفن بجامعة فى مصر وقبره ظاهر يزار ليتبرك به الناس .

(١) هو الشيخ أبو مدين المفرى - رضى الله عنه - من أئمة صوفية المغرب وله شهرة عظيمة وأسمه شعيب وابنه يسمى مدين المدقون بمصر بجامعة الشيخ عبدالقادر الدشطوشى . أما الشيخ مدين فمدقون فى تلمسان بأرض المغرب ، توفى وقد تاهز الثمانين ، ويقول الشعرائى أنه توفى بعد سنة خمسمائة وثمانين بقليل ، وهو أستاذ للشيخ أبى الحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية .

(٢) هو سيدى محمد العمرى كان مثالا فى الأدب والاجتهاد وعن أصحاب سيدى أحمد الزاهد - رضى الله عنه - وكانت جماعته فى المحلة الكبرى - مات رضى الله عنه سنة ٨٥٠ هـ تقريبا .

(٣) هذه الأخلاق نتاج التربية الصوفية إذ أن المريد يعرف مقام شيخه ومنزلته فيستجيب لأوامره لأنه يعرف أنها لصالحه فى الدنيا والآخرة وليس عليه إلا أن يمتثل لأمره ولا يعترض عليه حتى لا يفسد طريقه إلى الله .

(٤) وردت فى الأصل (وسكناته) .

(٦) ومن أخلاقهم احتمالهم الأذى فى حق أنفسهم . دون احتمالهم ذلك فى حق غيرهم من المسلمين ، فإذا أذاهم شخص وبالغ فى (أيذاهم)^(١) احتملوه ولم يصالحوه إلا لغرض صحيح شرعى كأن يريد حمايته من الوقوع فى الاتم أو عدم تأذى اخوانك من الأذى ، فإن من يحبك لا يكاد يحتمل ذمك ولا تنقيصك بين الناس ، فمن ابتلى بشخص ينقصه فى المجالس^(٢) ، ويتأذى أصحابه بذلك فليسعى فى مصالحته (دفع) أذى عن المحسن له لا يضره لنفسه . ثم إذا بلغ مبلغ الرجال فيحينئذ يصير^(٣) يرد عن نفسه من حيث أنها أمة الله وهى وديعة له عنده ولا حرج عليه فى ذلك بل هو مأمور به كما أوضحنا ذلك فى كتاب الأخلاق الكبرى - فاعرض يا أخى ما قررناه فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم عوناً لشيخه على ما يريده من جميع نظام الذكر^(٤) ومجلس العلم والمناقشة وأن يحدث كل واحد أخاه

(١) ويد فى الأصل (أيذاهم) .

(٢) وهذا نتاج عدم التوبة عن المعاصى والغضب الذى يدفع الانسان إلى طريق التهلكة ويبعده عن التعقل والحكمة ، ولذلك يلحق أئمة الصوفية طرق «كظم الغيظ» لأنه معاون حسة فى تربية النفس وترويضها ، ثم المنزلة الثانية وهى العفو عن المعتدى أو الظالم لهم اقتداء بقوله تعالى «والعافين عن الناس» ثم هناك المرتبة الثالثة وهى أجمل وأرحب «والله يحب المحسنين» أى أن يحسن المريد إلى المسئى والظالم عندما يكون فى مقام القدرة على البطش به ولكن هذا السلوك إنما يتعلق بالأذى الذى يلحق بشخص المريد ، أما إذا كان هذا الأذى وهذا الظلم يتعلق بالمسلمين أو بأمة الاسلام وجب الجهاد ودفع الأذى بكل صورة من الصور عن أخيه المسلم وهذا واجب على كل مريد .

(٣) أى اكتمل حاله .

(٤) يرى بعض مشايخ الصوفية أن الذكر ذكر الله والاشتغال برياضة النفس هو أساس الاشتغال بالطب النفسى الصوفى وبالذكر يحصل للمريد انس فلا يغفل أبداً قلبه ويشغله بالله يوماً فيرى الله بقلبه .

ويرى أئمة الصوفية أن المريد الصادق يهدف من الذكر التقرب إلى حضرة الله تعالى ومجالسته من غير حجاب وأن الملائكة يطوفون ويلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قرىما يذكرون الله تأنروا «هلموا إلى حاجتكم» .

على (المواظبة)^(١) على الحضور ولا يعكس أحدهم ذلك وقتاً واحداً ، وإذا كان له ذلك اليوم حاجة خارج الزاوية مثلاً فليحصلها قبل وقت مجلس الذكر ولا يترك الذكر ويسعى في تحصيلها فإن ذلك محدود من جملة مقت الله تعالى للعبد ، بل عد ذلك بعضهم من أكبر المقت وقالوا ما قدم عبد أمر الدنيا على الآخرة إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل ، فليحذر المريد من تعكيس مجلس الذكر في الزاوية أو يرسل أحداً من الأولاد الحاضرين في المجلس في حاجة ويترك مجلس الذكر إلا أن تكون الحاجة تتعلق بعامة الفقراء لتحصيل الطعام وآلة الطبخ لمطبخ الفقراء ونحو ذلك .

أما الحاجة الخاصة لأحد الفقراء فلا ينبغي إرسال أحد المجاورين أو غيرهم في حالة المجلس لحاجة إلا بإذن الشيخ ، والله انى لأرى المقت يلوح على الفقير إذا ترك مجلس الذكر وخرج لشئ من أمور الدنيا وربما (واظب)^(٢) على الخروج من المجلس فاستحكم المقت فيه

والذكر يؤدي إلى الطاعات وتجنب المعاصي ، ويقول بعض أئمة الصوفية أليس الذكر أفضل آلاف المرات من الجلوس على المقاهى وسماح المبهضات ورؤية المنكرات .

(١) أم مجلس الذكر للمريد فيه حلاوة الاتصال بالله حتى أن هذا الاتصال يجاوز قوانين الطبيعة ، والذكر صفات ثلاث :

١ - أن يكون بالقلب لا باللسان فقط .

٢ - أن يكون القلب أثناء الذكر حاضراً ولا يكون في واد والعقل في واد آخر .

٣ - أن يحذر الذاكر من الغفلة - كالنوم - إلا لعذر قهري لأن الغفلة تورث قسوة القلب .

ويقول تعالى «وأذكروني أذكركم» ويقول تعالى أيضاً «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وفي الحديث القدسي «إذا ذكرني عبدي في ملا ذكرته في ملا خير من ملاء» وقوله تعالى «أذكروا الله ذكراً كثيراً» البقرة ١٥٢ .

الذكر اقرار بأن ما نرى وتصديق بالقلب ، فإذا قال المريد لا إله إلا الله بلسانه ولم يصدق قلبه كان المريد مسلماً عند الناس كافراً عند الله .

وإذا أذكر الله بقلبه ثم نية كان ذلك كاف لأن إبليس كان يذكر الله بقلبه ولم ينفعه حين أضمره لسانه .

(٢) في الأصل (واضد) .

إلى أن يموت نسأل الله العفو والعافية فاعرض يا أحمى ما قررتك أنك فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨) ومن أخلافهم^(١) الخوف على شيخهم من كل شئ ينقص مقامه لا سيما فى المأكل والملابس ، فإذا أرسل الشيخ أحدهم فى حاجة بيع أو شراء فليحذر من البيع والشراء ممن يقع فى الربا أو القمار أو يغش فى صنعتته أو حرفته ، فإن شيخه إذا أكل من ذلك الطعام أو لبس من ذلك اللباس الذى لا يتحذر صاحبه من الشبهات نقص مقامه وحجبه عن طريق القوم ، وإذا حجب عن طريقهم انقطع امداده للمريد وحرمة النفع منه ، فإذا (رجعت)^(٢) (منفعة)^(٣) على الشيخ إلى منفعة المريد ، فإذا أطعم شيخه شبهات فقد ضر بحاله وحال شيخه فيحتاج من يشتري الحاجة للشيخ أن يكون له الاشراف على مقامه ليشتري له ما يناسب مقامه فى الأكل أو اللبس وإلا أطعم الشيخ الحرام المحض فإن الحلال (بالنسبة)^(٤) لقوم ربما يكون حراما بالنسبة لمقام قوم آخرين من باب حسنات الابرار (سيئات)^(٥) المقربين .

(١) من أخلاق الصوفية عدم الاقبال على طعام أو شراب إلا إذا عرفوا صاحبه وذلك اتقاء للشبهات فلا يأكل المريد إلا من عند من يعتقد فيه الصلاح خوفا من الوقوع فى المحرمات ، لذلك فإن المريدين يهتمون فى البيع والشراء ممن يتصف بالأمانة والشرف حتى يتجنبوا الغش والربا والقمار . وكذلك الأمر بينهم وبين شيوخهم ، فإذا طلب شيخهم حاجة ليشتريها أحد المريدين فإنهم يتأكدوا فى البيع والشراء عن صدق البائع أو المشتري لهم حتى لا يقدموا مالا أو طعاما لشيخهم فيه شبهة وذلك حفظ لمقام شيخهم ومحافظة عليه .

(٢) فى الأصل (رجعت) .

(٣) فى الأصل (منفعت) ويجوز أن يكون المقصود «إذا رجعت منفعتك على منفعة الشيخ» .

(٤) فى الأصل (بالنسبة) وقد تكرر ذلك .

(٥) وردت فى الأصل (سيات) .

وقالوا ينبغي للمريد إذا اشترى للشيخ أن لا يطلب من البائع مسامحة الشيخ بشئ من المشتري ، فيجعل له المنة على الشيخ فإن فهمت ذلك^(١) عرفت معنى قوله تعالى لمحمد ﷺ «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله» أى لأن أكثر من في الأرض لم يصلوا إلى مقامك ، ولو شرفوا عليك فلا يأمرؤك إلا بفعل ما هو نازل عن مقامك الاسنى ، وإذا أطعتهم فى ذلك فقد أضلوك عن مقامك اللائق بك ضرورة المكنى عنه بسبيل الله أى الخاص بك الذى لا يصل إليه غيرك بخلاف طاعته ﷺ ، (فالخواص)^(٢) الذين أشرفوا على مقامه المشار إليهم بغير الأكثر فإنهم ربما يكونوا يضلوا ﷺ عن مقامه الكريم . فعلم أنه ليس المراد بالاضلال عن سبيل الله ما يخالف الهدى كضلال الكفار ، لأنه ﷺ معصوم عن مثل ذلك بالاجماع وإنما المراد ضلال عن فعل ما هو الأولى فى حقه ﷺ ونحو ذلك ، وهذا الضلال هو المراد أيضا بقوله تعالى لداود عليه السلام ، «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» أى سبيل الله الخاص بمقامك أنت فقط وإلا فهو ﷺ معصوم كذلك عن الضلال المشهور بين العامة .

وبالجملة فلا ينبغي أن يتكلم عن أحوال الأنبياء فى تأديبات الحق لهم إلا من حق له قدم الوراثة والا يخاف عليه (الخطأ)^(٣) وهذا الذى

(١) يقول الشعرائى فى ذلك عدم طلب أهل الطريق حتى ولو فى خواطرهم ، هدية من أحد جاء من بلد آخر فلا يحدث نفسه بأن فلان سيهدى إليه ملبسا أو فاكهة أو نحو ذلك وإذا أهدوا إلى أحد هدية فلا تحدثهم أنفسهم بأنه سيكافئهم على ذلك ، وهذا ليس من باب سوء الظن وإنما من باب ترك الطمع .

كذلك إذا طلب المرید شيخة خصما أو تخفيضا فيما يشتريه له من سلع أو أشياء فإن ذلك يعد عند الصوفية عيبا مما ينقص عن مقام الشيخ كقدوة للناس وذلك اقتداء بالرسول ﷺ حتى لا يكون من عيبه . قد من عليه من عنده ، ويمكن أن يتباهر بذلك أمام الناس فتتزل منزلة الشيخ وربما يبتدونه .

(٢) فى الأصل (١٠) (١١) (١٢) .

(٣) فى الأصل (١٠) (١١) .

ذكرناه من الجواب من جملة العلم الموروث عن نبينا وعن داود (١) ﷺ وهو طريق واضح لا أشكال فيه .

فعلم أن كل من ادعى محبة الطريق ولم يخف على شيخه مما ينقص مقامه فهو كذاب على الطريق ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حاله (على ما ذكرناه) (٢) ولعل ذلك المعنى الذى لم يخطر على باله جملة ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) ورد اسم داود عليه السلام فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا وقد آتاه الله النبوة والملك فى بنى إسرائيل ، وقد ذكرت قصته فى القرآن مرات كثيرة تارة مختصرة وتارة مطولة وكلها يكمل بعضها بعض ، وقد طالت مدته فى الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله ، ولقد هزم داود جالوت وجنوده كما جاء فى القرآن الكريم «وعظمت منزلته» . ولقد تولدت أواصر المحبة بين ملك إسرائيل (شاول) وبين سيدنا داود عليه السلام إلا أن (شاول) قد تغير قلبه من جهة داود عليه السلام عندما تعلق الشعب به وعظم فى أعينهم ، فأراد (شاول) القتك به غيرة منه ، إلا أنه قد استطاع الهرب قبل أن يصل إليه (شاول) .

وقد علم (شاول) أن ابنه (يونان) قد تعاهد مع داود عليه السلام على الصداقة والوفاء فحاول الملك قتل ابنه ، ولكنه نجا ثم علم شاول أن أحد الكهنة كان يدعو لداود عليه السلام بالتوفيق والنجاح فاستدعاه (شاول) ، ولامه على ثنائه على داود عليه السلام فقرر الكاهن أنه مخلص لداود وأن الملك لا ينبغي أن يكافئ الاحسان بالشر فأمر الملك بقتل الكاهن ، وأصحابه فقتل منهم خمسة وثمانين ، ولم ينج منهم إلا مطلقا هرب وأخبر داود عليه السلام بما فعله الملك بأهله .

أنعم الله تعالى على سيدنا داود كما ورد فى القرآن الكريم نعمنا حديثا .

١ - أن الله سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة وعشية وذلك مؤيد فى سورة صيدا «وله» آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير .

٢ - فى سورة ص «أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعش والشجر والأوراق» .

٣ - وكما ورد فى سورة النمل علمه تعالى «وخلق الطير» وكذلك فى «سورة النمل» قوله تعالى «ورث سليمان داود قال «يا أيها الناس علمون مشاقق الرب» . «أنا سخرنا الجبال معه والطير» والمقصود أنه ورث سليمان داود فيما ورثه العلم والسكينة .

(٢) (على زيادة عن الأصل .

(٩) ومن أخلاقهم أن يفرح أحدهم بجفاء^(١) شيخه له لا سيما أن أمر النقيب أن لا يعطيه من خبز الزاوية وطعامهم ومتى تكدر من ذلك فى سره فقد نقض عهده مع الشيخ وخرج عن سياج طاعته ووجب عليه تجديد العهد ثانيا كما أجمع عليه مشايخ الطريق ويكون على علم الاخوان حفظهم الله ولطف بهم أن الشيخ من مرتبته أن لا يدخل تحت تحجير المريد عليه ، كما أن من مرتبته أن لا يفعل بالمريد إلا ما هو الأصلح له ، فما منع الشيخ النقيب أن يصرف لذلك المريد خبزا أو طعاما إلا مصلحة له ليربى له اليقين^(٢) ، ويبعده عن الاهتمام بالرزق والركون إلى الأسباب ، كما يفعل أهل الاهتمام مع ربهم ، وقد أجمع القوم على أن من المحال أن يتربى للمريد يقين وشيخه ينثق عليه ويطعمه من سماط زاويته ، وإنما يتربى اليقين للمريد بحرمانه من الأكل من كل معلوم وجلوسه فى كل موضع لا تعرفه فيه أحد (كالخرائب)^(٣) البعيدة عن طرق الناس من غير أصطحاب طعام أو نقد ثم يأمره الشيخ بالذكر على وجه الاخلاص وليمده الشيخ بالهمة لا بالكلام فان ذلك يضر بالمريد فإن قعد المريد كذلك لابد أن يفتح الله تعالى عليه بشئ (ياكل)^(٤) أو بزيادة اليقين وزوال الإهتمام بالطعام كما جرب .

قلت وقد وقع لى مثل ذلك فى بدايتى^(٥) فكنت أجلس فى البرج الذى فوق السور بالقرب من باب الفتوح بمصر (المحروس)^(٦) حتى

(١) الجفاء من قبل الشيخ ليس بسبب الكراهية وإنما تدريب للمريد على الصبر واختباره فى تحمل عوائق الطريق وبذلك الجفاء - فى تصور الصوفية - ينصلح أمر السالك .

(٢) فى الأصل (شياء) .

(٣) فى الأصل (الخرائب) .

(٤) هكذا وردت فى الأصل ، وغالب الأمر أنها (يؤكل) .

(٥) وهذا يؤكد أن هذا المخطوط للامام الشعرانى .

(٦) وردت فى الأصل هكذا .

فجأني اليقين وسبقني إلى ذلك سيدي محمد بن عنان وسيدى حسن العراقى^(١) المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلى فجلس كل واحد منهما في موضع خراب لا يمر به أحد فسخر الله له الدنيا في صورة امرأة عجوز تأتيه كل يوم بصحفة طعام ورغيفين فكانا يعرفان أنها الدنيا ويأخذان ذلك الطعام من الله لا من الكون .. انتهى .

فاعرض يا أخى ما ذكرت لك على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠) ومن أخلاقهم إذا أحس أحدهم بعلامات الكمال النسبى العادى فى مقامات الطريق أن لا يطمح بصر أحدهم إلى وقع الأذن من شيخه بل يجب عليه الصبر حتى يكون شيخه هو البادئ له بذلك ، ومتى طمح بصره إلى الأذن من شيخه فقد نكص على عقبيه ، وربما رجع إلى حالة هى أدنى وأرذل من حالته التى كان عليها قبل دخوله الطريق عقوبة له^(٢) .

فان المريد كلما قرب من الحضرة الالهية كأنما نوقش كما أنه إذا أبعد عنها سومح ، والقاعدة أن كل من عظمت مرتبته كبرت صغيرته وقد سمعت سيدي عليا المرصفى^(٣) رحمه الله يقول : «من نعم الله

(١) وقد ذكر الشعرانى فى الطبقات الكبرى الشيخ محمد بن عنان والشيخ حسن العراقى وأورد بعض من كراماتهم .

(٢) وإذا تأكد المريد أنه قد قطع شوطا فى المجاهدة والعبادة وأنه قد ظهر له بعض الكشوفات والفتوحات كثرة لإخلاصه وطاعته ، فلا يظهر ذلك ويفرح به أو يطمح من شيخه أن يآذن له ويصدق على ما كوشف به من حقائق . إنما عليه أن ينتظر دون مال أو كدر حتى يعرف شيخه ذلك ويآذن له فان الرغبة لمعرفة شيخه كمالاته إنما أساسها الاغترار بالنفس والشعور بالتكامل الذى ربما يؤدي إلى السقوط والانتكاس وبذلك يضيع على المريد كل ما قد حصله ويصبح كأنه لا دخل الطريق ولا خرج منه .

(٣) هو الشيخ على نور الدين المرصفى وكان من الأئمة الراسخين فى العام وله مؤلفات نافعة فى طريق التصوف وقد اختصر الرسالة القشيرية .

مات رضى الله عنه سنة ٩٣٠ تقريبا ، ودفن بدائرتة بقنطرة الأمير حسين بمصر وقبره بها معروف .

تعالى على لما قرب أوان فطامى أن نفسى لم تحدثنى قط بأنى أستحق
الاذن لى من شيخى ، ولذلك جزانى الله تعالى بالاذن من شيخى ابتداء
على لسان رسول الله ﷺ ثم جاء الأذن له - من ربه - عن طريق
الأنعام وقال لى يا على ما أذنت لك الا بأمر من رسول الله ﷺ -
ويأذن من الله عز وجل قال ولا مات سيدى شيخى محمد بن أخت
سيدى مدين^(١) تطاول جميع أصحابه للجلوس فى مصر لارشاد
المريدين وكنت (غائباً)^(٢) فى نواحي البلاد فأرسل الأخوان
(يشاوروننى)^(٣) فى ذلك فقلت يجلس كل من معه أذن من الشيخ وكل
من ثبتته الله تعالى ثبت ، فجلسوا كلهم ولم يثبت فى مصر منهم إلا
واحد والباقيون أعوان له .. انتهى .

فكان الشيخ رضى الله عنه هو الذى ثبت فى مصر^(٤) وانتفع به
الناس فعلم أن الشيخ لا يحتاج إلى تنبيه على الاذن لمريده إذا أكمل
حاله واستحق الأعظام ، لأنه يعلم أن الواجب عليه إذا رأى المريد قد
استقل بحاله ، كملت تربيته ، ودخل أوان فطامه وأتاه الاذن له من
رسول الله ﷺ أو من ربه عز وجل من طريق الأنعام أن يأذن له ويقطع
عنه الأمداد من جهته ويتركه مع ربه ان شاء أقعده ولا حكم للشيخ
بعد ذلك عليه .

(١) اشتهر باسم بن عبدالدايم المدينى وكانت له مجاهدات رائعة ، وظهر صدقه مع
تلاميذه ، وتربى عنده العارف بالله الشيخ محمد الحماثل السروى والشيخ نورالدين الحسنى بن
عين الغزال والشيخ نورالدين على المرصفى كان رضى الله عنه ذا همة وشكل بهى ونظافة ، وقد
أقبل عليه القوم - كما يذكر الشعرا - فى طليقاته فطردوهم عن طريق القلب وصار يخرج وحده
إلى السوق ليشتري حاجته بنفسه ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن مات ، ودفن بجوار
سيدى مدين رضى الله عنه .

(٢) فى الأصل : (غائبا) .

(٣) فى الأصل : (يشاوروننى) .

(٤) يقصد الشيخ على المرصفى وقد سبق ذكره .

قالوا ولا يسع المرید إذا ساری شیخه فی المقام أو جاوزہ إلا التآدب معه واحترامه دون الاقتداء به ، قال الشيخ محی الدین^(١) رحمه الله : والذي نختاره البقاء على الاقتداء به حتى يموت شیخه كما أنه إذا مات شیخه قبل أن يكمله ، يجب عليه أن يتخذ له شیخاً آخر ولا يقل ما بقى أحداً يعجبني مثل شیخی كما عليه غالب من يدعی الطريق من المریدین ، فإن ذلك من صفات اليهود فانهم قالوا ما بقى أحد مثل موسى ولا یأتی أنا أحد مثله فادركوا زمن محمد ﷺ الذي هو أعلى مقاماً من موسى بالأجماع ، فلم ينتفخوا به فباعوا بالخسران المبين فی الدنيا والآخرة .. انتهى .

وهذا الأمر قد كثر فی مریدی هذا الزمان فیموت شیخهم قبل فطامه لهم فلا ینقادون لأحد بعده ولو كان أعلى مقاماً من شیخهم ، فاعلم ذلك وإياك أن تتكدر ممن قال لك بعد شیخك تكون تلميذاً لفلان وتقول أن فلاناً لم يعرف مقامی ، ومن نصحك بحسب مقامه بلا تلوم عليه ، بل ذلك واجب عليه والحمد لله رب العالمین .

(١١) ومن أخلاقهم أن یلزم أحدهم على فعل ما أذن له فيه شیخه وأمره به من الأوراد كحضور مجلس الذكر صباحاً ومساءً أو ذكره وحده فی الزاوية لیلاً ونهاراً ، ولا یتوقف على حضور الشيخ مجلس الذكر صباحاً ومساءً فی الزاوية لأن ذكر الشيخ صار قلبياً ، وبأطول ما لازم الذكر صباحاً ومساءً مع الفقراء فی المجلس أيام بدايته حتى أعطاه الله تعالى حياة القلب واستغنى عن حضور مثل ذلك المجلس بالذكر القلبی ، ومن قال لا أواظب^(٢) على مجلس الذكر إلا أن

(١) یقصد الشيخ الأكبر محی الدین عربی أو بن العربی ویقول عنه فی (الایقیت) أنه استأذنه عن طریق التوجيه .

(٢) فی الاصل «أواظب» .

واظب عليه شيخى فهو أعمى القلب سئ الأدب مع شيخه وقد من الله على جماعة يسمعوننى ذكر الله عز وجل صباحاً ومساءً . ولا (يحوجوننى)^(١) إلى الحضور معهم رضى الله عنهم ، وربما تلمحت من بعضهم كسلا ان لم أخرج إليهم فأتكلف بالخروج إليهم تقوية لهممهم وربما كنت تلك الليلة سهرانا إلى الصباح فاضجع فى المجلس عجزاً عن الجلوس ولا أتخلف عنهم فرضى الله عن من لم يجوج شيخه إلى ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٢) ومن أخلاقهم نسيان أحدهم الغداء أو العشاء أيام بدايته لشدة اشتغاله بالله عز وجل وكل مريد تذكر غداه أو عشاءه إذا فات وقته فى العادة فلا يرجى منه شئ فى الطريق ، وكذلك كل من وجد عنده فراغا للذهاب إلى مواضع النزهات كالبحر والبساتين فلا يجئ منه شئ ، وحكى عن أبى بكر الشبلى^(٢) رضى الله عنه أنه كان يقول مكثت ستة أيام بدايتى لا أتذكر غداء ولا عشاء إلا أن أحضروه بين يدى وربما غفلوا عنى جمعة كاملة ، فلا أتذكر أكلا ولا شرباً فاعرض ياأخى هذا الأمر على مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣) ومن أخلاقهم صبرهم على الجوع اختياراً أو اضطراراً كأيام الغلاء أو القحط بأن يصير أحدهم يأكل فوق أكله المعتاد ولا يشبع كما ورد فى الحديث إذا أراد الله بقوم قحطاً نادى منادى من السماء (يا أعمى)^(٣) أتسعى ، ويا عين لا تشبعى ، ويا بركة ارتفعى .. انتهى .. فهذا هو القحط وربما أكل الواحد طعام عشرة ولم يشبع ،

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) من أكابر الصوفية ومن الرعيل الأول . عاش زمن الجنيد .

(٣) هكذا وردت فى الأصل والمقصود : (يا أعمأى) .

قال سيدى على الخواص رحمه الله وأصل منشأ غلاء الأَقْوَات والقحط كثرة غفلة الخلف عن ربهم وارتكابهم المعاصى قال تعالى ، «ويلوناهم بالحسنات والسيئات»^(١) لعلهم يرجعون» . فاعلم^(٢) . أن من ادعى عدم الغفلة وعدم ارتكابه المعاصى وحصل له غلاء أو قحط فهو غير صادق، ويتفاوت الناس فى ذلك قلة وكثرة وربما كان سبب ذلك الاستهانة بالنعمة أو بغير سبب امتحاناً من الله عز وجل لعباده فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٤) ومن أخلاقهم شدة اعتناقهم بالعمل بصريح السنة الواردة أكثر من اعتناقهم بالأمور المستنبطة إلا أن جمع عليهما ، وكذلك من أخلاقهم شدة اعتناقهم بالعمل بكلام المجتهدين أكثر من اعتناقهم بكلام المقلدين كما درج عليه السلف الصالح فى حال بدايتهم وهذا أمر قد أغفله غالب المتمشixin فى هذا الزمان فضلاً عن المريدين ، فترى أحدهم يواظب على قراءة ورد اخترعه مثلاً أكثر من مواظبته على ما ورد فى السنة فى عمل اليوم والليلة وهو جهل منهم وأين امداد أحدهم من امداد الشارع ﷺ وأين المتبع من المبتدع فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٥) ومن أخلاقهم تكرار قراءة القرآن ومحفوظاتهم فى علوم الشريعة ولا يشتغلون عنها بالأوراد مثلاً حتى ينسوها كما عليه بعض الجهلة من المريدين ، فان كتب الفقه جامعة لأحكام القرآن الظاهرة والباطنة ومن نسيها فكأنه نسى القرآن فعليه من الاثم كما جأى من نسى القرآن وان تفاوت المقام ثم أن على شيخ هذا المريد اللوم أكثر من المريد لكونه أهمله حتى نسى العلم والقرآن ، وقد ذكر الشيخ

(١) فى الأصل (والسيئات) .

(٢) فى الأصل (فعلم) .

المأرق بالله تعالى أبوالمواهب الشاذلي^(١) أنه اشتغل بالذكر أيام بدايته حتى نسي غالب القرآن ، فرأى رسول الله ﷺ وقال له يا محمد تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريدائك هذه ، فقال فمن تلك الواقعة رقيت لي كل يوم عشرة أحزاب وكررت محفوظاتي في العلم التي كنت نسيتها .. انتهى .. ثم لم يزل على ذلك حتى مات كما أخبره بذلك حفيد الشيخ على^(٢) رحمه الله تعالى فاعلم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٦) ومن أخلاقهم تصدقهم بالثوب الذى كان عليهم وقت المعصية ، ثم يفتسلون ويتوبون ويلبسون وإن كان أحدهم فقيراً لا يجد غير ذلك الثوب غسله ثم لبسه وكذلك يخلقون شعر الذى كان لهم حال المعصية ويقصون أظفارهم حتى أن بعضهم بالغ وصار يخلق لحيته كلما وقع في معصية ويقول لو أمكننى تبدل أعضائى التى عصت لفارقتها .. انتهى . وهذا وإن كان فيه تعظيم لله تعالى فاتباع السنة المحمدية أولى فيستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنب من غير حلق لحيته ، فإن استدل علينا شخص بقوله ﷺ لمن أسلم ألق عنك شعرك واخترتن وقال ان شعر الكافر يعم الحياة قلنا له المراد بشعر الكفر الذى يؤمر لإزالته زمن الاسلام كالعانة وننقب الابط لا مطلق الشعر ، قال بعض المحققين ولا ينبغى لمن عصى الله أن يفارق ذلك المكان الذى عصى فيه حتى يطيع الله تعالى فيه ولو بقول لا إله إلا الله مرة واحدة ، فكما كان يشهد عليه كذلك صار يشهد له وهو كلام حسن فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١) ربما يقصد أبا الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية لأنه يذكر أن حفته هم الذين أخبروه .

(٢) أما على الخواص وأما على المرصفي .

(١٧) ومن أخلاقهم إنه تقتصمهم مذهبهم، أن يشكروا الله على ما أنعم عليهم ويشاروا لها إنما تتحدث قالن وصدق وصدق في الدنيا والآخرة (١) أن يتبلى الله نبيهك عليه من الأمور التي تستحقها الله تعالى عليها ، وإمام أن كل مريد أجاب عن نفسه وكثره من نفسه فهو مدع الذاب لا يجوز منه شيء في الطريق وكيف يدعى الصديق وهو يتكره من يطلب، إيصاله إلى حسرة ربه ، فإن كل نقص في العبد يعوقه عن السير إلى حضرة ربه محبوبه ، ولو لم يعلم هو به وهذا المنقص قد نبه هذا المدعى على النوبة مما يعوقه ليسير إلى حضرة ربه ، فجزاءه شدة المحبة لا الكراهة له فاعرض يا أخى هذا الخلق على كل مدع للزادة من أهل عصره تعرف صدقه أو كذبه ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٨) ومن أخلاقهم ذكرهم لمناقب أخوانهم في المجالس والكف عن ذكر نقائصهم فيها لأن ذلك يسخط الله ويسخط الأخوان ويوجب المقت من الله تعالى ومن خلقه ، وذكر محاسن الناس يوجب رضى الله ورضى الخلق ، والعاقلة لا يقع فيما يسخط الله عليه أبدا ، وما بقى لمن يقع في أعراض الناس إلا أنه مجنون والمجنون لا يصح له سواك الطريق حتى يفيق من جنونه ، وعلى هذا فلم يسلم من الجنون إلا قليل من الناس عدمو الترقى في العلوم والمعارف ولا يزال أحدهم يقرأ على العلماء (ويتلمذ للفقراء) (٢) حتى تشيب لحيته ولا يبلغ درجة التدريس في العلم ولا الإرشاد في الطريق ثم إذا يوم (القيمة) (٣) تقاسم الناس حسناته في نظير ما سبق منه في حقهم من الغيبة فمثلا هذا خسر الدنيا والآخرة ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على من يدعى الصديق

(١) في الأصل «عليكى» .

(٢) هكذا وردت في الأصل ويجوز أن يكون المقصود (أن يعلم الفقراء) .

(٣) هكذا وردت في الأصل والمقصود يوم القيامة .

فى الارادة من أهل عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك الحمد لله رب العالمين .

(١٩) ومن أخلاقهم شدة محبتهم لكل من تتلمذ لشيخهم لأنه أخوه من الرضاع الربانى على يد شيخه ، فمن كره أخاه وشاحنه بغير حق فلا يرفع له إلى السماء عمل مادام مشاحنا له ، كما صرحت به الأحاديث وذلك كناية عن غضب الله تعالى عليه كما غضب على الكفار، وإن تفاوت الأمر فى ذلك وربما رده الله تعالى بعد طول مجاهداته إلى أسفل من الحالة التى كان فيها قبل المجاهدة وأحبط عمله ، فاعلم^(١) أن من ادعى الصدق فى الإرادة وهو يكره أحدا من اخوانه لحظ نفس^(٢) فهو كذاب لا يفلح أبدا ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على غالب من يدعى صحبة المشايخ على الصدق تجده يكره غالب اخوانه ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٠) ومن أخلاقهم اظهار كراهة من علموا أن شيخهم «يكرهه»^(٣) تقليدا لشيخهم ، كما يقلد طالب العلم إمام مذهب فيما حرره بطريق الفهم من الشريعة ، وإن لم يعرف لشيخه دليلا فإن منصب الشيخ يجل أن يكره أحدا من المسلمين بغير حق لبرأته عن حظوظ النفوس غالبا ، ثم كلامنا إنما هو فى حق الشيخ الحقيقى الذى له قدم المشيخة لا المتمشixin كغالب من برز فى هذا الزمان ، فإن الغالب عليهم الرعونات النفسية وعلامتهم التكدير ممن بلغهم أنه ينقصهم بين المعتقدين فيهم أن لو كان أحدهم ممن حق له قدم الولاية لفرح بكل من ينقصه ورأى أن ما نقصه الناس به لايجب عشر ما يعلمه هو من

(١) فى الأصل (فعلم) .

(٢) هكذا وردت فى الأصل .

(٣) فى الأصل (يكره) .

نفسه ، وقد أجمعوا على أن كل من أحب المدح كره الذم فيه ، ومن كره الذم فيه فلا يستبعد عليه كراهة اخوانه الذين نصحوه ولو بحق فمثل هذا لايجوز لمريده أن يقلده فى كراهته للناس ويصير يكرههم تبعاً له فاعلم ذلك واعرض هذا الحال على المدعين للإرادة والشيخة من أهل زمانك تعرف مقامهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢١) ومن أخلاقهم طيب نفوسهم بمقاسمة اخوانهم فى أموالهم ثم يرون المنة فى ذلك عليهم لاخوانهم الذين قبلوا منهم ، ومتى خطر فى نفوسهم أن لهم منة على اخوانهم فى ذلك خرجوا عن مقام الإرادة ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على المتمشixin من أهل عصرِكَ فضلاً عن المريدين تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

(٢٢) ومن أخلاقهم طيب نفوسهم بمقاسمة اخوانهم فى حسناتهم فى الدار الآخرة ثم يرون المنة لهم عليهم كذلك فى قبولهم لها وهذا أمر يصل المرید إليه فى بداية أمره فليس هو بدرجة عظيمة لأنه أول ما يدخل الطريق يتجلى له أن الله تعالى هو الفاعل والمالك فلا يجد العبد لنفسه فعلاً ولا ملكاً يمتن به على أحد من الخلق وإنما المنة فى ذلك لله رب العالمين .

(٢٣) ومن أخلاقهم أنه يشكر الله الذى أضاف إليه شيئاً يعطيه لاخوانه وكبر به من بينهم فهو كالوكيل فى مال سيد كريم وليس له ملك لشيء مما يعطيه ، فاعرض يا أخى هذا الخلق والذى قباه على كل من يدعى محبتك ، فإن سمح لك بمقاسمتك له فى ماله وحسناته فهو صادق وإلا فهو كاذب ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٤) ومن أخلاقهم بغض أهل المعاصي وأو أحيوهم واعتقدوهم ايثاراً لجَناب الله تعالى فإنه يكره العصاة ، وكيف يدعى مرید الله تعالى الصدق وهو يحب من ييغضه ربه ، وهذا الخلق قليل وجوده فى

مريدي هذا الزمان - لا سيما إن أحسن ذلك العاصي إليهم وافتقدتهم بالهدايا فالصادق من أثر جناب الحق على جناب نفسه ، وذلك ليؤثره الحق تعالى ويقدمه على أقرانه في مراتب القرب ، وكل من أعز الله أعزه الله ومن يهن الله فما له من مكرم ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على غالب مريدي زمانك تجد أحدهم يشكر المحسن إليه ولو كان من شراب الخمر ويذم من ينصحه في دينه ، ولو كان من أولياء الله تعالى وأحذر أن تنسى وأعرض ذلك على نفسك .. والحمد لله رب العالمين .

(٢٥) ومن أخلاقهم محبتهم لكل من يكرهم ويستغيبهم أكثر من محبتهم لمن يحبهم ويذكرهم بخير ويجيب عنهم ويثني عليهم من حيث الأثر في الآخرة ، فإن من يكرهم وينقصهم يحكمهم الله تعالى في حسناته في الآخرة ، ولا شك أن العبد أحوج إلى الحسنات في الآخرة من مدحه ومحبته في دار الدنيا فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٦) ومن أخلاقهم كثرة الاهتمام بأمر عدوهم العاصي أكثر من اهتمامهم بأمر صديقهم (الطائع) لأن صديقهم الطائع^(١) محفوظ من الآفات بطاعته ولا كذلك العاصي وما أعطى الله تعالى المقامات العالية لمن شاء من عبادته إلا ليأخذ بيد (العصاة)^(٢) الهالكين ولذلك كان العارفون يوم القيامة إذا أذن الله لهم في الشفاعة فيمن كان يسيئ إليهم ليزيلوا خجله الذي يقع له منهم هناك حين يرى مقامهم عند الله وصنيعتهم معه من الاحسان ضد ما كان قد فعله شو معهم في دار الدنيا والله يحب المحسنين .

(١) في الأصل (الطائير) .

(٢) في الأصل (العاصاة) .

قلت وقد سمعت سيدى على (الخواص) (١) رضى الله عنه يقول فى العارفين إذا أعطوا مقام الشفاعة فى أهل عصرهم إنما لم يكونوا يبدون فى الشفاعة أن أحسن إليهم المحسن محفوظ بإحسانه من الآفات وليس عنده الكرب الذى عند المسئى العاصى ، انتهى ..

وهذا الخلق من أعظم أخلاق المريدين فاعرض هذا على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٧) ومن أخلاقهم احتمال الأذى من أعدائهم وعدم التوجه إلى الله تعالى فى (الدعاء) (٢) عليهم رضى بتقدير الله تعالى عليهم ، وأن وقع منهم توجه إلى الله تعالى فى حق عدوهم فانما يسألون الله تعالى فى التوبة عليهم من وقوعهم فى أذى المسلمين أو العفو عنهم أن كان قد سبق فى علم الله تعالى عدم توبتهم من ذلك ويحزنون عليهم أشد الحزن لما جبلهم الله تعالى عليه من الرحمة على العباد ، وأعلم أن كل مريد توجه إلى الله تعالى فى هلاك من يؤذيه أو زوال نعمته من مال أو عافية ونحو ذلك فهو كاذب فى دعوى الإرادة فاعرض يا أخى هذا الأمر على من يدعى الإرادة من أهل عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٨) ومن أخلاقهم إذا سمع أحدهم كلاما يوهم النقيصة فى أحد من المسلمين كأن سمع أحدا يقول كبسوه الليلة وأخذوه لبيت الوالى فلا يطلب معرفة مرجع الضمير إلى من يتكلم بل يعرض عن ذلك إلا أن يكون ذلك لغرض شرعى لأن التجسس على معرفة ذلك المكبوس يرجع إلى الغيبة فيه يقينا ، ربما يكون هذا التجسس عدوا له فيكون ذلك عنده أشد من ضرب السيف فيه بخلاف التجسس على

(١) شيخ الشيرازى وقد سبق ذكره .

(٢) الدعاء فى الدنيا .

أخبار الناس المحموده ، كما لو سمع انسانا يقول قام الليلة إلى الصباح يصلى (أو صائم) ^(١) الدهر قلنا التجسس على مرجع الضمير لنعرف مقام ذلك الرجل لنسأله الدعاء والصحبه ليأخذ بيدنا فى عرصات القيامة فاعرض يا أخى هذا الأمر الذى ذكرناه على مريدى زمانك تجد غالبهم يتجسس على عيوب الناس كما ذكرنا ولا يكاد يعرض عن سؤاله عن مرجع الضمير فى قولهم كنسوه ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٩) ومن أخلاقهم أن يروا نفوسهم أخبث من نفوس (سائر) ^(١) الكتب وأبخس وأرذل فلا يتغيرون من عشرة مخنث ولا حشاش ولا مدمن خمر ولا غير ذلك ويرون أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم كلها إذا أذنبوا ، ومنى اعتقدوا فى أحد من العصاة أنه مصر على معصيته فقد أساءوا به الظن وأثموا كل ذلك ليكونوا من أهل التواضع لعباد الله عز وجل وفى الحديث لا يدخل الجنة أحد وفى قلبه مثقال ذرة من كبر ^(٢) يعنى على أخيه المسلم لا يدخل الجنة وفيه ذلك فكذلك لا يدخل حضرة الله تعالى فى دار الدنيا لا فى صلاة ولا فى غيرها ، ومن هم كذلك فهو ملحق بالشياطين فى منعهم من دخول حضرة الله عز وجل ومن هو من اخوان الشياطين فكيف يكون من المريدين الطالبين لطريق الأنبياء والمرسلين .

وقد كان عطاء السلمى ^(٤) رضى الله عنه لا يخدمه فى بيته إلا المخنثون وإذا لاموه فى ذلك يقول والله انهم عندى لأظهر من نفسى

(١) فى الأصل (صائم) .

(٢) فى الأصل (سائر) .

(٣) هكذا فى الأصل وربما المقصود من سائر أهل الكتاب أو أصحاب الكتاب .

(٤) ذكره الكلاباذى فى التعريف والشفاى فى الرسالة وكان من أكابر العباقرة .

ومرادنا بالمخنثين هم أصحاب الأبنة وهى غليان يحصل فى المقعدة من قسم الأمراض ، ومعلوم أن الأمراض لايجوز ازدراء أصحابها وقد جعل الحكماء لازالة ذلك حقنة وهى أن تنقع جلود السمك المملح القديم فى ماء ثم يغلى على النار بعد ثلاثة أيام ويحقن به المأبون فتذهب عنه الابنة بقدره الله تعالى ... انتهى .. فإياك أن تعيب على أصحاب الابنة (فتنهلى)^(١) . ببلائهم كما وقع ذلك لبعض اخواننا فان من عاير ابتلى وإنما الأدب أن يدعوا لكل من ابتلى من المسلمين بمرض فى بدنه أو دينه بأن يعافيه الله منه من غير ازدراء له وإياك أن تجانب أصحاب الكتب ازدراء لهم أو خوفا على ناموسك بين الناس لاحياء من الله عز وجل ، فان ذلك نفاق وربما كنت أنت مرتكبا فى الباطن ما لو أظهرته لرجمك الناس ولم يجالسوك فاعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٠) ومن أخلاقهم دوام شهودهم الفسق فى أنفسهم على الدوام أما فى المعاصى فظاهر وأما فى الطاعات فكما فيها من النقص وترك الحضور والخشوع ومرادنا الفسق اللغوى الذى هو مطلق الخروج عن السنة المحمدية ولو فى مأكله وملبسه ونومه لارتكاب المحرمات يقال فسقت النواة إذا خرجت من قشرها وعلامة المتخلق بهذا الخلق أن لا يتكدر ممن ناداه يافاسق وباقليل الدين ونحو ذلك لأنه صادق عنده ومتى تكدر لم يشم لهذا الخلق رائحة^(٢) . بل من المتكبرين الذين لا يحبهم الله ، وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من أراد أن ينظر إلى فاسق مرأى فليتنظر إلى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(١) فى الأصل (تنبهلى) .

(٢) فى الأصل (رايحه) .

(٣١) ومن أخلاقهم محبتهم لندائهم باسمهم المجرد عن الكنية واللقب ، ويكرهون نداءهم^(١) بالتكنى والألقاب لما يدخلها من الدنس فإن شمس الدين أو سراج الدين لا يصبح له أن يلقب به إلا أن كان يثور على أهل الدين كلهم كالشمس في جميع الدنيا وأما كونه شمس دين نفسه أو سراجة فلا يصح إلا بتأويل بعيد قولاً يخطر على بال المتكلم فإن نداء الشخص باسمه المجرد هو الصدق المحض إلا لفرض شرعى كنداء العالم أو الشيخ مثلاً ياسيدى الشيخ فإن مثل ذلك لا بأس به ، وبالجمله فعلى العالم والشيخ تهذيب نفسه وعلى الطلبة والمريدين اجلاله كما جرى عليه السلف الصالح .

وكلامنا المتقدم إنما هو فى حق الاقران من بعضهم بعضاً والفرق أن (العلماء)^(٢) والصالحين عرفوا نفوسهم فلا يحصل لهم اعجاب ولا كبر بندائهم بالألقاب والتكنى بخلاف المريدين ومحك الصدق فى ذلك من العلماء والصالحين أن يتساوى عندهم الألقاب والتكنى والنداء بأسمهم المجرد ومتى رجح عندهم النداء بالتكنى فهم من قسم المريدين الكذابين لا من قسم الأشياخ الصادقين ، فأعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٢) ومن أخلاقهم عدم الحسد لآخوانهم إذا حصل لهم اقبال من الشيخ أو أصحابه أو معارفه أو غيرهم لأن الحاسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب كما ورد فى الحديث ومن كان معه نار تأكل حسناته أول فأول فكيف يدعى محبة القرب من حضرة ربه عز وجل وهو يتعاطى أسباب الطرد فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العبد عن حضرة ربه عز وجل كما أن كلما تثمر الحسنات من

(١) فى الأصل (نداءهم) .

(٢) فى الأصل (العلماء) .

الطاعات يقرب العبد بها وهذا داء قد عم غالب المريدين في هذا الزمان فقدموا بذلك الترقى لأن الحسود لا يسود فاعرض يا أخى هذا لخلق علي من يدعى (الصدق)^(١) من المريدين في عصرك، تعرف حالهم ، ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٣) ومن أخلاقهم شهودهم ببادئ الرأي إذا وسوس لهم ابليس بمعصية وفعلوها أن ذلك من تقدير الله عز وجل بواسطة ابليس من حيث كونه آلة في ذلك كما أن وسوسة ابليس لهم بالمعصية عن تقدير الله على ابليس كذلك بواسطة المزاج الذى ركبه الله عليه فلا يضيف أحدهم الوسوسة إلى ابليس . يقف معه في ذلك زاعما أن ابليس (منديل)^(٢) هذه الدار تمسح فيه أوساخ الدنس فإن ذلك معدود من الشرك الخفى بالله عز وجل وما رأيت لهذا الخلق ذائقا من أهل عصرى إلا القليل وقد قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)^(٣) فليكن قوله شيئا فيشمل شرك النفس وابليس في العمل ومتى وقع أن بعضهم قال يارب أغفر لى فانك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك شيئا وأنت تعلم أنى لم اشرك بك شيئا وإذا بالهاتف يقول ولا يوم اللبث وكانوا قد قدموا بين يديه لبنا ليشربه فأبى وقال أخاف أن يضرنى فأخذه الله باضافة الضر إلى اللبث فأعلم ذلك وأعرض على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٤) ومن أخلاقهم ماداموا في هذه الدار أن لا يروا أنهم صدقوا مع الله تعالى في حال من الأحوال وذلك ليكون أحدهم منكس الرأس على الدوام حياء من الله تعالى وقد كان السرى السقطى^(٤)

(١) فى الأصل من يدعى (الخلق الصدق) إلا أنه على حكمه الخلق حذف .

(٢) هكذا فى الأصل

(٣) النساء ٣٦ .

(٤) من أكابر الصوفية وضعه كتب الطبقات .

ربهم الله يقول لربهم ثلاثين سنة وأمر الله سبحانه وتعالى
وشار إلى منظر السموات كسودها وأخفاها ، وقد نسي الأشرار على أن
من الأوامر أهل المشورة الإلهية من الله على المؤمنين والعدل بين ربهم الله
من وجل وأما لا يجتمع الأدلال على الله والتقريب أبدا إنما يكون الأدلال
للمحجوبين عن مشاهدته .

وهذا الخلق يخل به قوم كثير حتى ربما يظن بعضهم بنفسه إذا
أدعى بزوال الغلاء أو بطول البقاء لأخذ في ولايته أو بنزول المطر أو
طلوع النيل ، ووقع ذلك أنه بدعائه ، فذلك وهم كاذب ومن أين له ذلك ،
بل كان مالك بن دينار لا يخرج في الاستسقاء إذا دعى إليه ، ويقول
إنى أخاف أن تمطروا حجارة أو تحرموا المطر بحضوري منكم ،
فأعلم (١) أن كل من توهم رضى الله عنه وعمى عن شهود مساوئ
نفسه فهو مغرور ، ومن علامة غروره تكديره بمن نقصه ، ولو أنه
عرف نفسه لرأى جميع ما نقصوه به من بعض صفاته فكان لا يتكبر
من ذلك بل يشكر الله تعالى الذى لم يطلع الخلق على جميع مساوئه (٢)
التي يخفيها عن الناس ويجاهر بها ربه ، فأعرض يا أخى هذا الخلق
على أقرانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٥) ومن أخلاقهم كثرة محبتهم لكل من بالغ في ايذائهم (٣) من
حيث أنه كان سببا لحصول الثواب العظيم لهم ، وإذا مات حزنوا عليه
أكثر من حزنهم على ولدهم وزوجهم وذهب مالهم ، لأن الزوجة والولد
والمال قل أن يحصل للإنسان من جهتهم ثواب ، بل هم إلى الفتنة
أقرب ، وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول من كان له عدو

(١) فى الأصل (فعلم) .

(٢) فى الأصل (مساويه) .

(٣) فى الأصل (ايذائهم) .

يؤذبه فليفرج به ، وليحسن إليه ، فإنه أنفع من أصدقائه إذا الزمار
الذين يمدونه ويخففونه ويدهشونه ، وكان إذا مات لهم عدو يحدون عليه
أناس الذين ويقول لا إله إلا الله مات من كان يحصل لنا بسببه الشكر
رضا لله من وجل ورضا لرسوله ﷺ ، فقلت له مرة كيف ذلك ؟ فقال :
كان يؤذينا^(١) فنحنمله ونكرمه من حيث أنه عبد الله ، ومن حيث أنه من
أمة محمد ﷺ ، فيحصل لنا الرضا من الله ورسوله إذا اطلع على
قلوبنا ، إننا ما احتملناه وأكرمناه إلا لأجل كونه عبده أو من أمة نبيه ،
فأعرض يا أخى هذا الخلق على المريدين من أهل عصرك تعرف
صديقهم أو كذبتهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٦) ومن أخلاقهم تحمل هموم أخوانهم وجيرانهم من المسلمين
إذا نزل بهم هم وعجزوا عن تحمله قياما بواجب حقهم ولا يضحك
أحدهم ولا يتناول شيئا^(٢) من شهوات النفوس مادام بجيرانه وأخوانه
الهم ، كان أخى الشيخ أفضل الدين إذا نزل بأحد من المسلمين كرب
فى سائر أقطار الأرض ، يصير كالذى مات أعز أولاده ، وذهب أكثر
ماله ، فلا يزال كذلك حتى يرتفع ذلك الكرب عملا بقوله ﷺ ، « من لم
يوثم بأمر المسلمين فليس منهم » .

رواه فى توفية الطبرانى ، ومن تحمل الإنسان هم أخيه أن
يساعده فيما عليه^(٣) من الديون ويفك دينه^(٤) عند الحبس أو الترسيم .
اللهم إلا أن يكون ذلك الحبس عقوبة له على ذنب عمله أو تساطيه شيئا
لا يليق عليه به ، كالذى يلتزم فى تخليص خراج السلطان من أولاد

(١) فى الأصل (يؤذينا) .

(٢) فى الأصل (شيء) .

(٣) فى الأصل (ما عليه) .

(٤) زيادة عن الأصل (ليستقيم المعنى) .

الفقراء أو يسلك طريق الأمناء^(١) في ضرب المسلمين وحبسهم وبيع بهائهم^(٢) في الخراج بغير إذنهم فشل هذا لا ينبغي لأحد مساعدته حتى تأخذ العقوبة فيه حدها ، وربما يسعى بعضهم في اخراجه من الحبس مثلاً قبل بلوغ العقوبة حدها ، فاستقبله بلاء من وجه آخر أشد من الأول ، وما ثم انفع لمن كان في ضيق من الاستغفار ويذكر ذنوبه التي فعلها طول عمره ، والتوبة منها . فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على أهل زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٧) من أخلاقهم رجوعهم باللوم على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم ، ولا يدعون على من ظلمهم بل يرون الفضل لله تعالى الذي سلط عليهم ذلك الظالم ليكفر عنهم سيئاتهم ، كمن استحق النار فصولح بالرماد وذلك لأنه تعالى لا يعذب ابتداء وإنما يعذب جزاء كما جرت عليه به عادته تعالى في الدنيا ، وقال تعالى : «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» .

فأعلم^(٣) أن كل مريد اشتغل بمقابلة من أذاه ولو بالدعاء عليه فما عنده من الصدق رائحة^(٤) لأن من شأن المريد الصادق أن يشكر الله تعالى على كل ما قدر ويستغفره من حيث كسبه للمعاص وأن وقع له مأخذة وعقوبة على ذنوبه ، لا يرى أن تلك المأخذة كفرت^(٥) عن سيئاته^(٦) كلها وإنما كفرت البعض ، وأنه يستحق زيادة العقوبة في الدنيا والآخرة ، بل يصير هو يسأل زيادة العقوبة لنفسه ايثار الجناح

(١) في الأصل (الامناء) .

(٢) في الأصل (بهايهم) .

(٣) في الأصل (فأعلم) .

(٤) في الأصل (رائحة) .

(٥) في الأصل (كفرت) .

(٦) في الأصل (سيئاته) .

الحق على نفسه وتعجلاً للتطهير فمثل هذا غياباً عن شهود أن أحدا ظلمه من الخلق كما هو حال العاصي مع الزبانية يوم القيامة ، فلا يرى أن أحدا منهم ظلمه ولا يسمى ظالماً ، وهذا الحال الذى تميز به القوم فى هذه الدار على غيرهم ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على غالب مريدى زمانك تعرف عدم صدقهم ، بل رأيت شخصاً أذن له شيخه فى أنه يسلك المريدين ويرشددهم اشتكى من اغتابه إلى (١) بيت الوالى وغرمه دراهم ، وإذا كان هذا حال من أذن له شيخه أن يسلك الناس فكيف يغيره ، فاعلم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٨) ومن أخلاقهم محبتهم لمجاورة الجار السوء ، وذلك ليتعلموا بعشرتهم الحلم عليهم إذا خالفوا أغراضهم ، ويحوزوا الأجر بالصبر عليهم ويحفظوا غيرهم من الوقوع فى الائم بسببهم ، ممن لا صبر (٢) عنده ولا حلم ، وهذا ما درج عليه المريدون الصادقون خلاف ما عليه الكاذبون وكان مالك بن دينار يشتري الرقيق الذى يخالف سيده والداية الشموص ، ويتزوج المرأة السوء ، ويقول انهم يذكروننى بحلم الله تعالى على ، فأحلم عليهم تخلقاً بأخلق الله تعالى فإنه يحلم على ليلاً ونهاراً وأنا سابع فى ميدان المخالفات والغفلات ، ولو أخذنى لأهلكنى ثم لم يظلمنى شيئاً (٣) ، وكان إذا بالغ عبده فى مخالفة أغراضه يقول ما اشبهك بمالك مع مولاه جل وعلا ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٩) ومن أخلاقهم أن لا يدعوا (٤) أحداً من الأكابر إلى حضور ولائهم إلا لغرض شرعى ، لاحظ للنفس فيه ، وأن أجلوهم عن

(١) فى الأصل (من) .

(٢) فى الأصل (لا صبرة) .

(٣) ورد كذلك فى الأصل (شيئاً) .

(٤) فى الأصل (لا يدعوا) .

الدعاء^(١) إلى مثل ذلك كان أفضل وأكثر أدبا ، وذلك أن المريد الصادق عمله دائما^(٢) على ترك الشهرة ، ومحبة الخفاء ، وعدم إقامة الجاه في قلوب الناس ، ودعاء المريد العلماء والأمراء^(٣) إلى حضور وليمته مما يورث الشهرة والجاه في قلوب الناس ، وذلك من أكبر أسباب الهلاك وربما راج أمر المريد عند الأمراء والأكابر وعظموه أكثر من شيخه فأعجبه ذلك وغاب عنه أن شيخه لو أراد أقبال الخلق عليه لأقبلوا ولكنه دفعهم بقلبه وهرب من تحمل منهم في حضورهم عنده ، والصادق هو من يدفع الأمور المشغلة عن الله تعالى بقلبه من غير لفظ ، حتى ربما سأل الأكابر في الحضور ، ويقبل تعالهم بحضرة^(٤) أقربائه فلم يجبه أحد منهم وكان أخى أفضل الدين يفعل مثل ذلك اخملا لذكره ، وكسرا لنفسه ، وهو دافعهم بقلبه هروبا من منتهم وقد كان سيدي محمد الشربيني^(٥) رحمه الله تعالى يقول اللهم اجعلنا ممن تزهد فيه الدنيا ولا تجعلنا ممن يزهد هو فيها ، فقليل له في ذلك فقال إنما تزهد الدنيا في العبد لعدم وجود محل في قلبه يقيم فيه فقليل له في ذلك فهو ولو قدر أنه طلبها لاتجبه إلى مجيئها إليه ، خلاف من يزهد هو فيها ، فقد يكون لعله دنيوية أو أخروية انتهى ... فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على المريدين من أهل الزمان تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤٠) ومن أخلاقهم محبة رفع كل أحد من أقرانهم فوقهم في الدين والصلاح والعلم ، فضلا عن كونهم يتكبرون معه لشدة محبتهم

(١) في الأصل (الدعا) .

(٢) في الأصل (دائما) .

(٣) في الأصل (العلماء والأمراء) .

(٤) في الأصل (حضرت) .

(٥) من أساتذة الشعراي وذكره في طبقاته .

الخير لجميع أقرانهم وزهدهم في الدنيا ، فلذلك كانوا يحبون رفعة أقرانهم عليهم ، ولا يغفلون عن الدعاء لهم ، بأن يحفظهم الله تعالى من آفات الرفعة والشهرة بالصالح والخير ، وهذا الخلق قد قل المتخلقون به من المريدين وهو من أجل أخلاقهم ، وربما ادعاه أحدهم علما من غير ذوق ، فينبغي على أخوانه امتحانه لله تعالى ليظهروا المكذب ، فيستغفر الله تعالى من الدعاوى الكاذبة ، وذلك بأن يمدحوا أحدا من أقرانه على غفلة ويبالغ في وصفه بالزهد والصالح ، فإن انشرح ذلك المدعى لذلك : وظهرت أسرار السرور على وجهه ، فهو صادق وأن انقبض وعبس فهو كاذب ، فتنبه يا أخى لذلك ، واعرضه على نفسك تعرف صدقها من كذبها والحمد لله رب العالمين ..

(٤١) ومن أخلاقهم أن يقدر^(١) العلماء العاملين بأنفسهم في كل مكروه نالهم ، فإذا بلغهم أن أحدا من المقاريضين ينقص أحدا من العلماء يود أن لو كان ذلك التنقيص وقع له هو دون العالم ، وذلك أن العلماء حملة الشريعة وتنقيصهم بين الناس يقلل الرغبة في امتثال أمرهم بأحكام الشريعة إذا وقع من الناس التعدي هكذا حال المريدين لأنهم لم يشتهروا بحمل الشريعة كما اشتهر به العلماء وهذا الخلق قل من يتخلق الآن من المريدين به^(٢) بل رأيت بعضهم يفرح بتجريح العلماء خوفا أن يعلوه في الجاه والصيت ، ومثل هذا لا يفلح ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه الصلاة والسلام ، لأن عبادته إنما هي بحفظ نفس وما جعل الله الفلاح والنجاح إلا في العمل الخالص الذي ابتغى به وجهه تعالى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على نفسك وعلى من ادعاه من أقرانك واشكر الله واستغفر الله من تقصيرك في حق العلماء والحمد لله رب العالمين .

(١) هكذا في الأصل والمقصود أن يقتدوا العلماء .

(٢) «به» زيادة عن الأصل ليستقيم المعنى .

(٤٢) ومن أخلاقهم شدة كراهيتهم وزجرهم لمن ينقل إليهم نقائص الناس لا سيما أن كان من فقراء الزاوية فربما ألقى إبليس بينهم النميمة حتى خربت الزاوية ، اللهم إلا أن يحكى ذلك الناقل النقص للشيخ ليؤدب من يستحق التأديب فهذا لا بأس به ، بل وبما (١) وجب بخلاف نقل النميمة للمريدين من الضعفاء الذين لا يتحملون الكلام فى حقهم ، فأفهم ذلك واعرض هذا الخلق على فقراء الزاوية تجد لا يسلم من النميمة منهم إلا القليل ، وهو من أكبر طريق لتشويش القلوب وتنافرها ، وذلك موجب لزوال النعمة عن أهل الزاوية فتبطل أورادهم أو يصير أحدهم يتكلف لها مع شغل القلب بالحدق والحسد ، حتى يتمنى كل واحد زوال نعمة أخيه فيجازى بمثل ذلك فتتحول النعمة عنهم كلهم ؛ فاعلم ذلك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤٣) ومن أخلاقهم مسامحتهم لكل من اغتابهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما بلغهم ومما يبلغهم حتى السامعين المصدقين على الغيبة ، لا سيما المقاريض فان حكمهم - لآخرة حكم من أربكته (٢) الديون من سائر الخلق وداروا حوله يطلبون منه ديونهم مع أفلاسه ، ومثل هذا ينبغى لكل من عنده طرف من الفتوة أن يسامحه بدينه رحمة به ، فانه أهل بلاء وقد قال ﷺ «أرحموا أهل البلاء» (٣) . وقال سيدى الإمام النووى رحمه الله عن شخص مشهور بالفتوة وله دين على معسر فضيق عليه فى الطلب فهل يقدح ذلك فى فتوته ؟ فقال : نعم يقدح ذلك فى فتوته .. انتهى ، وأهل الله تعالى كلهم فتيان أهل مرؤه وإنما

(١) الواو زيادة عن الأصل ..

(٢) فى الأصل (أو تكبته) .

(٣) ذكره السوطى مع تنبيه فى اللفظ .

يسامحون من اغتابهم من غير علمهم أو بعد موتهم مباينة في الرحمة ، ولأنهم أن الله يأخذ لهم حقهم منهم سواء بلغهم أم لم يبلغهم لأنهم وإن لم يكتفوا يعلمونها فالله يعلمها ، فأحتاطوا لأخيهم أنسلم وسامحوه فيما يقع فيه بعد موتهم من الغيبة ليحوزوا بذلك الأجر ، ويرزحوا أخاهم من الوقوف من أجلهم للحساب ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٤) ومن أخلاقهم شفاعتهم عند الحق سبحانه وتعالى في كل من أذاهم بغيبة أو غيرها في دار الدنيا بعد مسامحتهم له خوفا أن لا يكون الحق تبارك وتعالى قبل مسامحتهم له فيسألون الله تعالى أن لا يؤاخذهم من جهتهم ، وأن يعفوا عنه من حيث تعديه حدود الله تعالى بالإذن لعباده من غير طريق شرعى ، فان لكل معصية حقين حق الله وحق لعباده ، فمسامحة العبد إنما هي في حقه دون حق الله تعالى ، وهذا الخلق من أحسن أخلاق المريدين فأعرضه على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك فان من سامح سوامح ، ومن شاحح شوحح ، والحمد لله رب العالمين ..

(٤٥) ومن أخلاقهم مسامحتهم لجميع هذه الأمة المحمدية في كل حق لهم عليهم ، ولا يطالبون أحدا منهم بحق في الدارين ولو جاعوا يوم القيامة فقراء من الحسنات ، كل ذلك اكراما لعباد الله من حيث كونهم عبيده تعالى ثم اكراما لمحمد ﷺ من حيث كونهم أمته ، لا لعله أخرى من طلب ثواب أو غيره فان عبيد الثواب معدودون من الاناث^(١) المحبين للحلية والزينة بين العباد ، وأهل الله تعالى فحول لا يطلبون سواء ولا يؤملون إلا اياه ، ولا يرون لهم معه ملكا في الدارين وجميع ما يعطيه لهم يخرجون عنه إليه تعالى فورا ، ولا يثبتونه لهم إلا

(١) في الأصل الاثان والمقصود الاناث جمع أنثى .

بقدر تحقق نسبة العطاء لهم^(١) وذلك ليظهروا كرم الله سبحانه وتعالى عليهم لا غير ، فسواء^(٢) أعطاهم الدنيا والآخرة أو منعهم منهما هو عندهم سواء ، لشهودهم الملك في ذلك لله تعالى لا لهم فهم يأكلون ويلبسون في الدارين من مال سيدهم ، ويسكنون في داره^(٣) صدقة منه عليهم من غير شهود استحقاقهم لشيء من ذلك فاعلم أن من عفى عن من ظلمه لطلب الأجر والثواب ، فهو لم يشم من طريق الأدب مع الله تعالى رائحة ، فاعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٦) ومن أخلاقهم الأكثر من مراقبة الله عز وجل بقلوبهم في جميع حركاتهم وسكناتهم على حكم مصطلح المتصوفة شيئا فشيئا ، فلا يزال أحدهم يتدرج في المراقبة من درجة إلى درجتين إلى ثلاث أو أربع إلى عشر الليل أو النهار إلى خمسة إلى ربعة إلى ثلثة إلى نصفه إلى ثلاثة أرباعه إلى أن لا يصير له ساعة غفلة عن الله تعالى إلا بقدر ما يسامح فيه البشر ، إذ مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر عامة وإنما ذلك من مقام الملائكة^(٤) والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم ، وإنما قلنا أنفا على حكم مصطلح المتصوفة ولم نقل الصوفية لأن الصوفية هم كمل العارفين ، وكل من عرف الله تعالى عرف أنه لا تصح له مراقبة حقيقة ، لأن المراقب ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية^(٥) ، وتعالى الله عن ذلك عند العارفين ، فهم مع نظر الله تعالى المحقق إليهم لا مع نظرهم المتوهم ،

(١) في الأصل (العطاء) .

(٢) في الأصل غير واضحة .

(٣) يقصد الله تعالى .

(٤) في الأصل كذلك «ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية» .

(٥) حديث متواتر .

وقد أشار في الحديث إلى مقام المتصوفة والصوفية بقوله «أعبد الله كأنك تراه»^(١) وهذه درجة التعليم ثم يترقى منها إلى درجة الإلهام وهو أن يعلم أن الله يراه دون أن يراه هو وهذا أكمل في التنزه . وفي بعض الهوائف الربانية يقول الله عز وجل : «إذا كان كل شيء خاضعاً ببال العبد فأنا بخائفه فكيف تصح له مراقبتي»^(٢) .

انتهى .. فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٧) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم محتاطاً لنفسه فلا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة ، فإن كل من بقيت عليه بقية من حقوق الناس أو حقوق الله تعالى ، فبعد عليه أن يحصل على طائل^(٣) ، ولو كان شيخه من أكبر العارفين ومن هنا كان الشيخ الحاذق لا يدخل العهد على مريد إلا بعد توبته ، ورد المظالم إلى أهلها ، فإن غالب المريدين لا يهتدون لهذه التوبة ويعتمدون على شيخهم فيدخلون عليه التعب ، وهذا من باب قوله ﷺ لمن سأله مرافقته في الجنة :

«أعنى على نفسك بكثرة السجود»^(٤) .

فحوله ﷺ عن الركون إليه جملة ، وأمره بمساعدته على تحصيل ما يريده ، وهذا الخلق قد قل من يوفى به من مريدى هذا الزمان ، فلا المريد يحتاط لنفسه ويتوب قبل أن يدخل في العهد خوفاً أن يلعب بالطريق ، ولا الشيخ نفسه يسأل المريد عن شروط التوبة لا سيما أن

(١) حديث متواتر .

(٢) حديث صحيح .

(٣) في الأصل (طائل) .

(٤) حديث صحيح .

كان الذى يأخذ العهد جلس بنفسه من غير إذن من شيخ الغالب عليه التلبس على نفسه وغيره ، فليتنبه^(١) لذلك والحمد لله رب العالمين .

(٤٨) ومن أخلاقهم شدة اقبال أحدهم^(٢) على الاشتغال بعلاج نفسه ورياضتها دون الاشتغال بعلاج غيره ، لأن هذه إنما هى وظيفة الأشياء أما المریدون فمن الأدب اقبالهم على ما يتعلق بنفوسهم دون غيرهم ، وهذه مكيدة لا يتنبه لها غالب المریدین فیصیر یشارك^(٣) اخوانه بالموعظة والارشاد ، وهو نفسه لم يتخلق بذلك وقد أجمع الأشياء على أن المرید لا ينبغي له أن يكون مؤدبا للأطفال ، خوفا أن يسرقه حب الرياسة ، فلا يصير يفلح على يد أحد ، وكذلك لا ينبغي للمرید أن يكون خطيبا ولا واعظا ولا مدرسا إلا أن أذن له شيخه فى ذلك ، وأمن عليه من الاعجاب والكبر ، وقد كثرت هذا الأمر فى مریدی هذا الزمان حتى ربما ادعى أحدهم أنه أعلم من شيخه لا سيما أن كان عنده علم من طرف العربية وسار يرد على شيخه اللحن فانه يتلف بالكلية ، وقد صلى جماعة من الفقهاء خلف حبيب العجمي^(٤) ثم اعدوا الصلاة وقالوا أنه يلحن فلما فارقه اقيهم السبع فأراد أن يأكلهم ففروا راجعين إلى الشيخ فخرج معهم إلى السبع فمسكه وعرك أذنه . فزأى السبع وقال له ، أما قلت لك مرات لا تتعرض لضيفانى ثم قال لهم اشتغلتم بتقويم اللسان فحفتكم من الأسد وأشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد انتهى .. وكذلك وقع اسيد ابراهيم المتولى رضى الله عنه

(١) هذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل اقبالهم لاحدهم .

(٣) فى الأصل (يشارق) .

(٤) يظهر من السياق أنه حبيب المجذوب الذى ذكرته كتب الطبقات وهو فى زمن الشعراى وكان يقول على الخوامس حبيب حية رقطاء ولا كرامة له إلا فى أذى الناس وهو مدفون بباب الشعرية بالقاهرة .

أنه صلى ، ورأه فقيه فى صلاة المغرب فتخيل له أن الشيخ يلحن فنوى
المفارقة فلما سلم الشيخ قال له : يا فقيه اللقمة الكبيرة تقف فى الحلق
فشهد تلك الليلة رورا ، وأخذ عشرين دينارا ممن شهد له ، فحرسوه
وعزله السلطان قايتباى عزلا مؤيدا إلى أن مات انتهى .. وكذلك وقع
الشيخ على المحلى أن شخصا من أهل دمياط صلى خلفه ، فلم تعجبه
قراءاته ، فلما سلم أنكر عليه وقال للشيخ : ايش مذهبك ؟ فقال
حنشى فازداد انكاره على الشيخ ، وقال : هذا لا يعرف اسم مذهب
فقال له : قل حنفى ، فقال : بل حنشى ، فقال : ما معناه ، فقال : أن
أنفخ عليك فتموت فننفخ عليه من بعيد فوق مينا ، والحكايات فى ذلك
كثيرة ، فاعلم ذلك واعرضه على مريدى زمانك ولا تنسى نفسك
والحمد لله رب العالمين .

(٤٩) ومن أخلاقهم أن يكثر أحدهم من مراقبة شيخه^(١) حتى
يصير مشهود له على الدوام ليلا ونهارا حتى انه لا يتكلم حتى يستأذنه
بقلبه ، ولا يسكت من ذكر أو علم حتى يستأذنه كذلك ، وهذا من
أعظم أخلاقهم ومن لم يكن كذلك فبعيد عليه أن يترقى إلى مراقبة ربه
عز وجل ، وهذا الأدب واجب على المريد مادام يجهل ربه ، فاذا عرف
ربه المعرفة المشهودة بين القوم صار هذا الأدب مستحبا فى حقه ،
لأنه حينئذ يجد معية الحق تعالى سارية مع جميع الوجود ، فما من
موجود إلا والحق تعالى معه ، يمدده بالوجود والإنخفاض والصعود ،
فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا
تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٠) ومن أخلاقهم مخالفة أحدهم هوى نفسه على الدوام ما لم
يكن له شيخ فان كان له شيخ فهو تحت اشارته وليس له العمل بهواه

(١) هذا الخلق فى جميع الطرق .

مادام تحت يده ، فإذا خرج من تحت يده ، رجع إلى الميزان كان له قبل دخوله فى يد الشيخ ، فإذا أعجبت زوجته طلقها ، أو جوخته تصدق بها ، أو عمامته أهداها ، أو وظيفته أو خلوته أسقط حقه منها ، أو ماله خرج عنه للفقراء^(١) ، كل ذلك احتياطيا لنفسه خوفا أن يشغله عن ربه فيستحق المقت ، وهذه هى طريق المحبين لله عز وجل الذين تطرى لهم منازل الطريق ، وأما من أقام مع زوجته التى تشغله عن ربه عز وجل ، أو أعجب بشئ من أحواله ، فهو كاذب فى محبة ربه عز وجل ويأطول^(٢) تعبته وتعب شيخه فيه ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥١) ومن أخلاقهم حفظ أحدهم قلبه مع شيخه من حين يدخل فى عهده إلى أن يموت لا يدبر عن محبته طرفة عين ، ولو هجره أو طرده لا يحول عنه أبدا ، فان الاعراض عن الشيخ كالردة من آداب الطريق ، وقد قال شيخ أهل الطريق أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه ، لو قبل عارف على ربه عز وجل ألف سنة ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاتته فى^(٣) تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها انتهى .. وكذلك القول فى الأدبار عن الشيخ لأنه مرتبة ادمان^(٤) دون الله عز وجل ، فمن تم اقباله على شيخه فقد استحق الترقى إلى مقام الاقبال على ربه ، ومن لا ، فلا فإياك يا أخى أن تتكدر من شيخك إذا طردك عن بابيه بغير طريق تعرفها أنت ، وتصير تحقد فى قلبك على شيخك ، أو تشكوه فى نفسك ،

(١) فى الأصل الفقراء .

(٢) هكذا فى الأصل .

(٣) فى زيادة عن الأصل ليستقيم المعنى .

(٤) ادمان هذا فى الأصل .

فلا عن الناس الأجانب وفضلا عن أعداء الشيخ ، فانك تمقت مقتا لا تفلح بعده أبداً كما وقع ذلك لبعض من يدعى أنه من جماعةنا فاعلم ذلك وأعرض هذا الخلق على مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٢) ومن أخلاقهم أن لا يجعل أحدهم نفسه شيخاً له مع شيخه فيصير يعرض عليها كل شيء أمره به الشيخ أو نهاه عنه كالمستشير لها هل أوافق شيخى فى ذلك أم أخالفه وقد أجمع الأشياخ على أن من لم يبادر إلى امتثال أمر شيخه أو نهيه فوراً فيفعل ما أمره به وينتهى عما نهاه عنه من غير تهاون ولا اترو فيه فهو مخدوع لا يجيئ منه شيء فى طريق أهل الله عز وجل وقد قال الأشياخ لا يجوز لمريد أن يكون له شيخان لأن أمر الطريق مبنى على التوحيد فكما أنه لم يكن وجود العالم عن الهين ولا التكليف بين رسولين ولا المرأة بين زوجين فكذلك المريد لا يكون بين شيخين ، وينبغى أن يستثنى من كلامهم رسالة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام فان تكليف قومهما كان بين رسولين بنص القرآن ثم أن كلامنا إنما هو فى حق الشيخ الحقيقى والمريد الحقيقى ومن لم تجتمع فيه الشروط منهما فلا حرج عليه فى اتخاذه عدة أشياخ يرشدونه إلى الخير كما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين شغلهم أن كل من مال عن قول شيخه الحقيقى إلى قول نفسه أو قول غير شيخه سرا أو جهرا فهو كاذب فى محبته الطريق لايجيئ منه شيء فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف هل وافق به أم لا ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين.

(٥٣) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم أبعد الناس عن الوقوع فى خرق اجماع أهل الطريق لأن الاجماع كنص الشريعة على حد سواء وهو لما لم يجمعوا عليه أشد تهاونا وقد أجمعوا على أن ترك العبد فضول الدنيا محمود فى جميع الملل فلو كان الفضول شئ يده يخرج

عنه وإن لم يكن فى يده لا يسعى فى تحصيله وما أمر الله الناس بالاكْتِسَابِ الا ليكفوا به نفوسهم عن سؤال الناس بشرط أن لا يشغلهم عن عبادة ربهم كما قال تعالى فى حق الكمل مباحا لهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار» الآية فمن الهته الدنيا عن ذكر الله تعالى وما ذكر معه فطلبه للدنيا مذموم وليس له فى الرجولية نصيب وقد نقل الشيخ محى الدين^(١) فى الفتوحات اجماع جميع الملل على ذم محبة الدنيا فقال اجمع أهل كل ملة على أن الزهد فى الدنيا مطلوب وان اخراج العبد من يده ما زاد عن حاجة^(٢) يومه وليلته محمود عند الله تعالى ورسله وصالح المؤمنين انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك هل وفوا به أم لا تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٥٤) ومن أخلاقهم أن يرتكب أحدهم أثقل الأمرين أو الأمور على النفس فانه لا يشتد عليها إلا ما هو الخير لصاحبها وذلك لأنها تطلب أن لا تدخل تحت أمور بها أبدا وذلك لسر لا يذكر إلا مشافهة لأهله ، وفى بعض الكتب الالهية أن الله أوقف النفس بين يديه بعد أن خلقها وقال لها من أنا فقالت له تعالى أنت أنت وأنا أنا فغمسها الحق جل وعلا فى بحر الجوع والبلاء خمسة آلاف سنة ثم قال لها من أنا فقالت له أنت ربى لا إله إلا أنت انتهى .. ثم لا يخفى عليك ، يا أخى أن ذلك شأنها مادامت تسمى نفسا فإذا انجلت وصارت روحا أو قلبا أو سرا فهناك لا يصح منها أن تأمر صاحبها إلا بخير سواء أخف عليها أم ثقل وايضاح ذلك أن النفس حيث أطلقت فى كلام القوم

(١) الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى أو بن العربى صاحب الفتوحات المكية .

(٢) فى الأصل حاجته يومه .

فالمراد بها المحجوبة عن حضرة الله تعالى برعوناتها البشرية وهي المرادة في هذا الخلق فإذا انجلت زالت حجبها وصارت ملكية فيجب على صاحبها موافقتها لكونها صارت لا تأمره إلا بما يأمره به ربها عز وجل كما هو مشهور بين أهل الكشف فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم حتى لا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٥٥) ومن أفتلقهم أن يحن أحدهم إلى غروب الشمس ودخول الليل كما تحن الوالدة إلى الاجتماع بولدها بعد غيبته الطويلة أو كما يحن العطشان الذى أشرف على الهلاك إلى الماء وذلك لأن الله تعالى جعل النهار للمعاش وللإجتماع بالناس وجعل الليل لمعادته ومناجاته والسهر معه وهذا دأب المريد مادام سالكا فإذا بلغ درجة الكمال تساوى عنده الليل والنهار فى الحضور مع الله وصار لا يشغله عن الله شاغل ويحن إلى كل وقت من ليل أو نهار فعلم أن كل مريد لم يحن إلى دخول الليل لأجل السهر فى العبادة فهو كاذب فى دعواه الإدارة وفى بعض الكتب الالهية يا عبدى جنت النهار لمعاشك وجعلت الليل للسهر معى فاشتغلت عنى بالنهار ونمت عنى بالليل فخرست مجالستى فى الدارين انتهى . لأن العبد لا يجالس ربه فى الآخرة إلا فى مثل الوقت الذى جالسه فيه فى دار الدنيا غير أن مدة مجالسة العبد لربه فى الآخرة أطول زمنا فعلم أن مثل مجالسة العبد ربه فى الدنيا كالنواة التى تنبت منها النجم والشجر وعلم أن كل ساعة لم يجالس العبد فيها ربه فى الدنيا فلاحظ له فى مجالسته فى الآخرة وإن كل من جالسه مقدار درجة مثلا امتدت له مجالسته تعالى فى الآخرة بقدر همته وعزمه فى دار الدنيا هكذا ذكره أهل الكشف ويؤيده قوله تعالى: **«إنما تجزون ما كنتم تعملون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»** وذوهما من الآيات وقد يتفضل الله تعالى على بعض عباده بالمجالسة له فى

وقت لم يكن جالسه فيه فى الدنيا لأنها دار خرق فيها العوايد فاعلم ذلك وأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٦) ومن أخلاقهم أن يتقيد أحدهم بظاهر الكتاب والسنة ولا يتزين برأى لم يجد له دليلا ولا يدعو بدعاء مخترع بصلاته^(١) قط لأنها حضرة الله تعالى وحضره رسوله ﷺ وقد ورد فى السنة ما يغنى العبد عن الادعية المخترعة فلا ينبغى لأحد مزاحمة^(٢) الشارع فى التشريع فيكون مبتدعا بحضرته مع قدرته على الوصول إلى اتباعه بحفظ أدعيته الماثورة عنه وكل من تأمل أن المخترعين للأدعية^(٣) فيما ورد عن رسول الله ﷺ وجده أعم وأكمل من كل شئ اخترعه هو لأن دائرة علمه ﷺ بأحكامه أوسع الدوائر فجميع الأنبياء والأئمة محبوبون فى دائرته ﷺ وأيضا فإن الدعاء بما ورد مرجو الإجابة لأن الله تعالى ما أمرنا بالدعاء إلا لأنه يريد بخلاف الدعاء الذى اخترعناه فقد لا يجيبنا الحق فيه لاختراعنا^(٤) وسوء أدبنا مع رسوله ﷺ بعد أن علمنا قوله ﷺ ما تركت شيئا بقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه ، انتهى .. فعلم أن كل مريد تقيد فى أعماله وأقواله وعقائده على الكتاب والسنة فهو أسرع فى سيره إلى حضرة ربه ومن هنا طالت الطريق غالبا على المريدين وماتوا ولم يصلوا إلى مقامات الكمال لسلوكهم بالآراء والبدع فاعلم ذلك وأعرضه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) بقصد بصلاته بالحق تعالى .

(٢) مزاحمة مطموسة .

(٣) فلاذعية مطموسة .

(٤) مطموسة وظاهر من السياق أنها لاختراعنا وسراء أدبنا .

(٥٧) ومن أخلاقهم ألا يتعاطى أحدهم أسباب الشهرة ولو بميل نفسه إليها حتى أن بعض الصادقين لما طفح النور على وجهه من كثرة الأعمال الخالصة وتميز بذلك بين الأقران سأل الله تعالى في سجوده أن يحول ذلك النور من وجهه إلى قلبه فحوّله الله تعالى في الوقت لموضع صدقه ومما وقع اني كنت جالسا عند سيدي على الخواص^(١) رحمه الله تعالى فمر علينا رجل والنور طافح من وجهه فقلت للشيخ انظر ياسيدي شدة هذا النور الذي على وجه هذا الرجل فنظر إليه وقال اللهم اكفنا السوء فقلت له كيف فقال ان الله إذا أراد بعبد خيرا جعل نوره في قلبه ليعرف ما يأتي وما يذر من الأعمال وإذا أراد به بسوا جعل نوره على وجهه وعرا قلبه من النور فهو يقع في كل محذور ولا يهتدي لتركه فقلت له فان جعل الله النور على وجهه من غير واسطة ميل إلى ذلك فقال أن العبد لا يأتيه شيء من خير وشر إلا مع مقدمات النفس إلى ذلك ومن هنا وقع التكليف وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول أيضا من شأن المرید الصادق أن يدفع أسباب الشهرة عنه بالقلب فلا يظهر على وجهه قط نورا ولا يقبل أحد يده فضلا عن رجليه والكاذب يقبل ذلك فعلم أن العبد لو حقق النظر في كل ما يقع على يده لوجده إنما يصل بواسطة محرم يقبل عليه^(٢) ، فاعلم ذلك واعرض يا أخي هذا الخلق على اخوانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٨) ومن أخلاقهم أخذهم بعزائم^(٣) الشريعة ولا يزالون^(٤) لرخصها إلا عند الضرورة وذلك لأن الرخص إنما جعلت للضعفاء من

(١) هو استاذ الشعراني وقوله انني كنت جالسا عند سيدي على الخواص تأكيد نفسه هذه الخطوط إلى الشعراني .

(٢) في الأصل (إليه) .

(٣) في الأصل غير واضحة وظاهر أنها بعزائم وكذا يظهر في السياق .

(٤) في الأصل (يزالون) .

القوم وأصحاب الأشغال الشاقة ، وأما الفقراء فليس لهم إلا الأشتغال بالله تعالى وقد أجمعوا أن الفقير إذا انحط من عزائم الشريعة إلى رخصها فقد فسخ عهد شيخه الذى كان عاهده عليه من اقتحام الشدائد لأن المحب للعبادة لا يصرفه عنها صارف ولا تردده عنها السيوف والمتالف كالجهاد فى سبيل الله على حد سواء واعلم أن المريد متى أكل أو لبس مما فيه شبهة مثلاً كطعام المباشرين وأعوان الظلم من غير ضرورة فهو بطل لا يجئ منه شئ فى الطريق فلينفذ شيخه يده منه فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى أهل عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٩) ومن أخلاقهم أن يكتم أحدهم أعماله الصالحة من النوافل عن الناس ولا يظهر شيئاً منها حتى يتمكن فى الطريق وقد أجمع الأشياء كلهم على أن كل مريد أحب الظهور ونشر الصيت بين أقرانه فهو كاذب فى محبة طريق أهل الله تعالى والكاذب لا يصلح للطريق وقد أجمعوا على أن مريد بنى أمره على الكذب لا يصلح له أن يشم من الصدق رائحة كما أن من بنى أمره على الصدق فهو محفوظ من الدعاوى الكاذبة إلى أن يموت وذلك أن شجرة الكذب لا يمكن لفروعها أن تخرج عن أصولها وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من أقوى سلاح الشيطان على المريد أن يتغير من الناس إذا اتهموه^(١) فإذا فعل ذلك وقد أعطى الشيطان سلاحه الذى يقتله به وكفاه المؤنة انتهى . فعلم أن كل مريد رمى بفاحشة أو رياء أو زندقة وتغيرت منه شعرة^(٢) فهو كاذب فى محبة أهل الطريق لأن الصادق لا يراعى إلا الله عز وجل ولا يلتفت إلى ذم الخلق ولا إلى مدحهم فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) مطموسة فى الأصل ووضعت ليستقيم السياق .

(٢) فى الأصل شعرت .

(٦٠) من أخلاقهم أن يعتنى أحدهم بالعبادة والاقبال على حضرة ربه بعد الصبح وبعد العصر أكثر من اعتنائه بما ذكر في غير هذين الوقتين كما درج عليه الصادقون فكان أحدهم إذا صلى الصبح أو العصر يستمر في العبادة إلى طلوع الشمس أو غروبها ولا يصير له التفات إلى شئ من أمور الدنيا وذلك لأن ملائكة النهار ينزلون من طلوع الفجر وملائكة الليل ينزلون من صلاة العصر فيجتمعون مع ملائكة الليل وملائكة النهار فيصير على العبد في هاتين الوقتين للحظتين أربع من الملائكة يشهدون عليه عند الحاجة إذا وقع أنه كذب الملكين الموكلين به في ليل أو نهار وهذا الخلق قل من يتنبه له المريدين بل بعضهم ربما كان في هاتين يضحك ويلعب أو يتعاطى شيئاً من المحرمات وذلك في غاية سوء الأدب وقلة الحياء كمن يرسل الله تعالى له أربعة أملاك يأتون بصحيفته ليعرضوها على ربه فيرسل لربه ضحكا أو لعباً أو معاصي يستحى من ذكرها فضلاً عن الوقوع فيها وقد ادكت سيدى محمد بن عنان وسيدى على الخواص رضى الله عنهما إذا صلى أحدهما^(١) الصبح أو العصر يصير كأنه لا يعرف أحد من الخلق ولا يجيبه بكلمة لغو حتى تطلع الشمس ويصلى الضحى أو حتى^(٢) تغرب الشمس ويصلى المغرب وكانا يذكران أن ذلك شأنهما من حين كانا في سن الصبا فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦١) ومن أخلاقهم مادام أحدهم قاصراً أن لا يتزوج غير واحدة ثم إذا ترقى في المقام تزوج أخرى إن شاء ثم هكذا إلى الأربع وليس

(١) فى الأصل (أحدهم) .

(٢) فى الأصل أو ربما المقصود صلاة الصبح حتى شروق الشمس وهذا واضح من السياق

له التزوج بأكثر من واحدة إذا خاف على نفسه عدم القيام بالعدل بينهما أو بينهما لأن التزوج أكثر من واحدة إنما يكون لأن أحدهما من نفسه الترقى إلى مقامات الرجال وشهود مشاهدتهم لهذا لا يضاف عليه عدم العدل بين النساء لأنه حينئذ محفوظ بفائدة الله من الزيف لغيره من حظ نفسه فإن الكاين لا يتزوجون إلا بحسن رضى رسول الله ﷺ بامتنال أمره في قوله تزوجوا الولدان فاني مكاثركم بهم يوم القيامة فلا يتزوج اقضاء شهوة نفسه من جماع أو حصول أولاد لأن ذلك إنما محلله الدار الآخرة فإن أهل الجنة يتكثرون لمجرد اللذة دون النسل وقد يكون يجعل الله تعالى مثل ذلك الذي أحسن في هذه الدار من غير أن ينقص لهم أجر قطم أن من كان مشهده امتثال أمر رسول الله ﷺ بالتزوج بأكثر من واحدة فلا حرج عليه لأن مراعاة خاطر رسول الله ﷺ أولى من مراعاة خاطر امرأة قد تكون فاسدة لا تصلى لربها ركعة مع أن كل من تزوج امتثال أمر الله تعالى دون حفظ النفس محفوظ من الجور وعدم العدل بنقص الحديث وهو قوله ﷺ فيما رواه البيهقي وغيره من تزوج لأنه كفى وذكر الشيخ محيي الدين في الفتوحات (١) أن من شأن القطب الخوف محبة النكاح لما فيه من التحقق بالعجز الذي هو أكبر أوصاف العبودية ، فتراه يفتني العبد عن شهوة نفسه حال الوقاع ويقهره تحت الحجاب .. انتهى . وهذا مشهد خاص بالأقطاب وقد يعطيه الله تعالى لمن شاء من عباده فعلم أيضا أنه ليس للمريد أن يتشبه في ذلك بالأشياخ الذين يتزوجون فوق الواحدة لحفظهم من الجور دونه ، قالوا وليس في قواطع الطريق قاطع أقوى (٢) من الجماع قريبا يجمع أحدهم المرة الواحدة فتزد ،

(١) الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن العربي .

(٢) في الأصل (أقوى) .

تلك المرة إلى أنزل من مقامه قبل دخول الطريق كما جرب فليكن المرید
على محذري من كثرة الجماع فاعرض يا أخى هذا الخلق على مریدی
مستشاراً فتعرف محالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦١) ومن أخلاقهم أن لا ينام أحدهم فى بيت فيه جنب لقوله ﷺ
لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب . انتهى ومعلوم أن الملائكة إذا لم تدخل
ذلك البيت فهو مأوى الشياطين ، فينبغى للعبد إذا جامع واغتسل دور
زوجته أن ينام فى مكان آخر إلا لضرورة شرعية ، وهذا خلق ما رأيت
له ذائقاً إلى وقتى هذا ، فاعمل به والحمد لله رب العالمين .

(٦٢) ومن أخلاقهم أن لا ينام أحدهم إلا عن غلبة لأن النوم بين
يدى الله تعالى عيب يجبر إلى المقت لعدم تعظيم حرمة ربه ، وإذا أطلع
الله تعالى على قلب مرید ، فرأى فيه قلة التعظيم له ، يمقته ، لا سيما
إن نام من غير غلبة واخوانهم مستيقظون مع الشيخ ، فإن ذلك يزيده
مقتاً فإن الإنسان ربما يكسل إذا رأى اخوانه نائمين فله رائحة عذر
بخلاف ما إذا رآهم مستيقظين ، وربما نظر الشيخ إلى نومه عيباً
فمقته ، غيرة لجناب الله عز وجل فلا يفلح بعدها أبداً ، فإن مقت الله
تعالى أحق من مقت الشيخ لغلبة رحمة الله تعالى على غضبه فمقته
مخلوط برحمة ولا هكذا مقت العبد لبعض الفاسقين لأنه لا يكاد يوجد
فيه رحمة بل هو محض انتقام ، كما سيأتى ، ومن هنا يعلم معنى (١)
قول أبى يزيد (٢) حين سمع قارئاً يقول : «إن بطش ربك لشديد» ، فقال
بطشى أشد من بطش الله تعالى أى بطش الله مخلوط برحمة لأن

(١) فى الأصل (معنا) .

(٢) يقصد الشعرانى أبى يزيد النسطائى من كبار الصوفية قيل مات سنة إحدى وستين
ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين ومن أقواله «أخذتم علمكم ميتاً عن حياة وأخذنا علمنا من
الحى الذى لا يموت» .

الربوبية لا تنتقم لنفسها ، ولا هكذا بطش العبد ، فإنه محض إنتقام لا يشوبه رحمة فتحملة الفيرة أله تعالى أن لا يكون له رحمة لمن عصاه ، كما هو مشاهد في حق السلطان فريدا قتل نفسه في كلمة قالها إنسان في سقته ولم يكتف بهيبته وبه بريته ، فأتهم رب الله أنى لأفكار الله تعالى في ليلة الجمعة التي فسيبها مع الأخوان وأسكن كل من رأيته نام من غابة شمسيع وأثر المقت على وجهه لا يخفى إلا على أهوى القلب كما في أمد كل من رأيته سهرانا فأسير أمده بمدى إلى الصباح ، مكس من أمقته نأتى أمده بمقت بعد مقت إلى الصباح ، ويمشى الله تعالى الأمر في كل من الشخصين ، وقد تناعس بعض الأخوان ليلة فوضعت يدي في كفه كبريئة الذي يعد له نراهم فاستيقظ وطار النوم من عينيه وذلك لغلبة محبته الدنيا على محبة ربه في قلبه ، وربما يقول أحدهم انى مغلوب في محبتى للدنيا وتقديمها على الآخرة ، فنقول له ادخل في يد الربى يوصلك إلى مقام يزول فيه حب الدنيا من قلبك ويسكن محبة الله عز وجل ، فإنه لا يبعد مع الربى مقام إنما يكون ذلك عند فقد الربى ، أو مع وجوده وعدم السماع لقوله ، واعرف جماعة يخادعون الله ويخادعوننى ويدعون النوم للعبه أوقات الذكر والخير وإذا عمل أحدهم مولدا أو عرسا يصير سهران تلك الليلة لا يأخذه نوم للقوة^(١) الداعية إلى الدنيا وضعفها في أعمال الآخرة ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤) ومن أخلاقهم عدم تعلق أحدهم من وقوعه في الشدائد التي تطرقه أوائل^(٢) دخوله في الطريق ، فإنه لا بد لأهل الله تعالى من وقوع

(١) في الأصل (لغة الداعية) .

(٢) في الأصل (أوائل) .

ذلك لهم شاعرا (١) أم أبوا ، لأبيهم أهل دعوة لمحبة الله تعالى في بدايتهم وكل مدع ممتحن ، فالذي زال أحداهم يبتلى حتى تنزل عنه جوعه ومعاري الشهرة للناس ثم يبتلى من بعد ذلك من حيث سريره والذي زال كذلك حتى يدخل الجنة ، هذا ما عليه عامة المتدبرين أما على مذهب الحققين فما من أحد إلا وهو مدع ولو أرفقت درجته لأن الصفات البشرية ترقى ولا تنقطع ، وما خرج من ذلك إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع ما ينالهم من الشدائد ، فليس شيء من باب الامتحان وإنما هو أيقظهم بهم أمهم فافهم ، ثم أن أصل وقوع الشدائد للمريد في بدايته إنما هو لبيان عزة الطريق وعن سلوكها على غالب الناس ، إذ هي طرف مع النفس والهوى والشدائد لأن الأصلح فيها جنيها في الله تعالى ، وهذا يجعل النفس في الحق على الدوام عليه إلا أن حفته العناية الربانية ، ولولا ذلك لكان غالب الناس رُلياء ، وربما يلقي الولي نحو ثلاثين ألفا فلا يصح منهم إلا واحد والباقي لا يشمون من الطريق رائحة وإن تحلوا بملايس الفقراء كما شاهدنا ذلك في الأشيخ الذين ادركناهم .

وكان سيدي محمد السروري (٢) رحمه الله ، يقول : «لقد كنت لأكثر من ثلاثين ألفا فطلع منهم محمد الشناوي» (٣) . وسمعت مرة أخرى يقول : «لا يقع الامتحان إلا للصادق من المريدين وأما المرائي فعمله حابط من أصله ولو عبد الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومثل هذا قد كفى ابليس المؤنة فيستدل على صدق المريد بكثرة الابتلاء له فاعرف من يأخى

(١) في الأصل (شاعوا) .

(٢) سيدي محمد السروري : ذكره الشعرائي في طيقاته وهو مشهور بأبي المصطفى وكان يتكلم إذا غلبه الحال بعدة لغات وقال عنه الشعرائي أنه كان مقبول الخلق من الناس ومنهم من يزاوره بخط بين الصوريين ٩٣٢ هـ .

(٣) راجع المقدمة (شيوخه) .

ذلك على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٥) ومن أخلاقهم قبل أن يجد أحدهم الشيخ المعد لتربية المريدين أن يخالف نفسه ، فى كل ما تهواه حتى فى نوافل العبادات فإنها لا تستحلى عبادة إلا أن كان فيها حظ لها من رياء أو عجب أو تكبر ونحو ذلك وقد عمل بهذا الخلق بعض الرهبان فعرض على نفسه الإسلام فثقل عليها فخالفها واسلم ، فانشرح صدره بعد ذلك للإسلام وصار يضيق من صفات الصغار وخرج عن قولنا^(١) قبل أن يجد الشيخ اما إذا (وجده)^(٢) فإنه يجب عليه الامتثال^(٣) بما يأمره شيخه سواء وافق هواه أو خالفه ، ثم لو قدر أنه نهاه عن عبادة فإنما ذلك لما رآه فيها من عدم الاخلاص وإن كان الشيخ حاذقا فهو يأمره بكثرة ذكر اسم الله تعالى والدوام على ذلك حتى يحصل الجلاء (من الرياء)^(٤) فى القلب ويصير يدرك الحق والباطل حتى لو خير بين نشره بالمناشير وبين الرياء فى عبادته لاختار النشر ولا يشرك بالله شيئا فى عبادته ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أنه ليس للقلب جلاء أسرع من جلاء الذكر (وجعلوه)^(٥) كالحصن للنحاس المصدى ، وجعلوا غيره من سائر العبادات كالصابون للنحاس فيأطول تعبها ويأطول زمن جلائه ، فعلم إن من طلب الطريق بتلاوة القرآن أو كثرة الصلاة مثلا ، فيأطول تعبها لأن تلاوة القرآن والصلاة إنما هما من أوراد الكمل من الأولياء الذين عرفوا الله تعالى المعرفة المشهورة بين القوم ، وعلامة الكمال أن

(١) فى الأصل (بقولنا) .

(٢) فى الأصل (مطموسة) .

(٣) فى الأصل (مطموسة) .

(٤) وردت فى الأصل (مطموسة) .

(٥) المقصود (وجعلنا الذكر) .

تصير العلوم تخلع عليه فى كل تلاوة حال التلاوة ، ولا يحتاج فى استخراجها إلى تفكر حتى لو كرر الآية ألف مرة خلع عليه فى كل مرة علوم لم تخلع عليه قبل ذلك ، فمادام (التالى) (١) لا تخلع عليه العلوم فى كل مرة فاستعمال الذكر له أولى ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٦) ومن أخلاقهم أن لا يقيم أحدهم فى موضع يعتقد أنه فيه لأن ذلك سم قاتل له وهو لا يشعر وأيضا لا يعمل الأعمال (ليفوق بها) (٢) على أقرانه لأن ذلك دليل على العجب وعدم الاخلاص ، وإنما يقيم فى موضع الإنكار والاعتراض على أفعاله وأقواله حتى يتفحل ويبلغ مبالغ الرجال وفى ذلك من (الأمان) (٣) ما لا يخفى على صادق ثم إذا اكتفى بعلم الله تعالى فيه وصار لا يلتفت لذم الخلق ولا مدحهم فله أدب آخر فيه مفصل ، ثم إن كثرة الاعتقاد فى العبد إنما هى تابعة لصدقته وعلو همته فإن المرائى الكسالى لا يعتقد أنه أحد وهو يذل فى كل محل أقام فيه وكان سيدي محمد الشناوى رحمه الله يقول من صدق المرء إن يكون على عبادة للثقلين (٤) ومع ذلك لا يعتقد أنه أحد لدفعه الناس عنه لصدقته ، فإن الناس ما اعتقدوا فى مريد إلا لعدم صدقه وميله إلى شكرهم له فى الباطن . قال تعالى : «وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» (٥) . فاعرض يا أخى ما ذكرناه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) المقصود (من يتلو القرآن) .

(٢) كذا فى الأصل والظاهر من السياق (الأمان) .

(٣) فى الأصل (يفوق به) .

(٤) وردت فى الأصل عبارة اعتراضية تبدأ بـ (أقول هذا فى زماننا مفقود) وبقيّة العبارة مطبوعة .

(٥) آية .

(٦٧) ومن أخلاقهم إذا كان أحدهم له ربة في بلاد من يربيه فله أن يسافر إلى دن هو منجذب إلى تربية المسلمين شي - غيره وأي كان بينه وبينه مسيرة سنة وأكثر لاسيما إن كان أحدهم مبتلى بشيء من الأمراض الظاهرة أو الباطنة ليخرجه من تلك الحالة بحسن معرفته وبسياسة وإزالة كعب حدث أو جاء أو راسد ، فإن كل ما لا يتوجع من إلى الواجب إلا به ، فهو واجب وقد أوسع العلم ، كلهم على وجوب علاج الأمراض الباطنة كالظاهرة من جهة سواء لما ورد في ارتكابها من الوعيد الشديد ولا يتواهن في السبق إلى من يخرجه من ذلك إلا كل شقى سارود عن حضرة ربه ، ممقوت ، فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدى عصرك تجد أكثرهم مرتكباً جملة من الذنائب فضلاً عن الصدائر ، وما منهم أحد يطلب دواء ممن هو في بلد من المشايخ فضلاً عن كونه يسافر إليه ولا تنسى أن تعرض ذلك على نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٨) ومن أخلاقهم إذا سافر أحدهم لشئ بقصد أن يأخذ عليه الطريق وقابله بالجفاء وعدم البشاشة فليصبر على ذلك ولا يرجع عنه بل يجب عليه (هذه) (١) الامتناء به أكثر ، وحملة على أنه إنما يفعل ذلك بياناً لمعرفته بجملة ذلك المريد وبيناً لعزة الطريق وأهله ، فإن من شأن الطالب احتمال الدل في طريق تحصيله ، ومن شأن المطلوب منه ذلك العزة . قال «سيدى عمر بن الغارض» (٢) رحمه الله تعالى «بنى له دل الخضوع ومنه لى ، من المنزع وقوة المستضعف ، لو قال قبيها قد ، على جمر الغضا ، أوقفت ممثلاً وأنه موقف» (٣) ، إلى آخر ما قال ، ثم إن

(١) وردت زيادة في الأصل .

(٢) عمر بن الغارض شيخنا المصنف عاش بمصر وذاع صيته ودفن بها .

(٣) منى له دل الخضوع ومنه لى من المنزع وقوة المستضعف ، لو قال قبيها قد ، على جمر

الغضا أوقفت ممثلاً له أتوقف .

هذا الأمر لا يقع من الشيخ إلا في حق من فتن من أئمة دمشق، فحينئذ ،
 إما من تغرس فيه الصدق فلا يحتاج إلى امتحان ، وإما من لا يحمل
 حال من سيس في وجهه (١) الريد أول قدومه عليه ، ومن رخصته .
 فاذنم إلى سيدي على الخواص، كان يقول إذا جاءكم المريد بطلب أخذ
 إليه فلا تقبلوا له أمر ، وإن ذلك يخدم ناز حريته ، انتهى وقد
 جاعني مرة ثلاثة من طلبة العلم الشريفة من جامع النوري بطريق
 الطريق فتفرست فيهم عدم الصدق ، فقلت لهم : «هل بلغ ألسنتكم مرقية
 الافتاء والتدريس» . فقالوا : «لا» . فقلت لهم : «لا تطالبوا الطريق حتى
 تبلغوا ذلك» . فخرجوا في الحال عما كانوا جاعوا لأجله . وعلمت أنهم
 إنما جاعوا بشهوة نفس فإن الطريق كلها مبنية على مخالفه النهي
 والنفس . وقد قال القوم لا يمتثل لشئ دخلته النفس وإن كان علما أو
 عملا لأنه إلى الاثم أقرب . ولكن غالب طلبة العلم الآن محجوبون من
 شهود عدم اخلاصهم في العلم والعمل ، ولو أن الشيخ قال لأحدكم
 اترك هذا العلم حتى يصبح لك مقام الاخلاص فيه لم يطعه ، بل يصير
 يمزق في عرض الشيخ فيقول في هذا إن الشيخ يمدعني عن الاشتغال
 بالعلم الذي يقربني إلى الله تعالى كما وقع ذلك في كثير من طلبة العلم،
 وقد درج الشباب الصالح كله على دوام اتهامهم أنفسهم في الاخلاص
 حتى إن الامام النووي (٢) رحمه الله أوصى بتسل كتاب الروضة ، وقال :
 في نفسي منها شئ وكان يذهب إلى الشيخ حسن المراكشي (٣) خارج
 دمشق ويشاوره في المسائل التي رجحها في مذهب الشافعي قبل أن
 يضعها في كتبه . ويقول : «أخاف أن انفرد بترجيح حكم فيكون وبالله

(١) في الأصل (وجهها) .

(٢) الامام النووي .

(٣) حسن المراكشي .

على يوم القيامة» . انتهى ، وأعلم أن كل مريد، ثم يقول: ما به شيعته أو
هجروه بغير سبب ظاهر فتقلقل فهو كتاب في طلب الطريق لا يجيء منه
شيء فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من مريدي
زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦١) وهو أخلاقهم إذا تجاوز أقدارهم في الزاوية شيخه من ذوة
التربية أن يترك نفسه عن الوثائق فيما يطالبه الكتابين في تربيته في
وظيفة الزاوية ، فإن كل من يظفر ذلك ولو بقلبه فقد خان عهد
شيخه ، فإذا خاف عهده فورا ويخرج من الزاوية ، فإن لم يخرج
فقد عرض نفسه للمقت كلما وقع بحسب الشيخ عليه . وقد وقع ذلك
لبعض المجاورين عندي والمترددون إلى ، فكلمنا وقع بعرض على الواحد
منهم نزل عليه المقت قهراً على لعدم استحقاق المدد ولوقوعه
بالاستهزاء بالطريق وأهلها ، ثم إذا رأى الشيخ أحداً من الفقراء في
وظيفة واتسع حاله فليتحمل كلفته عن الشيخ توسعة على أخوانه الذين
لا وظيفة لهم في الزاوية ولا غيرها أو لهم وظيفة ولكن لا تكفى عيالهم
ولا ينبغي لمن وسع الله عليه أن يزاحم المنقطعين في الخبز والطعام لأنه
ما وضع بالامسالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى ، كأهل الصفة في عهد
رسول الله ﷺ ولذلك لما مات شيخ من أهل الصفة وجدوا في داخل
أزاره دينارين فقال ﷺ : «كيتان من نار» ، انتهى ، فعلم أنه لا يجوز
للمجاورين أن يخالفوا الشيخ إذا أشار عليهم بشراء شيء من القوت
والأدم كل سنة ويعمل بذلك حلوا لعِياله ، كما يقع فيه المخالفون لعهد
شيخهم ، فإن ذلك حرام بين القوم وربما جره إلى مقت الشيخ له ، فلا
يفلح بعدها أبداً ، وربما يبش الشيخ في وجهه وهو ماقت له بقلبه
فليحذر المجاور من مثل ذلك ، فإنه عقوق للوالد ولا يخفى حكمه ،
فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا
تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٠) ومن أخلاقهم أن لا يبدأ أحدهم نفسه من المريدين ^{بشيء} يجاوز هذه العقبات الثلاث ، وهى هدية الدنيا ، والحمل لأجل الآخرة ، وتحمل البلياء بالحق إذا تراءت عليه ، وعدم القلق ^(١) منها ، يحزن يطلب الاقالة من البلاء فمن لم يجاوز هذه الثلاث عقبات فهو لم يشم من طريق الصادقين بشئ لأن أول السير فى طريق أدل الله تعالى لا يكون إلا بعد ذلك وهناك يطلب الله تعالى صادقا ، يعنى بطلب طريق صرفه الآداب المتعلقة بحضرته تعالى . فافهم وسلك الصديق فى عدم ميله إلى الدنيا أن يتساوى عنده الذهب والزئبق على حد سواء . وسلك صفة فى طلب الآخرة أن يصير وينشرح كلما وعد الله تعالى عليه بالثواب كضربه وحبسه وتمزيق عرضه ونحو ذلك بغير حق . وقد بلغنا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق تسارعوا إلى حضراته ووقفوا كلهم بين يديه ، فقال تعالى لهم من أنتم وهو أمامهم . فقالوا بأجمعهم : نحن المحبون لك . فقال تعالى : «انظروا ماذا تقواون فان المحب لا يصرفه عن محبوبة صارف ولا ترده السيوف والمتالف . فقالوا : ها نحن بين يديك فامتحننا بما شئت . فخلق الله تعالى لهم الدنيا وزينها فى أعينهم ففر إليها من بين يديه تسعة أعشارهم وبقوا العشر . فقال لهم الحق تعالى ثانيا : من أنتم . فقالوا : محبوك . فخلق لهم الجنة وزينها فى أعينهم ففر منهم تسعة أعشار العشر ، ثم خاطبهم الحق ثالثا ، وقال لهم : من أنتم فقالوا : محبوك . فابتلاهم فى أبدانهم وأولادهم وأموالهم فثبتوا وهو الذى ثبتهم من فضله . فقال لهم : أنتم عبيدى حقا ، لا إلى الدنيا والآخرة ذهبتكم . ولا من البلاء فررتكم ، وأنتم خاصتى من خلقى . وذلك أدل سريكم إلى حضرتى ، فسيروا على اسم الله تعالى إلى حضرتى غير ملتزمين إلى

(١) فى الأصل (القلق) .

أحد غيرى لا سبغ عليكم نعمتى ولا أخرجكم من حضرتى أبداً لا
بدين ودهر الداهرين . انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من
يدعى الصدق من اخوانك ، تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله
رب العالمين .

(٧١) ومن أخلاقهم ، غرض أحدهم بصره عن رؤية الصور
المستحسنات التى لا يحل له نظرها أو يكره ، فإن هذا النظر للقلب
كالسهم المسموم ، ومن وجد فى قلبه ميلاً إلى مثل ذلك ، فالواجب
عليه أن يواصل الجوع بطريقه الشرعى ، حتى يصير لا تدعوه نفسه
إلى رؤية شئ من شهوات الدنيا . وكل من لا يسند عن نفسه باب النظر
كما ذكرنا ، فليعلم أن الله خذله ومقته ، فلا يجوز له لبس زى الفقراء
فضلاً عن الدعوى أنه منهم . وهذا الخلق يخل به كثير من الفسقة
الذين يجتمعون على المشايخ ولا يفهمون كلامهم فى التوحيد ، فيصير
أحدهم يقول كل حسن فى الوجود فهو من جمال الحق ، وجمال الحق
مطلوب من الخلق أن ينظروا إليه ، وهذا أقوى من دسائس إبليس
عليهم . ومنهم اليوم طوائف كثيرة على هذا الحال يسمون الإباحية
فيجب على كل مسلم الإنكار عليهم وهجران أفعالهم ومنع الضعفاء من
معاشرتهم ، وقد انكرت مرة على واحد منهم نظر إلى أمرد . فقال
لى : إنما نهى الله تعالى رؤية مثل ذلك للمحجوزين بحجاب الإيمان ،
وقد خرجت من حجاب الإيمان إلى مقام الكشف والشهود . فقلت له
يكذب البعيد ، فأتاك لو وضعت إلى مقام الكشف والشهود لكنت من
أول المبادرين إلى امتثال أمره تعالى ، واجتناب نهيه ، فإن الذى أدعيت
إنك صرت فى حضرته هو الذى نهاك عن مثل ذلك ، فلم أجد له
جواباً ، وقوله أنه خرج من حجاب الإيمان إلى الشهود جهل منه فإن
حجاب الإيمان يرق مع صاحبه ولا ينقطع أبداً : كما أوضحنا ذلك فى
كتاب المن والأخلاق الكبرى^(١) ، فراجعه وأعرض يا أخى هذا الأمر

(١) سبق الإشارة إليه فى مقدمة الكتاب ويقصد بكتاب «الطائف المنن» المعروف باسم «المن
الكبرى» .

على مريدى عصرك فكل من رأيته غاضبا بصره ، فاشهد له بالصدق وإلا فهو كاذب ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٢) ومن أخلاقهم ، أن يطالب أحدهم نفسه بالعمل بكل خلق سمعه عن أحد من أهل الطريق ، وإذا لم تجبه نفسه إلى التخلق به ، فيمنعها الأكل والشرب وأن يلزمها^(١) بالوحدة والسكون ، حتى تجبه وهذا الخلق يخل به غالب من يدعى الصدق من مريدى هذا الزمان ، فيقنع أحدهم بحفظ تلك الحكاية ويصير يحكيها للناس من غير تخلق (بما فيها)^(٢) من الآداب ، وربما ظن الناس أنه صار من الصوفية ، فيصير يعتقد ويعظمه (الناس)^(٣) فينقطع بذلك عن الطريق ويلتحق بحزب الشيطان ، وأعرف من أهل هذا الحال اليوم جماعة لا يحصون ، ومن هنا أجمع الأشياخ على أن كل مريد تكلم فى مقام من غير أن يذوقه مقت ومنع وصوله إلى ذلك المقام بعد ذلك عقوبة له ، وأعلم أنه لا يجوز لمريد أن يقرر للناس كلاما لن يتلبس هو به ، وإنه يجب عليه السكوت لو سئل هو عنه خوفا من الفتنة ، كما درج عليه المريدون الصادقون ، والله أعلم . فاعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من اخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٣) ومن أخلاقهم ، أن لا يقع أحدهم فى معصية بعد التوبة على يد الشيخ إلا ويعلم الشيخ بها ليعلمه كيف التوبة منها ويرشده إلى سد الباب الذى دخلت له المعصية منه ، ويسأل الله تعالى قبول التوبة . ومتى كتم عن الشيخ شيئا من المعاصى التى وقع فيها خان نفسه وما قوله ﷺ : «من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله

(١) فى الأصل (واللزمها) .

(٢) وردت فى الأصل (من غير نخلق بها فيه) .

(٣) (الناس) زيادة كى يستقيم المعنى .

تعالى» فهو «حمول على من يتظاهر بها بحال وقوعها منه أو على ذكرها لغير من يرشده إلى كيفية الخروج منها أو على من لا يستغفر له . هكذا (قال) (١) بعض السابقين أن أكبر من يقع في ضيافة هذا العهد من وقع له أجزائه من شيخه بالشيخه ، فيصير يقع في كل محذور ، ويضاف أن يحكيه لشيخه ، وقد قالوا : شيخك ، وريك ، لا تكذب (عليهما) (٢) وذلك لأن من تجرأ على الكذب على شيخه فيؤثر أن يتحصر الكذب على الله تعالى لأن الشيخ موقية السار (٣) للمريدين في مقام الصدق أو الكذب مع الله فكان كل شيخ يقول لمريده : تعالى أعامك كيفية معاملتك مع الله تعالى وأتحمل منك سوء الأدب الذي يقع منك في حقى ، ثم أعلمك طريق الخلاص من ذاك ، فانه ما تم عارف بالله تعالى إلا وهو يحب أن يفدى جناب الحق تعالى بنفسه ، وأعلم أن الصادق لا يكتم عن شيخه شيئاً من خواطره التي تستقر فضلاً عن الأقوال والأفعال فاعرض يا أحمى هذا الخلق على من يدعى الصدق من المريدين تعرف حالهم ولا تنتس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٤) ومن أخلاقهم ، أن لا يأخذوا معلوماً على شئ من الوظائف الدينية كقراءة القرآن والخطابة والإمامة والتدريس والوعظ وغير ذلك (٤) ، إلا عند حصول الاضطراب بوجود شدة ألم الجوع أو البرد ونحوهما ، ومتى وجد أحدهم القمة وما يستتر عورته ويرد عنه الأذى فلا ينبغي له أخذ شئ من ذلك المعلوم لأن ذلك يوقفه عن السير ، ومن كان يأخذ أجرة عمله فلا ترقى له في المحبة عند من استعمله بخلاف

(١) (قال) زيادة لاستقيم المعنى .

(٢) في الأصل (عليه) .

(٣) المقصود أن المريد يعتقد في شيخه ، في جميع الأحوال والالامات .

(٤) المقصود أن تكون الخدمة لوجه الله تعالى إلا عند الاضطراب ، أما أخذ الأجر وهو في غير حاجة إليه يوقع المرء في الفتنة .

من يخدم سيده امتثالاً لأمره ومحبة في اظهار شعار شرع نبيه ﷺ ،
فانه يتزعم بذلك إلى فوق ما كان يؤمّاه من المقامات كما هو مشاهد
في خدام الملوك وغيرهم ، وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول :
من اضطر إلى أخذ معلوم وذليفة دينية فليأخذ ذلك بنية أنه ابتلى (١)
عطاء من الله عز وجل لا في مقابلة ذلك العمل قال وهذا شأن المرء
مأدام في مقام الشرك مع الله في الأعمال ، فإذا بلغ إلى مقام توحيد
الفعل لله تعالى وحده (ورأى) (٢) نفسه إنما هو مثل برون ذلك العمل
لاخير ، فهناك يصير يرى العمل لغيره لا يخطر قط طلب أجره عليه لا
في الدنيا ولا في الآخرة ، ولولا أنه يستحي من الله تعالى أن يقول
يأرب ، ليس لي شركة معك في فعل من الأفعال لقال ذلك ، ولكنه أضاف
الفعل إلى نفسه أدباً مع الله تعالى ، كما أضافه الحق تعالى بقوله :
تعلمون ، تفعلون ، تكسبون ، تصنعون ونحو ذلك . فانه لولا صحة
إضافة الفعل إلى العبد ما حسيح له تكليفه كما أوضحنا الكلام على ذلك
في كتاب المن (٣) والاخلاص . فاعرض يا أخى هذا الخلق على من
يدعى الصدق في الاخلاص من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك
والحمد لله رب العالمين ..

(٧٥) ومن أخلاقهم ، أن لا يأكل أحدهم من كسب امرأة لاسيما
زوجته لأن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، كل من أكل
من كسب امرأة فهو من أردأ (٤) الناس وكيف يليق لمن عنده أدنى

(١) في رأى الصوفية أن زيادة ونقص المال ابتلاء من عند الله سواء كان ذلك بالنعمة أو
النتمة .

(٢) وردت في الأصل (وراء) .

(٣) كتاب المن والاخلاص ليس مذكوراً في المعاجم المختلفة ، ويظن أن المقصود كتاب
(لطائف المنن) .

(٤) في الأصل (أردى) .

مرودة أن يكون معدودا من أعيال للنساء ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن من قبل رفقا^(١) من امرأة فهو مخذول لا يجيئ منه شيء في الطريق ، وقد رأيت الأشياخ الذين أدركتهم أول النصف من القرن العاشر^(٢) يمتنعون تلامذتهم أن يأكلوا من وليمة مصنوعة من المرأة ، لكنها إن كانت نذرتها لشفاء ولدها مثلا وما ورد من أن الأصحاب كانوا يأكلون طعام امرأة كانت تصنعه لهم كل بجمعة ، فذلك يتقدير الشارع ﷺ لهم على ذلك ؛ فهو عسنتنى بما نهى عنه الأشياخ . فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من مريدى مصرك تعرف حاله ولا تتسبى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٦) ومن أخلاقهم كثرة التباعد عن أبناء الدنيا لاسيما إن نهاهم شيخهم عن ذلك لأن المريد لضعفه يسرق طبعه من طباع أبناء الدنيا ، فيصير فى طلب الدنيا وشهواتها كأحمدهم ولو غلط^(٣) كما هو مشاهد فيمن يخالط الفقراء على صديق فيصير يزدرى لبس الجبة التى كان يلبسها فى الزاوية والطعام الذى كان يأكله فيها ويطلب أهلى من ذلك ولا يتيسر له ذلك إلا بالدخول فى الكسب بطريق حلال أو حرام فيتأف ويخرج من طريق الزهد والقناعة التى كان عاهد شيخه عليها ، وقد وقع مثل ذلك لبعض من خرج من طاعتي من المجاورين فينقطع عن مجالس الذكر والعلم وتلاوة القرآن ، وصار عليه ظلمة من شدة المقت ، ولو أنه كان أطاعنى وقنع بما فى الزاوية من اللقمة والخرقة لكان عليه وعلى ثيابه النور كالجماعة المقيمين فى الزاوية ، فلا حول ولا قوة ولا سعادة إلا من الله العلى العظيم ، وقد كان سيدى محمد الغمري^(٤)

(١) الرفق : النفع .

(٢) وهذا يدل على أنه وضع هذا الكتاب فى الفترة من ٩٥٠ هـ إلى ٩٧٣ هـ .

(٣) فى الأصل «ولو غلطوا» .

(٤) محمد الغمري ذكر فى الطبقات الكبرى عاش زمن البدوى ومدفون بطنطا .

رضى الله عنه يذكر للفتير النظر إلى تحسين ثيابه والجلوس على باب المسجد أو شباكه الذي على السوق ، ويقول إن ذلك يشغل قلب الفقير عن اتباع طريق القوم فعلم أن كل فقير ذهاب شيخه عن مثل ذلك أو فرض له به وخالف فهو كذاب مخذول ممقوت ، ولا يجيئ منه شيء في الطريق . فأعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصديق من اخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٧) ومن أخلاقهم ، كثرة حزن أحدهم على نفسه وتوبيخها وعدم استحسان حالها كلما ازدادت من الأعمال الصالحة ولا يرضى عنها أبدا ، وهذا الخلق قد قل المتخلفون به هذا الزمان ، بل ربما رأى أحدهم نفسه على شيخه ، وقد رأيت طائفة من المريدين حتى ذاب قلبي من علاجهم ثم تغيروا وأنقلبوا من طريق الاستقامة . فلا تسأل يا أخى ما حصل لى من الأسف عليهم وذلك لتلبسهم على مرتبتهم وكنهم عن صفاتهم الخبيثة ، فقصى عليهم ذلك التلبس ، وأوخر أعمالهم ، ولو أنهم كانوا بنوا أمرهم على الصديق مع مربيهم ، ولم يكتموا عنه شيئا لمدهم بالصدق وأفلحوا ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل من لم يوبخ نفسه ويتهم نفسه على الدوام أحقه عجب ونكص على عقبيه فى أثناء الطريق ، وكان حكمه حكم النحل إذا (انشرفت)^(١) على ختام أقراص الشهد ، ثم سرحت وأوخر الختام على شجر الحنظل ، فرعت منه ثم بحث ذلك على الأقراص فمررتها كلها إنتهى . فوبخ يا أخى نفسك ولا تحوج شيخك إلى توبيخك وتعب سره فيك ، فإنه ما وبخك إلا وأنت مستحسن أحوالك فى الباطن ، فأخرج الله تعالى له بعد ذلك ما كان فى نفسك وصدقه وكذبك . وقد رأيت فقيرا فى باب بيتى ، فكان يقوم بذكر الله ويصلى من الليل فرأى نفسه

(١) وردت فى الأصل والمقصود بها « انشرفت » .

أنه صار من المقربين بذلك ولولا لطف الله لخسف به باب البيت ،
 وإن جئني إلى همارته وقد ورد في بعض الكتب اللطيفة أن ابن العاصم
 أحب إلي من نجل المسيحية انتهى . - بذلك لأن العاصم يطلب بأثمة
 من الله المغفرة والمسبب يطلب بزوجله بالتسبيح مع العجب المقت ،
 فلينتبه . واعلم أن كل مريد لم ير نفسه أنه قد استحق الخسف به لولا
 حلم الله تعالى ، فهو هالك والسلام . فاعرض يا أخى هذا الخلق على
 من يدعى الصديق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك
 والحمد لله رب العالمين .

(٧٨) ومن أخلاقهم ، عدم أكل أحدهم أو لبسه بالدين أو اطعامه
 الضيف ، كذلك بل يصير أحدهم على الجوع والبرد حتى يوسع الله
 تعالى عليه ، وأما الضيف فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقد استعاذ
 رسول الله ﷺ من غلبة الدين وقهر الرجال ، فأما الدين فإنه أثقل ما
 يكون على من يؤمن بيوم الحساب ويعرف شدة ذلك اليوم وما فيه من
 الضيق حتى أن الرجل ليأتى يوم القيامة بمثل عمل سبعين صديقا ، لا
 يظن بنفسه النجاة ، ولا يمكن المديون أن يدخل الجنة وعليه ذرة من
 خردل ، بل يحبس عن الجنة حتى يوفى صاحبها من أعماله ويتحمل
 على ظهره من سياطه ثم يطرح فى النار كما ورد ومثل ذلك من
 يستعاذ منه وأما قهر الرجال فسبب استعاذته ﷺ منه إنما هو من
 جهة حجاب صاحبه عن شهود أن الفعل لله عز وجل ، فكأنه ﷺ
 استعاذ من إرخاء الحجاب عليه حتى يصير يرى الفعل من الخلق ،
 فيقهر إذا ذاك فإن أحدا لا يقهر وهو يشهد الفعل لله أبدا ، فما ثم
 عارف يقهر فى الدنيا أبدا إلا وهو مستجوب عما ذكرناه ، وقد قال
 الشيخ محى الدين بن العربي رحمه الله ما قهرت فى عمرى قط وذلك
 لشهودى أن الفعل لله وحده فما تجلى تعالى لقلبي فى اسمه القاهر
 ولا القهار أبدا وإنما عرفت القهر من شهوده فى غيرى حين حجب .

انتبه ، فأعرض يا أخى الخلق على من يدعى الصدق من مريدى زمانك
تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٩) ومن أخلاقهم ، محبتهم لنسبة الخير إلى غيرهم دونهم
بيادى الرأى ، فإذا قاموا الليل وصدقوا بصدقة أو بنوا مسجدا
(وسمعوا)^(١) شخصا يضيف ذلك إلى غيرهم انشروا لذلك من غير
تفكر ، وإذا كانوا يعمرن مسجداً ، ويصرفون عليه من مالهم ، وكان
شخص يعمر كذاً مسجداً ، فطلب منهم المساعدة سرا فرحوا لذلك
وحق عليهم أكثر من صرفهم على بناء المسجد المنسوب إليهم . ومتى
ثقل عليهم نسبة الخير إلى غيرهم فهو دليل على عدم الاخلاص
فأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس
نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٠) ومن أخلاقهم ، عدم احتقارهم لمن كان العبادة لأن خاتمته
مجهولة ، ولأنه يظهر بذلك فضل (الله)^(٢) وجوده وحلمه على عباده مع
احسانه إليهم ليلاً ونهاراً وقد قال تعالى (ان رحمتى سبقت غضبى)^(٣)
ومعنى سبقت الرحمة الغضب ما قاله بعض أهل الكشف أن أسماء
الرحمة يسبق معناها إلى العبد ، فيأتى معنى الغضب فيجد الرحمة
سبقتة إليه ، فلا ينفذ فيه الغضب ، وهو معنى قوله تعالى : «ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا»^(٤) الآية ، ومن كان يظهر فضل ربه عليه لا
ينبغى له إلا التعظيم ، ولكن يحتاج صاحب هذا المقام الى عيينين ، عيين
ينظر بها إلى كونه مظهر رحمة ربه وفضله ، وعيين ينظر بها إلى
تفريطه فى جانب ربه وقلة حمده وشكوه بالفضل فيراء دين من كان

(١) فى الأصل (أو سمعوا) .

(٢) (الله) لم ترد فى الأصل .

(٣) ذكره السيوطى فى «الجامع الصغير» .

(٤) فاطر : ٤٥ .

أكثر عباده منه ، وهذا خلق غريب ، فاعرض يا أخى على مريدى
عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك وعظم الناس بحق واحتقرهم
بحق بحسب ميزان الشريعة ، والحمد لله رب العالمين .

(٨١) ومن أخلاقهم ، التحفظ من دخول مقام السيد ذوقا ، فان
فيه غوائل تخالف إجماع سائر الملل ، وهو اعتقاد الوحدة المطلقة حتى
أن بعضهم قال أن حقيقة الروح هو الله وحقيقة إبليس هو الله وأنه يجب
طاعة النفس وطاعة إبليس فى كل شئ أمر العبد به ، وهذا أعظم
مراتب الجهل والخرافات ، فان العبد لا يلحق مرتبة السيد أبدا
بالإجماع ولو تأمل القائل بذلك فى قوله لوجه كلامه غير معقول كيف
يقول بالوحدة المطلقة ويثبت هناك عبدا يسمى (مثل) (١) إبليس أو غيره
فتعوز بالله من اعتقاد يخالف اعتقاد سائر الملل ، وتعالى الله عما يقول
الجاحدون علوا كبيرا . وقد عجز العقلاء كلهم أن يتكلموا بلسان فرد
لا ثانى معه واعترفوا بالقصور عن ذلك ، فانه يبطل رسالة جميع
الرسل ويبطل أحكام جميع الكتب لأنها كلها إنما جاءت إلا تثنيه رب
وعبد كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب «فرايد القلائد فى علم
العقايد» (٢) وذكرنا فيه أن جميع الأكابر من الأولياء ملازمين لآداب
العبودية لم يخرج أحد منهم إلى قضاء ساحة الربوبية للناس فى كل
عصر حتى أن بعضهم أعطاه تعالى حرق كن فى هذه الدار ، فلزم
الأدب ولم يتصرف به فيها وقال لا أزاحم أوصاف الربوبية منهم
أبو السعود بن الشبل (٣) الذى شهد فيه الشيخ محى الدين بن العربى

(١) فى الأصل (من) .

(٢) فرايد القلائد فى علم العقائد وهذا الكتاب لم تذكره المعاجم التى اطلعنا عليها .

(٣) أبو السعود بن شبل تلميذ سيدى عبدالقادر الجيلانى وقيل أن مقامه كان أعلى من

أستاذه .

أنه أكمل من شيخه الشيخ عبدالقادر الجيلاني^(١) رضى الله عنه ، وما أعطى الله تعالى عباده علم التوحيد إلا ليعلموا به أنه تعالى إله واحد لا ليتصرفوا فيه فيما ليس لهم ، فانه يخالف أوصاف العبودية التي بها تقربة العبد من حضرة ربه . وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول : من حين خلق الله تعالى الخلق فهم معه بلا وصل ولا فصل ، إذ الوصل والفصل لا يكون إلا مع المجانس ولا مع المجانس بين الله تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه وما تعلق علمه تعالى بهم إلا وهم مفصولون عنه . قال لهم كونوا فكانوا ولو كانت حقائقهم موجودة كما يقول من يقول بقدوم العالم ما كانوا يحتاجون إلى قول كن لأن قول كن لا تتوجه إلا على معدوم لتجده ، فقد أخطأ والله من قال بعضه يعشق بعضا فهو المعشوق والصب إن كان قال ذلك عن صحو وإن كان قاله عن سكر فالسكران^(٢) غير معتبر العبادة ، وأما ما يستدل إليه أصحاب شطح^(٣) من نحو قوله ﷺ ألا كلا شيء ما خلد الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ، وأنها أصدق كلمة قالها شاعر لبيب فلا يصلح دليلا للقائلين بالوحدة المطلقة لأنه صرح بأن مع الله تعالى خلق ولكن وجودهم بامداد الله تعالى لهم بالوجود لا مستقلا بأنفسهم ومن كان وجوده بغيره فهو كالباطل لأنه باطل من كل وجه ، فافهم يا أخى وأعرض هذا التقدير الذي قررناه على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) عبدالقادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومؤسسها مات سنة نيف وستين وخمسمائة ببغداد تقريبا .

(٢) السكران كالمجنوب مرفوع عنه التكليف لكن السكران إذا أفاق من سكره رجع مكلفا .

(٣) الشطح : في اللغة الحركة ، وشطح النهر أي تحرك ففاض على جانبيه كذلك المرید إذا زاد وجوده لم يستطع حمل ذلك على قلبه من سطوة أنوار الحقائق في شطح ذلك على أسانه ويترجمها بعبارات تشكل على أفهام السامعين .

(٨٢) ومن أخلاقهم ، أن يفرح أحدهم بكثرة تحجير شيخه عليه ومنعه مما تهواه نفسه كحسن الهيئة^(١) ونظافة الثياب ومنعه من مجالسة أصحاب شيخ آخر وهدى عامته وتعميمها على غير مراده ومنعه من وضع جنبه إلى الأرض ونحو ذلك وكل مرید تكدر من شئ من ذلك فهو كاذب في دعواه الإرادة وربما بالغ أحدهم وكره شيخه وفارقه وصار يحط عليه في المجلس وقد كان الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى يقول : ينبغي للشيخ أن يأخذ من المريدين أشد الحذر ولا يريهم إلا بسياسة تامة ، فإن أكثرهم كاذبون وليحذر من أن يتركهم يجالسون أصحاب شيخ آخر ، فإن المضرة في ذلك كثيرة واقعة والنفس من شأنها الخيانة إلا من حفظ الله أخذ مریده مع مرید غيره فحصل منه زجر له فتحول عنه إلى ذلك الشيخ ، فمقت . فاعرض يا أخى هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٣) ومن أخلاقهم ، التجرد عن الدنيا ولا يمسك أحدهم منها إلا ما لا بد منه من خرقه يستر بها عورته ، أو كسرة يسد بها جوعته ، وفروة يدفع بها ألم البرد ، ونحو ذلك وهذا ما درج عليه الفقراء سلفا وخلفا فإذا كمل حالهم فإن شاعوا وأجمعوا الدنيا وصرفوها في مصارفها ، وإن شاعوا داموا على التجرد ، ومقام الفقر إلى الله تعالى يجمع الناس كلهم ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في المنن الكبرى^(٢) في مواضع ، وملخص ذلك أن المرید لا يكون صادقا في تجرده عن الدنيا إلا أن وصل إلى حد الصدق ، وذلك أن يصير ينشرح بضيق اليد وينقبض لسعتها ، ولا يكون ذلك إلا بجذب (الهي)^(٣) أو بالسلوك

(١) في الأصل (الهيئة) .

(٢) المنن الكبرى سبق ذكرها في المقدمة .

(٣) في الأصل (الاهي) .

على يد شيخ ناصح فأعرض يا أخى هذا على من يدعى الصدق من مريدى تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٤) ومن أخلاقهم الخروج من مخالفة الأئمة فيأتوا بعبادتهم على أكمل ما يقدرون عليه من مراعاة الخلاف ولا يقتصرون على العمل بمذاهبهم ، فربما فاتهم العمل بأحاديث كثيرة لم يأخذ بها إمامهم ، وكل قول أو فعل لم يبين الشارع ﷺ رتبته في الوجوب أو الندب عبادة على وجه التأسى مع قطع نظرهم عن جعله واجبا أو مندوبا وكفيهم التأسى برسول الله ﷺ في ذلك وأنوبه على نية الوجوب كان أفضل ، لكن ليس لهم أن يأمرؤا أحدا به فيضيفوا على الأمة ، وكان أخى أفضل الدين^(١) رحمه الله لا يدع عنده قط شيئا لغد من دراهم أو طعام ويقول أن أبانر وغيره^(٢) من أصحاب الصفة كانوا يرون تحريم الادخار فلا نخالفهم وكان يثث الضوء في شدة البرد ويمسح رابضه^(٣) كله ويرتكب الأشد في الأعمال حتى كان يتوضأ من النوم متمكنا ولا يصلى بغير وضوء إذا نام متمكنا أبدا وكان يقول الرخص ليست لأمثالنا فأعرض ذلك على من يدعى الصدق من اخوانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٥) ومن أخلاقهم غرض البصر عن النظر إلى زينة الدنيا وإذا لبس أحدهم مضربة جديدة أو صوفا جديدا لا ينظر إلى ذلك خوفا من المقت ، وقد لبست فاطمة رضى الله عنها مرة حلة فأعجبته فأمر رسول الله ﷺ بتزعيها ، وصلى عليه الصلاة والسلام مرة في كساء له أعلام ، فنظر إليه فأعجبه ، فتركه تشريعا لأمتة خوفا أن يصير لهم

(١) أفضل الدين : كان صديقا للشعراني وأخا في الطريق وذكره في «العابقات الكبرى» .

(٢) يقصد أبانر الغفاري الصحابي الجليل .

(٣) رابضة هكذا في الأصل .

بمثله فتشبهه وإلا فاعتقادنا فيه ﷺ أنه لا يشغله عن الله شيء من الكونين ، فاعلم يا أخى ذلك واجتنب لبس كل ما تشبه إليه النفس ولا تشبهه بالكمل من الرجال إذا لبسوا الملابس الفاخرة فأنهم ما سادحوا نفوسهم بلبسها حتى تسارى عندهم المحررات ويغلظ الشاق فى ظلو شذوها ورخصه وحسنه وحقارته فإن وصلت إلى ذلك فاللبس مثلهم ، وكان الشيخ محى الدين رحمه الله تعالى يقول : المریدون فى لباسهم على قسمين منهم من يلبس الخرقه ومنهم بحكم الوقت من سعة اليد وضيقها فالذى يلبس لأخرته هو من يلبس ما يستتر عورته وتقيه من الحر والبرد مما لا قيمة له ولا ثمن كشرء (ميط.)^(١) الكيسان والذى يلبس بحكم الوقت فعلامه صدقه أن يلبس ما لا يعيبه ، وقد كان (أويس القرنى) يكتسى من خرق المزابل والذى يلبس بحكم الوقت فعلامه صدقه أن يلبس ما لا يعيبه عليه العلماء ولا يزدريه (لأجله)^(٢) السفهاء قالوا ولا ينبغى للمريد أن يتجرد عن الدنيا بالكلية بحيث يصير كلا على الناس يطعمونه ويكسونه كالنساء مع القائم عليهم ، فان ذلك من رداءة الهمة ، وقد ذكرنا فى كتاب المنن الكبرى أن شخصا من المحترفة جاء يزور سيدى إبراهيم المتبولى^(٣) فأعجبه الفقراء وترك حرفته ، فقال الشيخ : لم تركت حرفتك ، فقال : دخلت الزاوية رأيت بومة عمياء فى طاقه الزاوية ورأيت صقرا يأتيا كل يوم بقطعة لحم تأكلها . فقلت : أنا الآخر أتوكل على الله وأجلس مع الفقراء . فقال له الشيخ : لأى شيء تجعل نفسك بومة لا تجعلها صقرا ، فتأكل من كسبك وتطعم منه غيرك ، فتأب ذلك الشخص ، ورجع إلى حرفته .

(١) ميط. هكذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل (لأجل) .

(٣) سيدى إبراهيم المتبولى فى الطبقات الكبرى ، ويقول عنه أنه كان من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية عاش حتى بلغ الثمانين مات فى القدس سنة ٨٨٠ تقريبا .

انتهى . فاحذرو يا أحمى الفطن إنى سيوفك الجديد من يوفى ذلك المريد على
جانبى عوائد العوام ، فإن ذلك يجرى إلى المآلة الخيرة على مثل
ذلك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٨٦) ومن أخلاقهم ، أنهم لا يأكلون ولا يشربون إلا عند شدة
الجوع ، والعطش . وكذلك لا ينامون ولا يتكلمون إلا عند الضرورة ،
وبذلك يثابون ثواب الواجب ، فإن الإنسان إذا اضطر إلى شئ من
المباحات صار فعله واجبا عليه ، وأين مرتبة المباح من مرتبة الواجب ،
فعلم أن كل مريد أتى المباحات من غير ضرورة فهو مترخص لا يجزئ
منه شئ فى الطريق ، وقد كان سيدى عبدالقادر الجيلى رضى الله
تعالى عنه ونفعنا به يقول : ربما كنت أمكث فى بدايتى السبعة أشهر
وأكثر لا أكل ولا أشرب لعدم الضرورة ، ومكثت مرة سنة لا أكل ولا
أشرب ولا أنام ولا أضع جنبى على الأرض ولا أمد رجلى وما كنت
أتذكر الطعام إلا أن حضر بين يدى . فأعرض يا أخى ذلك على من
يدعى انصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب
العالمين .

(٨٧) ومن أخلاقهم ، تفتيش أحدهم نفسه كل ساعة لينظر اقباله
على حضرة ربه سائر أوقاته فيجد فى العمل ويزيد فيه ، فإن الله
سبحانه وتعالى لا يظهر حتى يشهده بقلبه إلا فى العبادات التى
(فرضها) (١) لا غير ولا يظهر قط لعبد فى مكروه أو مباح أصلا إلا أن
فعل المباح بنية صالحة فينبغى للمريد إذا عرف من نفسه التلبيس عليه
أن لا يقبل ما تلقىه إليه بل يسأل عن أحواله من يعرف أنه ينصحه ولا
يдахنه ، ثم يقبل ذلك الأمر الذى تنبه له بحكم الجزم ، ويقول لنفسه
أقبلى هذا النصيح من هذا الأخ الصالح ويكثر من توبيخها ، فعلم أن

(١) فى الأصل : (فرعها) .

كل من لم يرد (١) نفسه دائما منكرا أو لم يقبل قراره في تركه من أخوانه فيرى الفرق عظيم على الطريقين ، فاعرض يا أخى هذا الأمر على غالب المتشيخين من أهل عصره ، فاجده غافلا أعمى ، وإن وقع أن أحد نسجه وبين له نقصه عاداه وهجره وإن شككت في قولى فحرب وأصبح شيخا منهم بحضرة نلامته فيما هو مرتكبه من محبة الدنيا وشهواتها ، وانظر ماذا يقع لك منه ومن جماعته وما هكذا المريدون الصادقون رحم الله من أهدى إلى عيوى ، فأعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(٨٨) ومن أخلاقهم ، عدم رؤية أحدهم نفسه على أحد من عصاة هذه الأمة ، بل يرى نفسه أفسق الفاسقين دائما سرمدا ، ويعمى عن نقائص الناس جملة واحدة ، ومتى رأى نفسه مساوية لأحد من أخوانه فى الدين والتقوى فقد أساء الأدب وخرج عن طريق الإرادة ، وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : « لا يصح لمريد قدم فى طريق الإرادة يرى أن كل بلاء نزل على بلاده سبب ذنوبه هو ، وأن ذنوب الناس كلها مغفورة إلا ذنبه » انتهى . فاعرض يا أخى هذا الخلق على المتشيخين فى أهل زمانك تعرف صدقهم وكذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٨٩) ومن أخلاقهم ، عدم تصدريهم لازالة منكرات عصرهم ، لأن ذلك إنما هو من وظائف الأشياخ لمعرفتهم بطريق السياسة وعدم خوفهم من الوقوع فى الاعجاب إذا زالوا المنكر بخلاف المريدين ، فان أحدهم جاهل بطريق السياسة وعدم خوفهم من الوقوع فى الاعجاب (٢) إذا زالوا المنكر ويدخله الاعجاب بذلك ويشغله عن الله عز

(١) فى الأصل (ينفذ) .

(٢) الاعجاب بالنفس أى العجب والافتتار بالنفس .

وجل لا سيما أن حصل له بسبب ذلك ضرب أو حبس أو سرح في جسده من جند السلطان ، وقد وعدوا مثل ذلك من دساتير إبليس ، سئى لى شيخنا سيدي على الخواص رضى الله عنه أن جماعة من المريدين أقاموا فى ساحة فكانوا يحصدون بالأجرة ويمنون من عمل أيديهم وقلوبهم^(١) حتى من الذكر ، وكان إبليس كلما قرب منهم يكاد يحترق من أنفاسهم فلما عجز إبليس منهم وسوس لجماعة من العياق فضربوا بعضهم حتى أدموهم والمريدون ينظرون ثم وسوس لهم أن ذلك خير (يعتدى عليه)^(٢) وهو أفضل مما هم فيه فخلسوا بينهم فهو أفضل لكم فتركوا المجلس وقاموا للعياق فادموهم كذلك وكان مقصود إبليس منهم أن يقطعوا مجلس الذكر لا غير ، فاحذروا أيها المريدون من ذلك فإن غوائل الشيطان كثيرة ودساتيره أخفى من دبيب النمل ، فاعلم ذلك واعرض ما قررنا لك فى هذا الخلق على مدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٠) ومن أخلاقهم ، أن لا يتكدر أحدهم من عدم إذن شيخه له بالدخول عليه فى بيته أو خلوته وكل مريد أخذ فى نفسه من الشيخ إذا منعه من الدخول عليه مقتته الله تعالى ، وقد وقع لى ذلك فى بعض المريدين الذين خرجوا من تحت التربية ، فجاء إلى باب دارى ، فوجد الباب مردودا ، فرجع ممقوتا ، فمكث نحو شهرين لا يجتمع بى ، وظهرت أمارات المقت عليه ، فنظرت إليه فوجدته نزل إلى دون الحالة التى كان أتى عليها من بلاد الريف من نحو عشرين سنة ، ولم أكن أسمه لكونه معروفا بين أصحابى وغاب عن هذا المريد أن الشيخ مأمور بأن يكون له خبوة لا يدخلها إلا الخواص من أصحابه ومأمور

(١) الأفضل وقلوبهم حية .

(٢) فى الأصل (يتعدى) .

أيضا بأن يكون له زاوية تخص عموم أصحابه دون الأجانب من أبناء الدنيا ثم بتقدير أن الشيخ قال له أرجع يا منافق لا تدخل على ، فيجب عليه تأويل ذلك على أحسن الوجوه . ويقول أن الشيخ سمانى منافقا ، وما ذلك إلا انفاق فى ، فانه صادق بلاشك ، فيصير يفتش نفسه ليعرف صفات النفاق ، ويتوب منها . هذا الواجب ، وأما التكدر من نسبته إلى النفاق فهو عين النفاق . فاعرض يا أخى ما ذكرته لك فى هذا الخلق على حال من يدعى الصدق تعرف بأنه مقام . ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩١) ومن أخلاقهم ، أن يكون أمر أحدهم كله جدا لا لعب فيه ولا مزح ، وأن وقع من أحدهم شئ من ذلك عوقب عليه فى المنام ، لأن عمل المرید فى بدايته دائما ، إنما هو فيما فيه من ثواب أخرى ، ولا تكاد تجده فى لغو ولا غفلة ولا سهو عن فعل شئ من الأمور التى تقربه إلى الله تعالى ، وقد وقع لى اننى قلت مرة كلمة مضحكة من حال تدريس العلم ، فرأيت نفسى تلك الليلة مع خلصوص المغانى ، وأنى مرافقه فى سفر من مصر إلى أن اشرفنا على المحلة الكبرى فاستيقظت مرعوبا من ذلك لأنى خلطت مع الشرع ما لا يليق أن يذكر معه ، وسافرت إلى ورائى لا إلى قبلى ، أن أنحدرت^(١) عن مقامى . والكلمة المضحكة إننى قلت لما قرأ على يستحب أن يكون المؤذن أمينا . فقلت أنا : لا سيما إن كان بجانب المنارة امرأة جميلة فاسقة ، فربما غمزها من المنارة وغمزته ، كما حكى إن امرأة كان بينها وبين مؤذن امارة ، وهى أنها إذا قال المؤذن فى تسبيح الليل لا إله إلا الله ، وكان زوجها عندها تقول كذلك لا إله إلا الله حاضر ناظر ، فيعرف بذلك المؤذن ، فيمتنع عن المجئ إليها ، وإذا قالت لا إله إلا الله سبحانه

(١) فى الأصل انحدرت .

وتعالى يهـام المؤذن أن زوجها غائب فيأتيها ، وكانت تقصد بقولها «تعالى» أي يا مؤذن تعالى ، فإن زوجي غائب فلما حكيت هذه الحكاية ضحكت الجماعة فموتبت في المنام على ذلك ، وقيل لى تخاطب مع تقريرك للشيعة غيرها ، فمن ذلك اليوم وأنا أتحرز من ذلك ، وقد أجمعوا على أن كل مريد خلط جدا بهزل لايجئ منه شئ فى الطريق ، فإذا كان فى مثل هذه الحكايا التى ذكرناها من أن فيها نصحا وتحذيرا للاخوان ، فكيف بالغيبة والنميمة ونحوهما ، نسأل الله العافية . فأعرض يا أخى هذا الخلق على اخوانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٢) ومن أخلاقهم ، إذ كان أحدهم تاجرا أن يفرح كلما خسر ، ويغتم كلما ربح ، إلا أن يكون المال لغيره ، وذلك لأنه كلما خسر فقد قرب من الفقر وضيق اليد ، وذلك من صفات الأواباء والصالحين ، وكلما ربح قرب من صفات الجبابرة والغافلين ، فعلم أن كل فقير ادعى الصديق فى محبة الطريق وحزن لفوات شئ من الدنيا ، فهو كاذب ، ويقع لى بحمد الله تعالى أنه يضيق صدرى كلما دخل على شئ من الدنيا ، وانشرح كلما منع الله عنى شيئاً^(١) من الدنيا ، فأشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك . وقد وقع لشيخنا الشيخ نورالدين الشونى^(٢) أنه دخل عليه مال من بعض التجار فاشتري به قمحا للتجارة ، فسوس كله ، فباعه بأنقص من رأس ماله ، قال : ففرحت بذلك غاية الفرح ، وعلمت بأن الله تعالى لم يرد منى الاشتغال بأمور الدنيا . انتهى ، وكذلك ما أخبرنى الشيخ الصالح عمر النبتيتى^(٣) المكشوف

(١) وورث فى الأصل (شئ) .

(٢) سبق ذكره فى المقدمة وهو من أشياخه .

(٣) عمر النبتيتى : ذكره الشعرانى فى الطبقات مات نيف وتسعمائة .

الرأس أنه حصل له من بعض الولاة نحو ثلاثمائة دينار ، فأعطاهما لشخص يتجر له فيها بينه وبين الله سبحانه وتعالى فجعلها وصار يقول : يا مسلمين الشيخ أبوشوشة مكشوف الرأس يدعى على باطلا بثلاثمائة دينار ، ايش بقى فى الدنيا خير ، إذا كان هذا الصائم الدهر يدعى باطلا ، فكيف بغيره فدار مدينة الخانقاة كلها وهو يقول كذلك ، حتى خربت^(١) . قال الشيخ عمر : فتركت مطالته من ذاك اليوم : وعلمت أن الله سبحانه وتعالى ، ما أراد لى الدنيا ، فله الحمد على ذلك . انتهى ، وكذلك وقع لى أنا وولدى عبدالرحمن بأن أخذ شخص منى ومنه خمسمائة دينار كنا جمعناها على اسم الحج بيننا وبين الله تعالى ، فادعى أن الله تعالى أذهبها كلها من بين يديه وصار يقول فلان وولده ظلمونى ، وليس لهما عندى حق فأما الثلاثمائة التى تتعلق بى فسامحت به فى الدنيا والآخرة وأما فلوس الولد فحبسه ، ووصل منه إلى غالب حقه ، فليفرح المريد التاجر كلما تاجر وخسر ، فان الله تعالى أراد به الخير ، وكل مريد تكدر لخسارته فى الدنيا . فقد تودع منه فى الطريق ، وهو من أبناء الدنيا لا من أبناء الآخرة فأعرض يا أخى ذلك على نفسك وأخوانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(٩٣) ومن أخلاقهم ، مبادرتهم إلى السعى فى إزالة الخجل من جلسهم إذا وقع فى شئ يخجله ، كما إذا كثر اللغو والهذيان ، فقال شخص من القوم وهو فى وسط الحكاية « الفاتحة » : يا جماعة ، وذلك بأننا نقرأ الفاتحة ثلاث مرات وأكثر ، ونكلمه كلاما طيبا ، ثم نسأله الدعاء ، فيقول فى نفسه لو كانوا ضجروا من كلامى ما قرأوا الفاتحة أكثر من مرة ولا سألونى الدعاء ، وهذا خلق ما رأيت أحدا من أقرانى يراعيه . فاعمل يا أخى بذلك ليعاملك الله بنظره إذا حصل منك ثقل لجليسك مع جماعة فيزيلوا خجلك والحمد لله رب العالمين .

(١) أى سكت .

(٩٤) ومن أخلاقهم ، أن لا يطلب أحدهم من الشيخ أن يجيبه عن كل ما سألته عنه ، فإذا وصف أحدهم لشيخه رؤيا رآها أو مكاشفة كاشفها أو مشاهدة شاهد منها أمرا ما وسأله عن مسألة ما من الشريعة ، فلا ينبغي له مطالبة الشيخ بالجواب ولو بباطنه ، لأن شيخه تكيم الزمان والمريد عليل محجوب عن رؤية ما يدفعه وما يضره ، وربما كان ذلك الجواب يضر بالمريد ، إذا اشتمل على أمر فيه تعظيم قدر للمريد ، وربما رأى نفسه بذلك على شيخه فسقط من حرمة الشيخ شئ قلبه بمقدار ما رأى نفسه عليه ، ووقعت الانابة منه عدم الانتفاع بكلام الشيخ ، وترك العمل بما ينصحه ، وإذا ترك العمل بما ينصحه به وقع الحجاب والطرء ، وإذا وقع ذلك خرج المريد عن حكم الطريق ، وأخلد إلى أرض الشهوات ، فمثله كمثل الكلب . نسال الله العافية ، وكان سيدى يوسف العجمى^(١) رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي للشيخ أن يتكلم على ما يحكيه له المريد أو يسأله عنه البتة ، وإنما يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما فى ذلك من المضرة أو الحجاب ، ويرقيه إلى ما هو أشرف من ذلك . فاعرض يا أخى ما قررتك لك فى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم فى الأدب مع الشيخ ، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٥) ومن أخلاقهم أن لا يغتر أحدهم بطول صحبة الشيخ ، ويرى نفسه أفضل ممن صحب الشيخ بعده ، وأنه (أرقى)^(٢) منه فى المقام لكثرة صحبته للشيخ وصدقه معه لا سيما أن صار المريد القديم خطيبا أو واعظا فما كل من سبق سبق ، ويجب على المريد إذا صار له جاه فى قلوب الخلق أن يحتمل زجر الشيخ له بين الناس وإخراجه .

(١) يوسف العجمى ، سبق الإشارة إليه .

(٢) فى الأصل (أرقا) .

من الحلقة (فان)^(١) جراً برجله ، فان الشيخ ما أخرجه من مجلسه إلا لمصلحة تعود عليه ، ومتى تكدر من شيخه لأجل ذلك ، فقد خرج عن الطريق ووجب عليه تجديد العهد ، وقد قالوا للشيخ : ثلاث مجالس ، مجلس للامة ، ومجلس لأصحابه من المريدين ، ومجلس للخوادم منهم ، كل واحد على انفراد ، ولكل مجلس كلام يخص أهله متى سمعه من ليس هو من أهله أضرب بحاله ، فأما مجلس العامة فيجب على الشيخ أن لا يترك أحداً من المريدين يحضره ، ومتى سمع أحداً من المريدين في حضوره ، فقد أساء في حقه ، إنما الواجب عليه أن يأمره بالجلوس معه على الانفراد ، وذلك حتى لا يسمع العامة أو غيرهم شيئاً من زجره وتقريعه وتوبيخه ، وأن الواجب على الشيخ أن لا يغفل عن زجر المريدين وتقريعه وتوبيخه ، وبيان أن الأمر الذي هو عليه حال ناقص عن مقامات الرجال وتنبيهه على زيادة همته ونقصها لأن لا يفتتن برؤية محاسن نفسه . وكان الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى ، فيقول : من شرط الشيخ إذا جالس العامة أن لا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات ، وذكر ما كان عليه أهل الله تعالى من المحافظة على آداب الشريعة وأحكامهم أياها ونحو ذلك انتهى ، وأما مجلس الشيخ مع خواص المريدين فشرطه أن لا يخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والمراقبات والرياضات وإيضاح السبل إلى طريق المجاهدة إلى الممات المشار إليها بقوله تعالى : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»^(٢) ، فاعرض يا أخى ما قررناه في هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف مقامهم ، ولعلك تجد أكثرهم يتغير منه كل شعرة إذا زجره شيخه من الجلوس معه ، وربما صار

(١) في الأصل (فهو) .

(٢) الهنكيوت : ٦٩ .

ينقش في الجبال بسبب ذلك ، وربما كان الشيخ هائل رجوعه للعرب ،
من الجلوس في بيت لا يسمعه فيه غير ربه عن مولى ، وصاحب ، إذا
المقام ينجز السلطان ولا يبالي به ، فاعلم ذلك ولا تنس نفسك والصد
الله رب العالمين .

(١٦) ومن أخلاقهم عدم قذاعة أحدهم بما حصل له من الحضور
مع الله في غالب أوقاته ولا بما حصل له من التوكل والتسليم ، وغير
ذلك من الأحوال في المقامات ، فان الأمر بداية ما تم فيه نهاية . وقد
كان سيدى إبراهيم المتبولى^(١) رضى الله عنه يقول (لا يكثر تعظيم
أحدكم نفسه وإنما يرى نفسه دائما صغيرا اليد قدمه ومتاعه من
امداد ربه عز وجل)^(٢) وكان يقول : لا يغتر أحدكم بما حصل له من
الحضور مع الله تعالى في عبادة وترك ما سواه ، فان ذلك ليس من
طبع النفس ، والآخر مثلها أن ما هو أمر عارض عرض لها فربما
رجعت إلى طبعها من الغفلة والحجاب في أسرع من لمح البصر ، فعلم
أن كل مريد لم يتفقد نفسه في كل ساعة ولحظة ، فهو مخدوع ولو
كان من أكبر المشايخ فضلا عن المريدين ، قال تعالى : «أن الإنسان
خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا»^(٣) - الآية -
وكل رذيلة في النفس قد^(٤) أبان فيها أن الفضائل فيها مكتسبة لها
ليس هي في جبلتها ، ومعلوم أن الأمور المكتسبة سريعة الزهاب من
زهد وورع وإقبال على عبادة ، وغير ذلك ، فاعرض يا أخى هذا الخلق

(١) عاش زمن السلطان قايتباى الذى حقد عليه لالتفاف كثير من المريدين حوله بمصر ،
وسافر إلى القدس حيث مات هناك في نيف وثماني مائة وثمانين هجرية .

(٢) وردت في الأصل : (لا يكثر تعظيم شهداءكم أنفسه دائما صغرى اليد قوم وضاعف من
امداد ربه عز وجل ، التصحيح لاستقامة المعنى .

(٣) الاسراء : ٨٣ .

(٤) وردت في الأصل (وابان) .

على مريدى عصرك تجد غالبهم يقنع بأدنى شئ يحصل له فى الطريق ، ثم بعد مدة يسيرة ، يتحول ذلك عنه ويصير مسلوبا من كل خير ، حتى يظهر عليها لوايح المقت . نسأل الله العاقبة والحمد لله رب العالمين .

(٩٧) ومن أشرافهم ، كثرة العدل على جهالة مودة قلوبهم من ذلك . انهم يتكلمون بمودة الله من قبل ، وذلك حتى لا يأتى بهم من مودة الله من بعد . انهم يقولون : ان الله يحب من يحب الله . فلو كان الله يحب من يحب الله ، لكانت محالستة تعالى ألف سنة خلة كاشطة . ثم انهم يكتمون مودة الله من قبل وهو مودة المريد لشيخه وسهره معه اللبالي . فانه مودة ادمان للسرية ، فقول : كيف أنام وشيخى سهران . فلا يزال كذلك حتى يصير يقول : كيف أنام وربي لا ينام ، فيكون نومه غلبة بعد ذلك . فيصدق الله تعالى لا ينقص له به رأس مال ، فاعلموا ذلك أيها المریدون ، والحمد لله رب العالمين .

(٩٨) ومن أشرافهم ، كثرة تدمهم واستغفارهم إذا فاتهم مجلس ذكر ، فينأسفون على ذلك أشد من تأسفهم على موت واحد منهم وذهاب ماله ، ولا يصير لأحدهم ذلك اليوم ميل إلى أكل ولا شرب ولا ضحك ولا جماع ولا غير ذلك من شهوات الدنيا ، حزنا على فوات مجالستهم لله تعالى ، بل لو مات أحدهم أسفا على ذلك ، اكان قليلا . ندع أن كل مريد فاته ورد وأكل ذلك اليوم أو ضحك أو جماع حليفته ، فهو كاذب فى دعوى الارادة ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على من شئت من المريدين تعرف صدقه أو كذبه ، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٩) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم حاذقا في أمر ديننا ، فقيهنا في كل ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى وذلك من علامات صدقه في الطريق (قيدنايل) (١) على تحصيل الفوائد ، كما يتحایل محب الدنيا على تحصيلها بل أشد ، لأن (الأعمال) (٢) الأخروية أشرف من الدنيوية بالأعمال ، فإذا علم أن ليس الفراش يورث كثرة النوم نام على الحصيرة أو على الأرض من ذات نفسه ، ولا يهتوج شيئا إلى أن يأمره بذلك . فإذا نام عن ورده إلى آخر الليل توضأ وقرأ في صلاته بجوارح الكلم التي ورد أنها تعدل ألف آية أو نصف القرآن أو ربعة أو ثلثة كآية الكرسي ، وألهاكم التكاثر ، وإذا زلزلت ، والكافرون ، وسورة الإخلاص ، ونحو ذلك لا سيما أن وقع لهم فوق ذلك الورد أو آخر أعمارهم ، فانه يتأكد القراءة والقراءة بجوامع التسبيح والتكبير والتلهيل اغتناما للأجرين ، ضاق الوقت أو العمر ويطيل القراءة بالمعلومات على ما إذا اتسع الوقت ، كما صرح الفقهاء في كتب الفقه ، ثم الذي ينبغي لمن نام عن أول الموكب الإلهي مثلا ، أن يوبخ نفسه كل التوبيخ ، ولا يرى أنه جبر ما فاتته من تطويل القراءة مثلا بجوامع الكلم التي قرأها لأن ذلك جعله الله رخصة لمن تعاطى أسباب كثرة النوم من الشبع والشرب وكثرة (الأذى) (٣) ، ونحو ذلك فأعرض ياأخى ذلك على غالب المريدين في عصرك تعرف مقامهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٠) ومن أخلاقهم كثرة محبتهم للفقهاء ولو بالنوا في الانكار عليهم ، وعلى طريقهم لأن الفقيه ما ينكر إلا ما لا يصل إليه فهمه ، فهو

(١) في الأصل : (يتحيل) .

(٢) في الأصل : (أعمال) .

(٣) في الأصل مطبوعة .

معذور في إنكاره من حيث أن الشرع أمره أن ينكر كل ما رآه من المنكر يخصب قهمه ، وإن لم يكن الأمر منكرا في نفس الأمر كما يشهد به واقعة موسى مع الخضر فلو لما الصلاة والسلام ، وأن موسى عليه الصلاة والسلام ما أنكر إلا ما علم أن الله عز وجل قد أنزل في ذلك آية معصوم من الله ، معذور قوماً لم يزل الله تعالى أياح له ذلك ، فذلك يريد أن يثبت نفسه من الذنوب المنكر عليه ، فهو يفاضل لا يجيء منه شيء في الطريق لمعادنه لجملة الشريعة الذين هم هداه الناس ، لا سيما إن كان لم يتيسر في العلم كذالك مريدون هذا الزمان الذين يتلمذون للأشياء من غير علم بالشريعة ، فإن كرامته لأهل العلم من علامة مقت الله تعالى له كما عليه طائفة^(١) فقهاء المناوئة ويهتدون بقاء الحجة ، فيقولون الفقهاء معجوبون من الله ، والصال أنهم هم المحجوبون ، ولكن لا يشعرون ، فاعلم ذلك يا أخي وفيما تفحص قوماً كنت أذكر فكره الفقهاء المنكرين طابع ثم تصيرون تداوهم وتمسكهم وبراءة وفاقا ، واعلم يا أخي أن الناقية ما أنكر طابع إلا ما خالفته فيه طابع الشريعة يخصب قهمه ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٠١) ومن أخلاقهم أن لا يترك أحدهم درجة في الجنة الأعمال إلا وله فيها نصيب ، وذلك بأن لا يدع شيئا من فعل المأمورات الشرعية إلا فعله ، ويفعل ولو مرة ، قال تعالى : «إنما تجزون ما كنتم تعملون»^(٢) . وقال تعالى : «أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون»^(٣) . فمن لا يعمل له لا يدخل الجنة الأعمال ، كمن خلق مجنونا أو بهلولا وإنما يدخل

(١) في الأصل (طائفة) .

(٢) سورة : الطور ١٦ والتحريم ٨ .

(٣) سورة : النحل ٣٢ .

جنة الاختصاص والمنن . فإياك يا أخى أن تكتفى بنوع واحد من العبادات أو أنواع وتترك كثيرا من الأعمال ، فتحرم كثيرا من البركات ، فاجتهد أن تكون قارئاً ذاكراً مهللاً ، مشتغلاً بالعلم ، كناساً للمساجد ، قاضياً لحوائج الناس ، حاضراً للقبور والآبار ، وقادراً فى المسجد اماماً طباًخاً طحاناً عجائلاً زراعاً حرثاً ، وهكذا .. فلا يعوقك عن فعل شئ من ذلك إلا عدم قسمه لك والكسل والتكبر .

ومن هنا قالوا أن شرط المرید أن لا يوجد إلا فى عمل خير ، فتكون أوقاته كلها معمورة به ، فأعرض يا أخى ذلك على مدعى الصديق من مريدى عمرك ، تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٢) ومن أخلاقهم الأخذ بالقال الحسن ، وترك التطير تأسيا برسول الله ﷺ ، فانه كان يحب القال الحسن لأنه كالبشرى من الله عز وجل ، إذ لا يعلم أحد ما فى علمه تعالى حقيقة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . وهذا الخلق قليل من يراعيه لا سيما من غلب عليه شهود الشوايق من المريدين (فلا يبتوا)^(١) أى فائدة فى سماع القال ، ولا يعلم أحد ما فى علم الحق ، فيقال له إنما يفرح العبد بالقال الحسن طلباً لحصول ما يحب من حضرة الاطلاق التى يفعل الحق منها ما يشاء^(٢) ومن وقف مع السوابق فعل الأمر بالدعاء^(٣) وكثيراً من الأحكام وهو مثل من علم أن السماء فوقه والأرض تحته فوقف عند ذلك ، ولم يتعد إلى عجائب^(٤) ما فيها . انتهى ، وقد بلغنا أن رجلاً قرع

(١) فى الأصل : (فيقوا) .

(٢) فى الأصل : (ما يشاء) .

(٣) فى الأصل : (بالدعاء) .

(٤) فى الأصل : (عجائب) .

باب الشيخ أبى مدين رضى الله عنه ، فرج إليه ولم يكن فى نية الشيخ أن يدخله بيته فى ذلك الوقت فقال له : ما اسمك ؟ فقال : أحمد الفائدة^(١) من سادات القوم ، ثم أن أكثر من يقع فى مثل ذلك من يكثر من مطالعة كلام القوم من غير شيخ ، ويحفظ حكاياهم ، ويزعم أنه صار صرفيا ، فبمجرد ما يقف على باب التوحيد يقول : أنا وصلت ولو أنه كان له شيخ لأخذ بيده ورقاه إلى مقامات الرجال ، فأعرض يا أخى ما قررناه لك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٣) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم كثير النظر فى أخلاق شيخه ليتأسى بما فيها من زهد وورع وخشوع وقناعة وتفويض وتسليم وصبر وغير ذلك ، ولا يهمل أخلاق شيخه ، فلا يتخلق منها إذا مات شيخه يصير حكويا ، يقول كان شيخنا كذا وكان يفعل كذا ، ويقول كذا ، فيقول له ماذا اكتسبت من شيخك ؟ ولا يجد نفسه اكتسب شيئا وهذا الحال قد فشى فى غالب أصحاب مشايخ هذا الزمان ، ثم أنه مع عدم انتفاعه بشيخه الذى يزعم أن الزمان ما بقى يخلف مثله يغش نفسه ولا تصير نفسه تطاوعه أن يتلمذ لأحد ممن (لقيه)^(٢) أن يشممه شيئا من روائح الطريق ، فيا خسارة مثل هذا يوم يقوم الاشهاد ، وتنكشف أحوال أهل الدعاوى ، فالعاقل من تدارك ما فاتته من شيخه على يد شيخ آخر ، ولم يغش نفسه ، فأعرض يا أخى ما قررتك لك على من يدعى الصدق من مريدى عصرك ولا تنس نفسك ، ولعلك واخوانك لا تنكبس لكم نفس أن تأخذوا على أحد بعد شيخكم الذى لم ينتفع أحد منكم به ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١) فى الأصل : (الفايدة) .

(٢) فى الأصل : (لقلة) .

(١٠٤) ومن أخلاقهم ، أن يزيد في محبة كل من رآه يصيب شيئا ، وذلك لب قوا إلى محبة كل من يرويه يحب ربه ، وبه ظمه ، فان كل من لا يعظم إلا من أحب محبوبه ، وبذلك تعرف مقامات الرجال عند الله تعالى ، فحيث قام التعظيم لله تعالى في باب عبد من عبده ، كائنا من كان وجب تعظيمه وتبجيله وإكرامه ، ومن هنا عظم بعض الصالحين بعض العوام أكثر من تعظيمه طلبه العلم ، لما قام عند ذلك العاجي من التعظيم لله سبحانه وتعالى ، وقد كان شخص من جبلية الوالى اسمه الحاج أحمد ينام عندنا في الزاوية سنين عديدة ، ثم بعد ذلك تحول وصار ينام في مخزن اكتراه ، وكان عازيا . فقلت له يا حاج أحمد ما حملك على الخروج من الزاوية ؟ فقال : سمعت شخصا من المجاورين يخرج منه ريح ، وهو نائم فخفت أن يخرج منى ريح ، كذلك في بيت الله وأنا نائم فأسئ الأدب ثم لم يزل ينام في ذلك إلى أن مات رحمه الله . فأنظريا أخى تعظيم هذا لبيت ربه مع أنه من جبلية الوالى وأحد المجاورين يخرج الريح ليلا ونهارا لا يقطعه فضلا عن النوم ، ولا يرى ذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى ، فالعاقل من أخذ الأدب والحكمة من أى من جاء بها ، كذلك وقع لى لأننى كنت أسبح وردى بالسبحة الكبيرة فوضعتها بعد ذلك على البساط قرأها الحاج على المشرقى أحد أصحابنا فأمرنى أن أعلقها فى مسمار فى الحائط، وقال لى عظم ما تذكر اسم الله عليه ، فان وضع السبحة فى الأرض يعرضها لمس بعض أقدام المشين ، وذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى ، فكذلك علقتها (فى المسمار)^(١) وازددت محبة فى الحاج على المذكور من ذلك اليوم ، فانه قد مر على هذه السبحة خلائق من طلبة العلم وهى على الأرض ، فما قال لى قط واحد منهم أرفع هذه السبحة

(١) فى الأصل فى المسمار (من ذلك اليوم) وحذفت لعدم التكرار .

من الأرض ، كما أنى أنا لم أهتم لذلك إلا حين نبيهنى الحاج على المذكور ، فجزاه الله عنى خيرا فأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥) ومن أخلاقهم ، إذا (ضاق)^(١) الوقت من قراءة يكامل وردهم الذى فيه صلاة على رسول الله ﷺ أو استغفار للمؤمنين والمؤمنات ، وذلك لأن العبد ولو علمت رتبته يحتاج إلى ما يغذى مقامه ولا هكذا مقام الحق جل وعلا ، فانه غنى عن عباده وعن ذكرهم وعن تحميدهم له ، فبهذه النية يا أخى ، قدم قراءة الصلاة على رسول الله ﷺ ، على ذكر الله الخاص به ، وإيضاح ذلك أن الله غيور لا يحب يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لغيره إلا أن يكون تسلك المحبة لأجله تعالى كمحبتنا الأنبياء والأولياء مثلا إنما هى لكثرة محبة الله تعالى لهم ، فإذا اطلع الحق جل وعلا أن محبتنا للأنبياء والأولياء مثلا إنما هى لأجله ، زادنا قربة ومحبة . فلاحظ يا أخى هذه الحكم فى محبة كل شئ يميل قلبك إليه ، فلا تحب شيئا^(٢) إلا أن رأيت فيه مرضاة^(٣) ربك . وهذا خلق غريب قل من يتخلق به ، فأعرضه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٦) ومن أخلاقهم أن يحذر أحدهم من مباسطة شيخه له وإطعامه الطعام معه وتكليمه الكلام الحلو دون غيره ، فربما كان ذلك من الشيخ امتحانا أو اختبارا ، فإن قلوب الفقراء كقلوب الملوك لا تملك ، فيسامحون بأكثر الكثير ويؤاخذون بأقل القليل ، وكذلك ينبغى لأحدهم الحذر من نثر الشيخ الدراهم التى تأتية من الزكاة مثلا فى

(١) فى الأصل، (ضاقت) .

(٢) فى الأصل (شيء) .

(٣) فى الأصل (مرضاة) .

صحن الزاوية بين الفقراء ، فانه إنما يفعل ذلك ليظهر للمريدين هوان الدنيا سند الفقراء حتى لا يزاحموا عليها ، وليعرف بذلك حال من يبادر إلى الالتقاط تلك الدراهم كالأسد ، ومن يأتى إليها على هيئته . ومن يتركها ولا يفرم لها تحففا ، ومن يتركها ولا يقوم لها تكبرا ، وفى قلبه المحبة لها بحيث أنه يود أن أحدا أعطاها له من غير قيام لها ، فيكن المريد على حذر من مثل ذلك ، فقد مقت خلق كثير باعتراسهم على شيخهم فى نشره الدراهم على الأرض وقولهم لو أنه أعطى لكل إنسان نصيبه فى يده كان أولى ، فان رسول الله ﷺ قد نهى عن النهب ، ونحو ذلك من الكلام الذى طعن على الشيخ وغاب عن هذا الممقوت أن النهى إنما هو فى حق من يؤذى بعضهم بعضاً حين الالتقاط وهذا الأمر مفقود فى حق غالب الفقراء فيؤذى^(١) بعضهم بعضاً ، فقال الشيخ : إنما هو ليؤدب من يؤذى رفيقه ليظهر ما فى مكنون سره من دعوى الزهد فى الدنيا وعدم الاكتراث لها أن الشيخ امتحن أصحابه بما شاء ليخرج أضعفانهم ويظهرهم من خبايا الأخلاق ، فاعلم يا أختى ذلك واحذر منه أنت وأقرانك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٧) ومن أخلاقهم كراهية تقبيل الناس لأيديهم إذا خرجوا إلى السوق وغيره وكراهة نزول الناس لهم عن دوابهم إذا رأوهم ، ونحو ذلك لغلبة ذلهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى فضلا عن خلقه ولكراحتهم مزاحمة الحق تعالى فى مشاركته الخلق له فى مسمى التعظيم ، فهم يحبون أن يكون التعظيم كله لله تعالى لا لعباده ، وربما مقتوا من قبل أيديهم أو نزل عن دابته لأجلهم غيرة لله سبحانه وتعالى وانتصارا لجناحه ، فلا تعتقد يا أختى أن أحدا من الفقراء الصادقين ينشرح لتعظيمه أبدا ثم أن هذا دأب الفقراء ما لم يتمكنوا فى مقام

(١) فى الأصل (يؤذى) .

العبودية ، فإذا تمكنوا فيه صاروا يمنعون الناس من التعظيم لهم بقلوبهم من غير لفظ ولا إشارة ، فيخرج أحدهم إلى السوق وغيره ولا أحد يسأله الدعاء ولا يقبل يده ولا ينزل له إن كان ممن قنى اختيارهم فى إختيارهم فلم يصير له ميل ولا دفع لشيء . كان الشيخ أبوزيد (١) إذا خرج إلى السوق يزاحم الناس على الشيخ بمرقعة فلامه بعض أصحابه فى ذلك . فقال أنهم لا يتبركون بأبى يزيد ، وإنما يتبركون بخلة الله على . انتهى ، فمثل هؤلاء لا اعتراض عليهم لعدم القصد لجلب شيء أو دفعه ، فليفتش الفقير نفسه ، فإن لم يجد عنده داعية ، فليحمد الله تعالى والا فليستغفره . غا عرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق فى محبة الطريق تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٨) ومن أخلاقهم ، أن لا ينشرح أحدهم بالرؤيا الحسنة التى يراها أو ترى له إلا إذا كان على وفق طريق الاستقامة ، فان كان مرتكبا ذنبا من الذنوب ، فإنما يكون ذلك استدراجا ، وقد قالوا أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وقالوا كرامات أمثالنا إلى الإثم أقرب ، ثم إنها خلت من الاستدراج ، فلا ثقة ببقائها عليه ، ثم ان وثق بدوامها فهى خلق الله وحده لا تعتمد له فيها ، وأيضا فإن الرؤيا الصالحة ، إنما تأتى تأييدا لضعيف اليقين لتزيده ، فى البقاء على دينه وكذلك الترغيب والترهيب لا يكون إلا لأعمى القلب (٢) ، وأما من كشف الله عن بصيرته ، فلا يحتاج إلى شئ يبعثه على الطاعة ولا إلى شئ يقوى إيمانه ، فعلم أن كل من كثرت له المرائى الحسنة ، فليحذر منها لأنها مؤدية لضعف إيمانه ، وكذلك قلة كرامات

(١) يقصد الشيخ أبوزيد البسطامى .

(٢) المقصود المريد المبتدئ فى أول الطريق .

الصحابة بالنسبة لمن بعدهم لقوة إيمانهم ، فافهم ذلك وأعرض يا أخى ما ذكرته لك على مريدى الصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٩) ومن أخلاقهم إذا تلقن أحدهم ذكرا على الشيخ أن يداوم على ذلك الذكر ليلا ونهارا حتى يقع له الفتح ، ويشعل قلبه بنار التوحيد والمعرفة ، وهذا الأمر قل أن يقع لأحد من مريدى هذا الزمان ، فربما تلقن أحدهم فخدمت نار شوقه بعد ثلاثة أيام ، ولذلك صار الشيخ يلقين المريد كذا كذا مرة ، وقد لقنت مرة فقيرا من البررة من جامع الأزهر ، وكان مجازا بالتدريس فى مذهب الإمام مالك فوهب كتبه كلها للناس ، وانقطع عندي بذكر الله سبحانه وتعالى على باب دارى فى خص ستة أشهر لا يمل ليلا ولا نهارا ، ثم وقع له الفتح ، ثم مات بعد ذلك بثلاثة أيام ، فهذا من أغرب ما رأيته من صدق مريدى هذا الزمان ، فالله يرزقنا واخواننا الصدق لله تعالى آمين . فان هذا صفة الصادقين ، وأما من يلتفت إلى شئ آخر غير ما هو مقبل عليه ، فهو كاذب . فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٠) ومن أخلاقهم ، أن يرى أحدهم كل ما أمره به شيخه من الذكر أو المراقبة أفضل من سائر الفضائل التى لا يأمره بالاشتغال بها ، وذلك ليجد فى السير من غير التفات إلى أمر آخر ، ولو كان أفضل مما هو فيه عند قوم آخرين ، وليجزم فى نفسه أن الشيخ ما حوله عن الاشتغال بذلك الأفضل إلا لما رآه فيه من الآفات ، التى تطرق الخلق ، ولو أنه رآه سالما من الآفات فى ذلك لأمره به وحرم عليه العدول إلى المفضول من حيث أنه غش وتطويل على المريد فى الطريق ، ثم أكثر من يقع فى مخالفة الشيخ فى هذا الأمر طلبية العلم

فبمسحب أحدهم الشيخ العشرين سنة وأكثر ، فلا ينتفع وذلك لأنه على الخبيث مما يقول له شيخه ، ويذعم أن كل ما يأمره به شيخه مفضول ، وما يشتغل هو فيه بنفسه أفضل . فأعرض يا أخى ذلك هاى من يدعى الصدق من المريدين تعرف حالهم ، ولا تنس ذنوبك والحمد لله رب العالمين .

(١١١) ومن أخلاقهم ، أن يتخلق أحدهم بالبرحة على العالم كله ، حتى يسود أنه لم يكن فى العالم شيء أبدا ، وهذا وإن كان محمودا فى البداية فهو جهل بأحكام الله تعالى والله سبحانه وتعالى أرحم بخلقه من والديهم ، وهو الذى أخذ بناصيتهم إلى أفعال أهل الشقاء ، فالرحمة للخلق حد لا تتعداه ، ولكن الكامل من يرجح مراد ربه على مراد نفسه ، ولا يطلب أن يكون العالم كله سعيدا بهوى نفسه ، فإن الناس إنما يدخلون الجنة برحمة الله لا بأعمالهم لأن أعمالهم كلها خلق الله تعالى ، وليس لهم فيها مدخل إلا من حيث كونهم محلا لظهورها على جوارحهم فسواء عند الكامل زادت المعاصى على الطاعات أم انعكس الحال ، وإنما يأمر الناس ويحثهم على الخير امتثالا لأمر الله له بذلك فأنفهم . وأعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من مريدى عسرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٢) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم حاذقا يعرف نفاسة كلام شيخه ولا يحوجه إلى تزكية نفسه أو كلامه ، كما يقع فى ذلك أعمى القلب من المريدين الكذابين ، وربما زكى الشيخ نفسه بحضرة من لا خلطة له بأهل الطريق ، فيذكر على الشيخ ، فيخرج ممقوتا لا يفلح فى الدنيا ولا فى الآخرة . وقيل أن المريـد إذا كان حاذقا لا يحوج شيخه إلى تزكية . وأن الشيخ إذا كرر مسألة^(١) على مريد أو قال له احفظ

(١) فى الأصل (مسئله) .

منى هذه المسألة التى لا تجدها عند غيرى ، فإنما ذلك لكونه رآه متساهلا بها لا يعرف نفاستها ، فأراد الشيخ بتلك التزكية باب الاعتناء بها . فأعلم ذلك وأعرضه على من يدعى الصدق من المريدين ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٣) ومن أخلاقهم أن لا يدخل أحدهم على شيخه إلا لأجل شيئين ، أما الخدمة له ، وأما طلب ارشاده إلى ما فيه صلاحه فمن لا خدمة عنده وطلب ارشاده ، فدخوله على الشيخ سوء أدب لا سيما أن سحب سبحته وسبح عليها بغير أذنه ، فانه ربما مقت . كما وقع ذلك لمريد يوسف العجمي رضى الله عنه^(١) ، وقد أجمعوا على أن أقل ما يفعل الفقير مع الشيخ من الأدب أن يُعظم ويُحترم ، كما يحترم السلطان لا يدخل عليه أحد بغير أذنه ولا يمسه أحد سبحته بغير أذنه ، فاحترم يا أخى شيخك فانه عوان حالك مع ربك (ولا تجنح)^(٢) لمن رخص فى ذلك ، فانه غش لك . فأعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك ، فان رأيت يتكدر من شيخه إذا زجره ومقته حتى يدخل عليه بغير حاجة . فأعلم أنه كذاب فى دعوى محبة الطريق ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٤) ومن أخلاقهم إذا واطب أحدهم على مجلس الذكر أن لا يرى له بذلك مقاما على من لم يحضر ذلك المجلس الا من حيث ذكر الله تعالى لا غير بل الواجب على كل عبد أن يرى الفضل لله تعالى الذى أهله لأن يجلس بين يديه ويجالس المجالسين لله تعالى من المشايخ والملائكة ، الذين يحضرون مجالس الذكر ، وهذا الخلق يقع فى مخالفته غالب من لا قدم له فى الطريق ، ويقول فى نفسه لولا

(١) سبق الإشارة إليه .

(٢) مطموسة فى الأصل ووضعت ليستقيم المعنى .

حضورى لبطل هذا المجلس ، فيلحذر الفقير من مثل ذلك ولا يحضر مجلس الذكر إلا خائفاً من الله تعالى ، كالمجرم إذا أتوا به إلى الوالى لعاقبه ، فهو يخاف من العقوبة ، ولا يرجوه أن يخلع عليه . فافهم وأعرض هذا الخلق على من يدعى الصديق من مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٥) ومن أخلاقهم عرض أحدهم صحيفته على شيخه كل يوم ولا يكتم عليه شيئاً ، وذلك لأنه أمين عليه من جهة الله عز وجل ، ومتى كتم عنه شيئاً من أحواله حياء منه ، فقد غش نفسه ، فان الأشياء لا يزدرون أحداً بجريان أقدار الله تعالى فيه ، فان العبد عاجز عن رد أقدار الحق تعالى التى قدرها عليه وكان بعضهم يقول إذا أحس بوقوعه فى مخالفة «اللهم انك تعلم عجزى عن رد أقدارك النافذة فى ، فاغفر لى وسامحنى». انتهى . ومن فوائد عرض المريد صحيفته على الشيخ تخفيف وقوعه للحساب يوم القيامة ، فان الشيخ نائب عن الله^(١) تعالى فى مناقشة المريد ومحاسبته فى دار الدنيا ، فان رأى العقوبة أصلح له عاقبة ، وإن رأى الشفاعة خير له شفع فيه ربه عز وجل ، واستغفر الله له ، وكل من كتم عن شيخه زلة ، فيأطول حسابه وقت يتجاوز الحق عنه ، فعلم أن الصادق هو من لا يكتم عن شيخه شيئاً من نقائصه وعيوبه بالعكس . فاعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصديق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٦) ومن أخلاقهم أن يرجع أحدهم باللوم على نفسه إذا خرج للفقير عن شئ من ثيابه مثلاً ، ثم رجع إليه ثانياً ، فيقول لنفسه : لولا

(١) يرى للصوفية أن الشيخ بمثابة المدرب المبتدئ فى طريق الله ومتى تعلم العوم فانه

علاقة محبتك لما خرجت عنه أولا ولم يرجع إليك ثانيا ، ولو كنت (صادقة)^(١) لم يرجع إليك بوجه من الوجوه ، وقد أرسلت مرة صوفى وفروتى إلى السديق ، فعرفهما شمتص من الحيين ، فاعطى النقيب ثمنهما ووجههما إلى . فوددت أنتم عليك ، ثم يرضى . ثم بعد ذلك أرسلتهما أيضا إلى السديق لأشتري للعريان وهما . فكان من الجيب ، فصادقهما محب أيضا فردهما أيضا . وأعطى الثمن القليل ، فمشى وقع لى ذلك خمس مرات ، ففتشت نفسى فأنهتها أن عندها علاقة فى محبة الشهرة بالايثار ، فحلفت أنى ما عدت أقبلهما بوجه من الوجوه . فاعرض ذلك على من يدعى الصديق يا أخى من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٧) ومن أخلاقهم ، لا يقترضون أحد بنية طلب القرض إنما يعطون المحتاج ما طلبه ولا يحدثون أنفسهم بأذهم يأخذون منه عوضا فى الدنيا والآخرة ، إذ الحال الذى عند كل عبد إنما هى الآخرة والابن كالأوكيل لصاحب المال فيعطى كل محتاج بقدر ما أضافه له السيد ، فلو أتاهم المقترض بعد ذلك بالعوض لا يأخذون منه لأنفسهم من مال لعبيد الله أبدا ، ثم قدمننا قريبا أن رجوع العوض الفقير عن علامة وجود علاقة فى قلبه ، اذلك الأمر الذى أعطاه وإنه ان صدق لم يرجع إليه عوض أبدا ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من مريدى عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٨) ومن أخلاقهم ، ترك الالتفات إلى وراء إذا مشوا فى طريق الظاهر والباطن ، وإذا إلتفتوا لحاجة التفتوا جميعا الظاهرا للظاهر أخيههم بوفاء حقه وإظهارا للفاقة والحاجة إلى ما التفتوا لأجله من

(١) المقصودة (صادقة يا نفسى) .

حوائج الدين . نادى رجل أبا بكر الشيبلى^(١) رضى الله عنه من خافه ، فلم يجبه . وقال : أما علمت أن الفقراء لا يلتفتون إلى وراء لغير ضرورة ولا يجيبون من ناداهم من خلف القفا كل ذلك لتعلق همتهم بما أمامهم من دوام السير إلى حضرة الله تعالى شوقا إلى أهلها كم يجد المسافر فى السير إذا قرب من معالم بلاده شوقا إلى وطنه وأولاده وزوجاته . فاعلم ذلك وأعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٩) ومن أخلاقهم التصديق فقدأ بقلوبهم على جميع عباد الله تعالى بأعراضهم وذمامهم وأموالهم ولا يظلمون أحدا بشئ فى الدنيا والآخرة بالأشياء وأصول الشرع (فعضد)^(٢) هذا الفعل ، فإنه من باب العفو ومكارم الأخلاق ، وقد ورد النص فى ذلك ، وهم الذين يكون أجرهم على الله سبحانه وتعالى ، وفى الحديث أيضا مرفوعا لا يستطيع أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا أصبح يقول : اللهم إنى قد تصدقت بعرضى^(٣) على عبادك انتهى . لكن لا يخفى أن التصديق بما ذكر لا يصح إلا من جانب حق العيد ، إما من جانب حق الله تعالى ، فلا يصح عمله ، فإن على كل من استغاب الناس إثما زائدا على الاثم الحاصل بالضرر للمغتاب من حيث أن المستغيب تعدى حدود الله بعد نهيه عنها ، فعلم أن كل من تكدر من كلام الناس فهو لا يشم رائحة لأهل الطريق ، فضلا عن كونه يقع فى أعراض من اغتابوه ، وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول إذا مات له عدو يحزن عليه ، ويدعوا له بالمغفرة والرحمة ، ويقول لا إله إلا الله مات

(١) فى الأصل (أبوبكر الشيبلى) .

(٢) فى الأصل (تعضد) .

(٣) المقصود : إنه يتصدق بحقه فيمن اغتابه .

من كان يحصل لنا على يديه الخير^(١) من حيث حملنا الأذى منه وإن لم يقصد هو ذلك . فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدك عسيرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٠) ومن أخلاقهم عدم الازدراء لأحد من خلق الله عز وجل ، لأنه من شعائر الله ، فالذرة الصغيرة كالعرش العظيم من حيث أن خالقهما واحد وهو الله عز وجل : وكان سيدي علي الشواهد رحمه الله تعالى يقول : لا يزدري أحدكم شيئاً من خلق الله تعالى ، فإن الله تعالى لم يزدري شيئاً من خلقه ، ومن يزدري شيئاً من خلق الله عظم الله ويحقق ما يحقر الله ، فيزدري الله على الشر والفساد على التلب والعدل^(٢) على الفاسق ، وما أشبه ذلك ، مع طبعه بما الأمر عليه في الباطن ، وكان الشيخ عيسى الدين بن العربي رضي الله عنه يقول : لا يكمل الفقير في مقام العرفان حتى يحسن إلى كل من^(٣) وفاجر وناطق وصامت وظاهر ونجس شافقاً بأخلاق الله تعالى ، ولقد حدثني الوجيه المقدسى بمدينة ملطية إنه كان بمدينة بخارى وإلى ذلك فركب يوماً فرأى كلباً أجرب (يرعد)^(٤) من البرد ، فقال لبعض غلمانه : ارفعوا هذا الكلب ، وأحسن له ودفأه من البرد ودهنه ، فلما كان الليل نودي في عذابه ، يا فلان كنت كلباً فوهبناك كلباً^(٥) . فانظر يا أخى كيف أثر ربي هذه الرحمة بهذا الكلب ، فكيف برحمة الفقراء والمساكين ، وفي الحديث في كل كبد حر أجر^(٦) ، واعلم أن

(١) لأن الخير يأتي في رأى الصوفية من كظم الغيظ والعفو والامسان لمن أساء إليه ، فإذا مات المسى امتنع هذا الخير .

(٢) أى العادل .

(٣) من أهل الخير .

(٤) يرتعد .

(٥) يقصد أن الله رحمة لا حسنة الكلب .

(٦) ورد هذا الحديث .

المريد الصادق لا يزدري أحدا من الظلمة ولا يستبعد وقوع الرحمة لأحد منهم ، فربما يكون لكل فعل لهم مذموم كفارة أو يكون الله تعالى يغفر لهم كلما أذنبوا أولا فأول . وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : من شرط الفقير الصادق أن يستعظم ذنبه ويستغفر ذنوب الناس . انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢١) ومن أخلاقهم ، أن لا يفتح أحدهم باب التصدر لقضاء حوائج الناس إلا بعد فراغهم من تهذيب نفوسهم وكمال رياضتها ومعرفتهم بطريق السياسة ، وكل من تصدر لذلك قبل كمال رياضة نفسه فهو طالب رئاسة^(١) فى غير محلها . وفى ذلك من التعب والرياء والنفاق ما لا يخفى ، وكان سيدي إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول : ربما تصدر العبد لقضاء حوائج الناس قاصدا بذلك نشر الصيت والثناء الجميل لا سيما أن عكف أصحاب الحوائج على بابه وخدموه ، وأهدوا إليه الهدايا وقبلها فانه يهلك ويزداد غرورا . وتقول له نفسه : لولا أنك مخلص فى ذلك ما عكف الناس على بابك ولا خدموك هذه الخدمة ، وربما لامة أحد من اخوانه على ذلك ، فيقول : أنا لا اختيار لى مع الله تعالى ، وقد أجمع القوم على وجوب تقديم تخلص نفسه من الشوائب على تخلص غيره . وإن كان كل منهما واجبا إذ الغريق لا يطالب بإنقاذ غيره من الغرق إلا إذا خلاص من الغرق ، وكان الشيخ محى الدين رضى الله عنه يقول : من تصدر لقضاء حوائج الناس قبل تخلص نفسه من أسر هواها وسخرية الشيطان بها فهو مفتون ، لأن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى ، فهو كالهباء المنثور ، وقال ﷺ :

(١) فى الأصل (رياسة) .

من أخذ بكلام في سبيل الله والله أعلم بمن تكلم في سبيله (١) ، فاعلمنا
 ﷺ أنه ليس كل من قتل في صف القتال يكون مقتولا في سبيل الله
 ﷻ . فاعلم ذلك واعرض ما قلناه لك على من يدعى الصديق على
 مريدى عصره تدرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٢) ومن أخلاقهم ، القناعة باليسير من الدنيا سواء كان
 دراهم أو أكل أو شربا أو ملبسا أو نوما أو لقوا أو جماعا ، وذكر ذلك
 بخلاف أحوال الآخرة فلا يقنعون منها باليسير لحديث لا يشبع مؤمن
 من خير ، وقد عد القوم القناعة من الدنيا بوقوف النفس كلما رزقت
 من غير تشوق إلى زيادة . وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى
 يقول : لا يكمل المؤمن في مقام العبودية حتى يشهد أعماله كالهباء ،
 وإن كانت كالجبال من حيث الكثرة ، وهذا الخلق قد صار نادرا في
 مريدى هذا العصر فأعرضه عليهم تجد غالبهم لا يشبع ولا يقنع من
 الدنيا ، ولا تنسى فأعرضه على نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٣) ومن أخلاقهم الشكر على الضراء كما يشكرون الله على
 السراء ولا يتجرد أحدهم من ثوب يعطيه لأحد إلا على طهارة ، وكذلك
 من أخلاقهم أن لا يخلقوا شعرا ولا يقصوه ولا يقصوا أظفارا إلا على
 طهارة عملا بحديث الملائكة الكرام الكاتبين في قولهم أتيناكم وهم
 يصلون وتركناهم وهم يصلون ، ومعلوم «أن صلاة كل شيء بحسب
 ذلك المشى ولا تصح الصلاة من شيء إلا على طهارة ، كما أوضحنا
 الكلام على ذلك في كتاب المن الكبرى ، وكذلك من أخلاقهم غرض
 البصر عن فضول النظر والأسراع فى المشى وفى الحديث من أراد
 أن لا يلحقه تعب فى مشيه فليشد وسطه ويقارب خطاه أو كما قال
 وذلك أبعد عن الزهو والعجب ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه لا

(١) ورد هذا الحديث لم نجد له أصلا .

يفارق البرنس صيفا ولاشتاء ، يقول أن يكف البصر عن فضول النظر . انتهى . ومن لم يجد البرنس فليرضى الطيلسان عن عينيه بحيث لا يرى إلا موضع قدميه ولا يكلم أحدا حتى يرفعه ، وكان على ذلك شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله كانت طيات عمامته بيده حتى يكلمه ثم يرخيها . فاعرض يا أخى هذا الخلق وما قبله على مريدى مصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٤) ومن أخلاقهم ، العمل على تنظيف قلوبهم من كل شئ يحجب عن الله تعالى حياء منه تعالى ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ أحد مقام الاستحياء من الله تعالى حق الحياة حتى يطلع الحق فى سريرته وحركاته وسكناته ، فلا يرى شيئا يكرهه . وفى رواية أخرى حتى يطلع الحق جل وعلا فى قلبه ، فلا يرى فيه (رئاسة)^(١) لغيره ولا شوقا إلا إليه ولا حبا إلا لله ، وفيه ومنه . وفى رواية حتى يطلع على سريرته فلا يرى فيها إلتفاتا لغيره ، انتهى . فاعرض يا أخى ذلك على مريدى مصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٥) ومن أخلاقهم غلبة الرجاء عندما يريد سلطان القنوط أن يتحكم فيهم ، وفى غير هذه الحالة ، فالخوف لهم أكمل وأجمل ، وكذلك من أخلاقهم الانقباض إذا رأوا مذكرا فى الشرع أيثارا لجناح الشرع ، كما أن من أخلاقهم التعامى عن عيوب الناس حتى لا يصيروا يعتقدون فى المسلمين إلا خيرا وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل الفقير فى مقام الإرادة حتى يعمى عن مساوئ الناس كلها ، فلا يشهد فيهم إلا خيرا ، وذلك عنوان على أنه يصلح فى الطريق وكل مريد شهد نقائص الناس فهو شر الناس لأنه

(١) فى الأصل (مطلوسة) .

لا يشهد في الناس إلا صورة نفسه ، ولو انه كان تنظف من الرذائل
 كآبا . لم يشهد في الناس إلا خيرا وسمعته يقول : يحتاج المريد أن
 يكون له عينان ، عين ينظر بها في كمال الناس ، وعين ينظر بها إلى
 ما وقع منهم من البدع والعاصي ، ينكرها عليهم . فقد أجمعوا على
 أنه يجب على كل مسلم نشر محاسن الخلق وستر مساوئهم إلا
 المبتدعة ، فإنه يجب على كل مسلم أن يعرف الناس أحوالهم ليأخذوا
 منهم حذرهم من باب الرحمة بهم وبالمسلمين ، فإن على المبتدع وزر
 كل من تبعه زيادة على اسمه هو ، وهذا معدود من جملة اماطة الأذى
 عن الطريق ، إذ لا فرق في الأذى بين اماطته في الطريق الظاهر أو
 الباطن^(١) ثم أن أكثر من يقع في ضيالة العمل بهذا الخلق من لا شيخ
 له من المريدين من أوائل دخوله الطريق . فاعرض يا أخى ذلك على
 من يدعى الصديق من أهل عصره تعرف حالهم ولا تنسى نفسك
 والحمد لله رب العالمين .

(١٢٦) ومن أخلاقهم طرح الميل إلى الكونين بقلوبهم إلا بقدر
 الضرورة بحيث لا يحجبهم ذلك عن شهود الحق جل وعلا في سماحه
 من ليل أو نهار ، وكذلك من أخلاقهم اعطاء المحتاجين كل ما بأيديهم
 فلا يتركون منه إلا ما دعت ضرورتهم إليه ، وكل مريد منع المحتاج
 بغير ضرورة ، فهو من أبناء الدنيا لم يشم من طريق القوم رائحة ، ثم
 إذا بلغ مقام الكمال ، فله ميزان آخر خلاف هذا وهو أن يقدم حاجة
 نفسه على حاجة غيره لحديث : «الأقربون أولى بالمعروف» ولا أقرب
 للإنسان من نفسه ، بل هي حقيقة ذاته ، وما مدح الله المؤثرون على
 أنفسهم إلا تقوية لقلوبهم ليخرجوا عن ويلة الشح الذين فتحوا حيونهم

(١) هذه النظرة الحقيقة تميز بين الرحمة والعدل ، وهذا يلاحظ في المآثرات عند تلاميذهم
 لأحكام الله . أما الذين خاضعت قلوبهم فيماتون فضلاء من العدل والرحمة .

فى الدنيا عليه ، فانه من أقبح الصفات فى المؤمن ، فإذا خرج عن ذلك صار لا يرى إنه أثر أحدا بشئ من رزقه هو وإنه ما اعطى الناس إلا ما قسمه الله لهم وإن لم يكن قسمه له لا يمكن أن يعطى غيره منه ذرة ، وهناك يؤمر بالبداية بنفسه عملا بحديث «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» . فأما من قال الإيثار مطلقا أفضل (والبداية)^(١) بالنفس مطلقا ، فهو يبلغ مقام الكمال . فاعرض يا أخى ما قررتك لك على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٧) ومن أخلاقهم التباعد عن كل ما للنفس فيه غرض طبيعى لا شرعى ، كأن يتناول شهوة بغير شهود الحق جل وعلا ، على جهة التمنى والتعنى والطلب لها ليخرج من سبقت له تلك الشهوة بغير تعب ، ولا سؤال ، فإن مثل هذا له أكلها وتناولها إلا أن يكون فى مقام المجاهدة أو فى مقام توفير اللذة فى مواطنها الحقيقية وكان على هذا القدم الامام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبو ذر^(٢) واضرابهم ، وورثهم فى ذلك عمر بن عبدالعزيز وعتبة الغلام وبشر الحافى وجماعة كسبىدى عبدالعزيز الديرنى وسبىدى عهد الله المنوفى والشيخ عبدالحليم ابن مصلح ونحوهم ، فليس لمن هو فى مقامهم أن يتناول شيئاً من طيبات الشهوات . وكان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول : الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الله عز وجل . انتهى ، فاعرض يا أخى ذلك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٨) ومن أخلاقهم ، أن يعملوا على تحصيل الحضور مع الله تعالى فى جميع عباداتهم ولا يفترون بشئ لم يحصل لهم فيه حضور

(١) فى الأصل : (البداية) .

(٢) أبو ذر الغفارى .

لأن ما لا حضور فيه عادة لا عبادة والأمور العادية لا ثواب فيها ، ولا تقرب إلى حضرة الله ، فإن الله تعالى يقول للملائكة أذكروا الكائنين : استنبوا عمل عبي فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لأجازه بمثله . انتهى ، ربما كان عمل العبد في عينه كالجبال الرواسي ولا يتحصل منه ثبراط واحد من أربعة وعشرين قيراط ، وما كان كذلك فهو إلى الاثم أقرب ، وقول بعضهم إذا حضر العبد في جزء من صلاته يشفي ذلك الجزء في بقية الأجزاء ، فيقبل الله شفاعته فضلا منه ورحمة من باب الترخيص لا ترقى بها باجماع القوم ولا دليل على ما قاله هذا البعض من كتاب ولا سنة ، وأين مقام الحاضر مع الله من مقام الغافل عن الله ، وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لو فتش الفقير من نفسه لوجد عبادته طول عمره لا تساوى عبادة العارف بالله تعالى يوما واحدا ، وقد قال أبو عبد الله الحضري للشبلي وهو مريد : يا أبا بكر ان خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله ، فلا تأتيني فإنه لا يجئ منك شيء في الطريق ، فانظر تكليف الحضري لمريده بالحضور من الجمعة إلى الجمعة في صلاة أو غيرها ، فكيف بمن لا يحصل له ذلك في صلاة من الخمس فضلا عن النوافل . فعلم بما قرناه أن عبادة أكثر مريدي هذا الزمان لا ترقى فيها لاشتغال قلوبهم بغير الله تعالى . فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من مريدي زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٩) ومن أخلاقهم ، زيادة الاحترام لأخوانهم الذين لا لسان لهم ولا يد يقابلون به من يؤذيهم فإن الله تعالى يكون خصما لكل من أذى مثل هؤلاء فانهم كالأيتام في حجر تربية الحق جل وعلا ، فيأخذ لهم حقهم من خصمهم ولو لم يسأل الله تعالى ذلك ، ومن كان من المريدين يؤذي أخوانه بغير حق فهو ضد الله تعالى ، ويضد الله كيف يدعى أنه يحب طريقه . فأحذر يا أخي من أن تؤذي من كان من

اخوانك بهذه الصفة ، فإن المقت أسرع إليك من السل إلى منتهاه ،
ولذلك عدم فقراء الزاوية المشاحنون لآخوانهم النفع وصحبوا أهواء
أشياخهم حتى ماتوا فلم يفتح على أحد منهم ، ولو أنهم كانوا صادقين
فى طلب الطريق لعظموا كل من انتسب إلى الله تعالى ، واكتفى بعلمه
فيه . فاعرض يا أخى ذلك على فقراء عصرك تعرف حالهم ولا تنسى
نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٧٠) ومن أخلاقهم ، لبس المرقع من الثياب بالنسبة للصالح لا
يقصد التميز عن الإخوان ، فى الحديث الشريف : «شر الناس من
أشار الناس إليه بالأصابع» اللهم إلا أن يكون مع جماعة كلهم لابسين
المرقعات كجماعة سيدى عبدالعزيز الديرينى^(١) وسيدى عبد الله المنوفى^(٢)
واضرابهم ، فمثل هؤلاء لا بأس بموافقتهم فى لبس المرقع ولهم فى
مثل ذلك مشاهد صالحة منها أعلام الناس أن دينهم ممزق مرقع كل
فى سائر أقوالهم وأفعالهم ، فليس لهم عمل صحيح كله أبدا . ومنها
تخفيف (المؤنة)^(٣) على آخوانهم إن لم يكن لهم كسب يستترهم بين
الناس ، وقد كانت المرقعات مرفقا تحتة دس ، فصاروا مبرا^(٤) تحت
فواحش وقبائح ، لو اطلع عليها الناس ما سلموا على أصحابها ، ولقد
أنشد فى ذلك الشيخ العارف بالله تعالى الخطيب بن أحمد الفيومى
فقال : من جملة أبيات :

وها لغفلة إنسان ينام . . . وقد صاح المشيب به يا صاح لو سمعا
حتى إذا زادت الأثام واجتمعت . . . عليه فرقفت الأيام ما جمعا

(١) راجع فهرست الأعلام .

(٢) راجع فهرست الأعلام .

(٣) وردت فى الأصل (المؤنة) .

(٤) يقصد سترا تحت فواحش .

يا من يكاشى بالدينيا ويضرك هل . . . رأيت من الا شيدا انما يفسد متبعها
 تنم من قشر شبيب الدينيا ورفعهما . . . تراه في النار يوم الحشر قد انغمسا
 له احتيال على جميع الحطام ولو . . . من منى اوقه تراه يفسد في الورعها
 ويابس في الذوب قد خيدلت به رقع . . . وليس من يفسد على الله قد قرعها
 فلو فخرت انسى مكنون يا حبيب . . . رأيت أحشاشا مدموعه يفسر
 لو كان يعرف ما لبس المراقع اسم . . . يكن بتأويله قد قدس الرقعها
 إن المراقع في أربابها صدف . . . للدر من كدر الأغيار قد منعها
 فإن أردت طريق الحق تسلكه . . . فكن عن الميل للأهواء منخلفا
 وانبض على السنة الغراء بيدك تكن . . . ومن لأشار خبير الرسل تبعها
 إلى آخر ما قال .

ثم اعلم يا أخى أن السلف الصالح ما خاطوا المرقعات اختيارا ،
 وإنما ذلك لضيق أيديهم من الحلال ، فلا تظن أنهم كانوا كفقراء هذا
 الزمان من الأحمدية والبرهامية والسهروردية^(١) ونحوهم ممن يقطع
 القماش الملون اختيارا ويخيطه بعد ذلك فإن ذلك كله يحط نفس لا يزداد
 به صاحبه عن حضرة الله إلا ادبارا ، وقد رأيت من صرف على مرقعة
 نحو أربعمئة نصف ، ولو أنه لبس بهذا الثمن جوخة أو صوفيا لكان
 أفضل له وأحسن . وقد عد أشياخ الطريق لبس المرقعات من الموت
 الأخضر على النفس فخرج من يفرح بلبس المرقعات وقالوا لا بد لك
 مرید أن يموت أربع موتات : الموت الأحمر وهو مخالفة التقوى ،
 والموت الأبيض وهو الجوع ، والموت الأسود ، من تحمل الأذى من

(١) الأحمدية هي طريقة العارفة بالله أحمد البدوي ، والبرهامية على طريقة سيدى إبراهيم
 الدسوقي ، والسهروردية هي عفة شهاب الدين السهروردي .

الناس ، والنوت الأخضر وهو طرح الرقاع ، فما تدوا ذلك موتاً إلا لخالفته ثوبى نفوسهم ، وأما إذا وافق هواها ، فذلك من جملة حظوظها . انتهى . وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المذن الكبير فى فرائده . واعرض يا أخى ما ذكرته هذا على مريدى بصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١١) ومن أخلاقهم ، إذا وسع الله عليهم الدنيا أن لا يأكلوا الطعام الدسم اللذيذ أو الحلو مثلاً ولا يلبسوا الثياب الفاخرة ، ولا يطعموا الطعام المكلف لضعيف كذلك أن علموا من نفوسهم أى من ضيقهم القيام بالشكر العادى^(١) ، فإن علموا من نفوسهم العجز عن ذلك رجب عليهم فى طريق المجاهدة أن ينعموا بنفوسهم من ذلك ، وقد كان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يخطط دقيقة بالرماد نحو الثلث ويقول نحن لا نقوم بشكر^(٢) . وهذا الذى قررناه من شأن المريد ما لم يطلع الله تعالى على ذلك الطعام أى الثوب مثلاً أن الله تعالى قسمه له أو لضعيفه فهو مثاب على تركه الأكل واللبس له أو لضعيفه . أما إذا أطلع الله تعالى على ما قسمه له أو لضعيفه ، فهو أدب آخر سيأتى بيانه فى هذه الأخلاق إن شاء الله تعالى . والله إن الله تعالى قدرنى أن على أعمل عندى الطعام الدسم اللذيذ كل يوم لى ولضعيفى ومع ذلك أتركه رحمة بى والضعيف ومحبة فيه ، ويعجزنا عن القيام بشكره مادة ، فإن من الواجب على من غرق فى النعم لا ينام الليل لا شتاء ولا صيفا ، ولا يغفل عن ربه ساعة ، وكان «يبدى على الخواص رحمه الله يقول : من طلب من الله الكثير من الرزق طالبه بالكثير من العمل وبالعكس . انتهى ، فكن يا أحمى حازقاً ولا تضيع دراهمك فى شئ»

(١) وردت فى الأصل (بالشك) .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

آخره بيت الخلاء وما انفق العقلاء فى كل عصر إلا فيما يقربهم إلى الله تعالى ، أو يقرب أخوانهم إليه أما ما يعجزوا عن أداء شكره فلا . وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول : وددت أن أكل أكلة فتصير فى بطنى كالأجرة حتى أموت ، فانه بلغنا أنها تمكث فى الماء نحو ثلاثمائة عام . انتهى فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى مصرك تعرف هذا تقوم به أم لا ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٢) ومن أخلاقهم ، أن يبذل أحدهم وسعه فى حضور القلب فى الورد الذى جعله شيخه له من قراء ، أو ذكر وصلاة على رسول الله ﷺ ، فان فتوحه فى ذلك ومن علامة بذل وسعه فى الحضور مع الله سبحانه وتعالى فى ذكر الورد أن يجد عنده داعية للأشتغال بحفظ بوجد أو قراءة ورد آخر ، فانه لو بذل وسعه ما وجد عنده داعية فى ذلك الوقت ، وذلك أن شيخه حكيم لا يحمله إلا قدر طاقته . وبالجمله فقد عدم أكثر المريدين مع اشياضهم وصار أحدهم شريك نفسه ، وأكثر ما يقع فى ذلك فقهاء أطفال الزاوية ، فيقول الشيخ لهم نسوا الأطفال يحضروا مجلس ذكر الله ليحصل لهم جملة باطنهم ، فيسمن أنفسهم الأطفال أن اقرأوا فى الواحكم دون حضور الذكر . ويرجع رأيه على رأى شيخه ، فكل ذلك معدود من جملة الخيانة للشيخ والحمد لله رب العالمين .

(١٣٣) ومن أخلاقهم ، أن يحسنوا إلى الضعيف باطنا وظاهرا ، وذلك بأن يطعموه الطعام الحلال القليل ، لكن من لون واحد . وهيات أن يجد أحدهم لونا واحدا من الحلال ، وهذا الخلق يخل به أكثر المريدين فيلون أحدهم الطعام لضيغه من الشبهات أو الحرام عند أهل الودع فيحسن إليه ظاهرا ويسئ إليه باطنا ، ولو أنه كان أطعمه لونا واحدا قليلا من الحلال لأحسن إليه باطنا وظاهرا ، فليتنبه الفقير لمثل

ذلك ، ويراعى الاحسان إلى ضيفه باطنا وظاهرا ، دون احدهما ،
 وليعلم أن الاحسان إليه باطنا مع غضب الضيف عليه أفضل من
 اساعته على الضيف باطنا مع محبته له ، فإنه إذا أساء إليه^(١) ظاهرا
 أحسن إليه باطنا . وبالعكس ، ومن هذا الباب أيضا أخراج انطعام
 الكثير للضيف إذا غلب على قلبه أنه لا يقدر على رد نفسه عن الشبع
 المفرط ، فهو كذلك إحسان للضيف ظاهرا اساءة إليه باطنا . وكذلك
 تدفئة الضيف بالغطاء أيام الشتاء هو إحسان له في الظاهر^(٢) ،
 إساءة إليه في الباطن ، ان كسل بذلك عن قيام الليل ، ثم أنه لا يقدر
 على العمل بهذه الأخلاق إلا من خرج عن حكم الطبع ، وكان أشفق
 على دين اخوانه من المسلمين من أنفسهم ، وقليل من يخرج عن ذلك
 من المريدين . فاعرض يا أخى هذه الأخلاق على مريدى عصرك
 تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٤) ومن أخلاقهم أن يحسنوا إلى كل من صاحبهم من ناطق
 وصامت ، ويقومون بحق صحبتته ، فلا يهبوا^(٣) عيدهم مثلا إلا لمن
 يحسن إليه أكثر منهم أو مثلهم ، ولا لمن هو دونهم في الاحسان إليه ،
 ولو كان من أكبر المخالفين لأغراضهم الأبقين عن طاعتهم ، ولا يهبوا
 شيئا من ثيابهم إلا لمن يكون أكثر طاعة لله تعالى فيها منهم من وهب
 ثوبه إلى من يكون أقل طاعة لله تعالى منه فقد أسى في حق ذلك
 الثوب وذلك اللابس ، فإن الثياب تتشرف بلبسها إذا كان أكثر طاعة
 لله تعالى ، وهبت مرة صوفى الأبيض لبعض أخوانى التجار، فجاعى^(٤)

(١) ورد في الأصل (أساء عليه) .

(٢) يقصد الشعرا أن هذه المعاملة للضيف باعتبارها من المريدين الصالحين .

(٣) يقصد الهبة .

(٤) يقصد أنه رأى الثوب في المنام .

فى المنام ، وقال أعطيتنى لشخص ينام جنبا ، ولا يقوم من الليل شيئا ولا يذكر الله تعالى والدار الآخرة إلا قليلا ، بعدما كنت أتشرف معك بالوقوف بين يدى الله تعالى فى ظلام الليل ، والله ما كان هذا جزائى بعد صحبتك عشرين شهرا . فأستيقظت متأسفا على كونى لم أفتش على من أعطيته ذلك الصوف قبل أن أعطيه له . هل يقوم الليل أم ينام ، وهل يطيع الله فيه أم يعصيه ووهبت مرة أخرى جبتى لفقيه أكثر عبادة منى فجاعتنى الجبة . وقالت لى جزاك الله عنى خيرا فى اعطائك لى هذا الرجل الصالح الذى لا ينام من الليل إلا قليلا ، فشكرت الله تعالى على ذلك . وقد ذكرنا فى كتاب المنن الكبرى أن من الأدب مع من لبس شيئا من ثياب الفقراء أن لا يعصى الله تعالى فيه ولا يحضر به فى مواضع المعاصى ، ولا يمتنه برميه على الأرض ، ولا يعطيه لأحد ببيع ولا هبة ولو بذل فيه أضعاف ثمنه ، وأن الجنيد أعطى الشبلى رحمهما الله سواكا فبذلوا له فيه ألف دينار فهم أن يعطيه لهم فقال : قد يكون الجنيد رضى الله عنه طوى لى فيه شيئا من أسرار الله عز وجل . وقد منَّ الله على أصحابى بهذا الأدب فلم يعطه أحدا منهم لأحد شيئا بما وهبته له ، ولو بذل له فيه ما عسى أن يبذل منهم سيدى شرف الدين بن الأمير ومنهم سيدى محمد بن الموفق ، ومنهم سيدى أبو الفضل الحريرى ومنهم سيدى الشيخ شرف الدين الديصطى والشيخ تقى الدين بن المقبول وسيدى محمد الحنفى^(١) رضى الله عنهم . فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٥) ومن أخلاقهم ، أن لا يسألوا الله تعالى الحفظ من الخطايا إلا مع سؤال الحفظ من الوقوع فى العجب ورؤية نفوسهم أنهم خير .

(١) راجع فهرست الاعلام .

من أحد من اخوانهم إلا على وجه الشكر . وأما قوله ﷺ : اللهم
 نقني (١) من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . فإنما قال
 ذلك لأنه معصوم لا يخاف العجب عن نفسه وليس له ذنوب حقيقية ،
 وإنما هي ذنوب أمته التي وقعوا فيها فأضافها ﷺ إلى نفسه من حيث
 أنه هو المشرع والمبين لأمره بتحريمها : وإن كانت لها ما كانت ذنوباً بل
 كانت بحكم المباحة كما أوضحنا الخادم على ذلك في كتاب (الصديق
 والتعقيق في تفليس غالب المدعين الطريق) (٢) . عن الأجرية عن تكابر
 الحضرة الإلمية ، وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول . قل أحد
 من الأمة يحفظه الله من الذنوب إلا ويقع في العجب بحاله ، والادلل
 على ربه ويصير يستذكر من ربه تعذيبه لو شاء الله تعالى ، ويقول في
 نفسه كيف يدخلني النار وأنا لا ذنب لي . إنتهى . وكان أخى أفضل
 الدين يقول . من نعمة الله على المرید تعرفه إليه بالرخاء تارة وبالشدّة
 أخرى ، ويتقدّر الطاعات له مرة ، وتقدير المعاصي عليه مرة أخرى ،
 وذلك ليشكر ربه تارة ويرضى بقضائه تارة ، ويعرف فضل الله عليه عن
 جهة حلمه عليه ، وعدم حاجاته بالعقوبة ، ولأن يلقى العبد المؤمن ربه
 ذليلاً خاضعاً من كثرة الذنوب خيراً له من أن يلقى ربه معجباً بنفسه
 من حيث كثرة الطاعات لا يرى لربه تعالى حجة . إنتهى ، فأعرض
 يا أخى هذا الخلق على مریدی عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك
 والحمد لله رب العالمين .

(١٣٦) ومن أخلاقهم عدم إعتراضهم على شيخهم وغيره من
 الفقراء إذا رآه يعطى ماله أو ثيابه أو يعلم طعامه للأغنياء ، ويترك
 الفقراء والساكين في العرى والجوع وضيق المعيشة ، ويقول لو أنه

(١) في الأصل (نقني) .

(٢) - راجع الإشارة إليه في المقدمة .

أعطى ذلك أو أطعمه الفقراء والمساكين لكان أفضل ، فإن ذلك إعتراض بالجهل . فإن الله تعالى كثيراً ما يعطى الغنى الذى يملك الألف دينار المائة دينار زيادة على الألف ويدع الفقير والمساكين إلى جنبه لا يعطيه الدرهم الفرد . فإن الفقراء فى ذلك قد نشأوا^(١) على الأخلاق الإلهية ، بحسب القسمة وليس منعهم للفقير عن بخل ، إنما ذلك لحكمة وأوها ، ولا سيما إن سألهم النفس ذلك فإن السائل سقاً ولو جاء على فرس كما ورد ، وقد يكون منع الفقير إنما هو لما أعطاه كشف من قسمة ذلك للغنى دون الفقير فيكون المؤدى أمانة لشخص معين فليس له دفعها لغيره ثم لا فرق بين السؤال لهم بال الحال أو القال . فإياك يا أخى والاعتراض على شيخك . إذا أعطى الغنى (وحرّم)^(٢) الفقير وأحملة على المحامل السنية وقد كان ﷺ يعطى الرجل العطاء إذا سأل ، ويقول إذهب بعطية يتأبطها ناراً . فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله فلم تعطهم ناراً ؟ فقال له : ماذا أصنع ؟ يأتون إلا أن يسألوني ويأبى الله لى البخل . انتهى . شافى عن باب أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف كل مسلم أحدهم من الاعتراض على شيخه إذا أعطى الغنى وحرّم الفقير أم وقع فى الاعتراض بلسانه ويقلمه وخان عهد شيخه . ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٧) ومن أخلاقهم إذا كان أحدهم منشداً فى مجلس شيخه أن يكون نيته بالإنشاد إمتثال أمر شيخه فقط لا ليشكره الناس على ذلك ، ويشهدوا له بالدخول وليحذر كل الحذر من أن يكون عنده هجوم على الشيخ أو مرآة عليه فى الكلام أو المنزع حال مد السماط فى

(١) فى الأصل (نشأوا) .

(٢) فى الأصل (واحرّم) .

الزلائم ونحوها فإن الأشياخ كالملاك لا يؤمن (مكرهم) ^(١) ولا يضحكون في بيته من أساء ^(٢) عليهم الأدب ، وقد مقت خلائق من المنشدين في مجلس سيدى مدين وسيدى أبى الحماد وسيدى محمد الشناوى وسيدى إبراهيم المتبولى وماتوا على أسوأ حال . وكذلك مقت من المنشدين في مجلس جماعة . منهم الآن في أسوأ حال . فأياك يا أخى من مثل ذلك ثم إياك ، والحمد لله رب العالمين .

(١٣٨) ومن أخلاقهم خفض الجناح لطلبة العلم الذين علمهم موضوع في نفوسهم دون أرواحهم فإنهم أكثر وأكبر نفساً من أمراء الجبابة وليس عندهم هضم نفس ولا تواضع من خفض الجناح الممشى إلى حياتهم والسلام عليهم إذا قدموا من سفر ولا ينتظر الفقير أن يجئ أحدهم فيسلم عليه لكونه شيخ زاوية مثلاً فإن ذلك من خفة العقل ، فإن أحدهم يرى نفسه أفضل منهم فكيف يطلب منهم أن يمشى إليه . وقد حج مرة شخص من طلبة العلم ولم أشعر به لأنه لم يعلمنى بسفره على عادة إخواننا معنا فلم أبادر بالسلام عليه ، فلا تسأل يا أخى ما وقع فيه من مرض مع أن حمزة أمير الحاج لما رجع من السفر بأنه أننى عازم على السلام عليه ، فركب وترك الحناجق والجاويشية في بيته وجاعنى فسلم على وقال لى : أنا أحق بالسمى ، لأننى عبدكم ، فانظر كم بين مقام تواضع طالب العلم المذكور تعرف صدقى في قولى أنه أكبر نفساً من الأمراء . فأياك يا أخى أن تخل بحق أحد من أصحاب الأنفس ، وتقول ليس على منه فإنك تأثم بنفسك في وقوعه في عرضك وعرض أهل الطريق وأحذر إذا ذهبته إليه أن ترى نفسك عليه في التواضع له ، فإنك تصير بذلك أكبر نفساً عنه ،

(١) ورد في الأصل مطبوعة وزيدت ليستقيم المعنى .

(٢) في الأصل (أسى) .

فاعرض ما قلناه لك فى هذا الخلق على نفسك ولا تنسى إخوانك
والحمد لله رب العالمين .

(١٣٩) ومن أخلاقهم ، أن لا يظهر أحدهم شيئاً من الأخلاق
الشرعية التى إندرسست بإندراس العاملين بها لا لغرض صحيح كقصد
الاقتداء بهم فيها أو إظهار نعمة الله بها عليهم ، ونحو ذلك من
الأغراض الشرعية كل ذلك خوفاً من فتنة الشهوة بالخير دون الأقران،
فإن فتنتها شديدة إذ الغالب على من يتميز على أقرانه بالأخلاق
المحمدية ، كثرة حمد الناس له ، ومن لازم تحقر إخوانه إذا لزم من
ذلك التحقير المذكور تحرك عندهم الوقية فيه وعمل المكائد ، حتى
ربما رموا بينه وبين حكام بلده فتعاديه الولاة وإذا عادوه أتعبوا سره
وأشغلوه عن ربه ، وكفى بذلك فتنة ، وكان سيدى على الخواص رحمه
الله يقول : يجب على من يتميز على أقرانه بخلق غريب محمود ، أن
يسأل الله تعالى أن يعمى عنه أبصار الحسدة وغيرهم ، حتى يصير
يعمل غالباً بالإخلاق المحمدية ، ولا يتفطن له أحد مدة حياته ، وذلك
كالكرم والزهد والورع ، فيقول كلما أراد أن يظهر خلقاً غريباً : اللهم
أسترنى بين عبادك ، وقد وقع لى أيام الشتاء فى سنة ثلاث وستين
وتسعمائة^(١) فرقت ثيابى كلها من أصواف وجوخ وجبب وقمصان على
من له رزق فيها من الفقراء وبعث بعضها واشترت به جبباً للعميان
وغيرهم ، (واستعرت)^(٢) ثياباً فلبستها فجأنى سائل فلم أجده له سوى
عمامتى ، فقطعت له منها نحو الربع فاشتهرت بذلك فى مصر ،
وقدمنى أصحابى بذلك على سائر أقرانى ، وأو أنى كنت سألت الله
تعالى أن يسترنى فى ذلك لربما فعل تعالى بى ذلك ولم يشعر بى أحد ،

(١) يتضح من هذا أن الشعرانى قد وضع هذا المخطوط فى الفترة ما بين عامى ٩٦٣ - ٩٧٣ هـ

(٢) فى الأصل مطموسة .

وقد كان الواحد من السلف الصالح يأتى إلى بيت أخيه فى غيبته، فيخرج ما فيه من ثياب وطعام ويفرقه على المارين على باب الدار ، فيأتى أخوه فيفرح بذلك ثم يأتى من شدة الفرح ويقول : أنكرت يا أخى بما كان عليه السلف الصالح الذين مضوا ، أنكرت ، وهذا الأمر لو فعله أحد الآن من أصحابه لما قدر على الانتشراح به ، ولو أنه انتشراح به لعظمه الناس كل التعظيم لغرابته فى هذا الزمان ، فطم أن من تخلق بأخلاق السلف فى هذا الزمان فشكره الناس على ذلك واثنوا عليه فهو علامة على ميل نفسه إلى الحمد والشكر ، ولو أنه صدق مع الله سبحانه وتعالى لدفع بهمة عنه جميع الناس الذين يمدحونه ويخرج من الدنيا بأعماله كاملة لم ينقص من أجرها شئ ولم يقدمنى أحد على أقرانى . فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من مريدى عصرك تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٠) ومن أخلاقهم ، كثرة الحلم على الظالم الذى يشفعون عنده فى الناس ولا يعجلون شئ الدعاء عليه بالهلاك تخلقاً بأخلاق الله تعالى فى حلمه على من عصاه ، حتى يستوفى جميع ما قدره عليه وعلى رعيته فان علة مركية من الظالم ، (ومن)^(١) رعيته هذا الفقير الذى يأكل حلالاً ولا يقع فى معصية ، أما من يأكل الحرام والشبهات ويقع فى المعاصى فدعاؤه على الظالم مردود ، فضلاً عن كونه يبطئ ، فليحذر شيخ النصف الثانى من القرن العاشر صاحب العجائب والغرائب أن يطلب أجابة دعائه على ظلمه وهو يأكل الحرام والشبهات لا سيما أن كان أكل له طعاماً أو لبس منه ثياباً ، فان دعاءه مردود من وجوه عديدة وليس له قوة فى التوجه إلى الله تعالى ، وقد بلغنا أن

(١) وردت فى الأصل مطموسة .

السلطان سليمان بن عثمان رحمه الله ونصر عساكره وذريته لما سافر لقتال الصوفى ، اجتمع به شخص من مشايخ بعلبك ، فقال له : أعطني ألف دينار وأنا أتوجه إلى الصوفى أقتله وأريحك من التعب فى التجاريد ، وبذل الأموال ، فأعطاه ذلك ووعدته أربعين يوما فمضت الأربعين يوما . ولم يمت الصوفى فأرسل وراءه وقال أين ما وعدتنا به ، فقال توجهت إلى الله سبحانه وتعالى فى قتله مدة أربعين يوما ليلا ونهارا ، وكان السلطان قد رتب له طعاما كل يوم فقال : أنظروا هل كان يأكل من طعامنا أو كان يطعمه لجماعة . فقالوا : كان يأكل منه . فقال السلطان : الذى يأكل من مال الولاية ليس له قوة توجه إلى الله ، ولا يمكن من دخول حضيرته ، ثم سامحه فى الألف دينار . وقال له : لا تعد توعده أحدا بموعد إلا أن علمت من نفسك القدرة على الوفاء . انتهى . فعلم أن من كان يأكل الحرام والشبهات بعيد عليه أن يجاب إلى أحد فى سؤاله فى أحد من الظلمة . أن الله يهلكه وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يطلب ممن تشفع عبده من الظلمة أن يحبه أو يعظمه^(١) ، فان ذلك محال . فان الظالم كالتمساح الهايى على السمك ، والفقير يقول له لا تمسك هذه السمكة ولا هذه السمكة فلا يقدر التمساح يطيعه فى ترك كل السمك ، ويموت جوعا . وكذلك الظالم لا يقدر على منع نفسه من أكل أموال الناس بالباطل ، ولو أنه طلب الحلال لما احتاج الناس إلى شفاعة الفقير . انتهى . وسمعته أيضا يقول : من آداب الفقير أن يدعو للظالم بالهداية والتوفيق ليكون رحمة عليه ولا يكون عذابا ، ثم إذا استوفى الظالم جميع المظالم التى قدرها الله تعالى عليه ، فللفقراء الدعاء عليه بالهلاك ، لكن مع التوبة أو العقوبة التى تكفر ذنوبه وإن أراد «سرعة هلاك ذلك

(١) فى الأصل مطموسة .

الظالم ، فليابس له ثيابا دنسه ، ويمشى إلى دار الظالم حافيا مكشوف الرأس ويقلظ عليه القول فانه (بالضرورة)^(١) يزدري الفقير فينفذ فيه سهم الله تعالى ، فيستريح منه العباد والبلاد . انتهى ، وقد فعلت أنا ذلك مع الأمير محمد الزردكاز أيام توليه الريزير على باشا بمصر ، فأخرب الله دياره ومات على أسوأ حال وأم أذهب إليه ، وإنما أرسلت إليه النقيب ، وقلت له : ارجع إلى الله وإلا توجهنا إليك إلى الله تعالى ، أن يخرب ديارك . فصاح أين النلمان ، يخرّبون هذا . فلم يجدوا أحدا منهم ، فقبض الله له في تلك الليلة ولده أصابه . فأنهى فيه للباشا على أنه يحمل الزغل ، وقال أرسل الوالى معى أطلقكم على الآلات المتعلقة بالزغل ، فارسلوا معه الوالى ، فرأى الأمير كما أنهاء ولده فوضعه في جنزير^(٢) واسلمه للوالى وأخذوا منه نحر سبعة أكياس ذهباً ، وهدوا داره بنواحي مصر العتيق ، كما أشار إلى ذلك الفقراء ، فلم يدعوا فيها قاعة ولا منطرة ، وقطعوا أشجار جنينته ، ونقضوا البدران ، فهي خراب إلى الآن . وسلبوا جميع خدمه وأمتعته ، وما كانوا إلا شفقوه . فليحذر الظالم من توجه الفقير فيه ، ولو كان من أكبر ملوك الدنيا كما وقع للسلطان (قايتباى) مع سيدى على النبتيتى الضرير فان السلطان أراد أن يهدم طاحون الشيخ لأجل عمارته فى عمارة (الخانقاه السرياقومية) ويعطيه بدلها ، فأرسل سيدى على يقول له : يا قيتباى مالك قدرة على توجه الفقراء . فيك إلى الله تعالى فخاف السلطان ورجع عن هدم الطاحون ، فينبغى للفقير إذا أراد صحبة أحد من الظلمة أن يسأل الله أن يقربه منه أن كان فيه خيرا وإلا فيبعده عنه ، ثم بعد ذلك أن قرب كان الخير فى صحبته ، وإن بعد كان الخير

(١) فى الأصل (ضرورة) .

(٢) ردت فى الأصل مطموسة .

فى بعده . فأعلم وأعرض ما قررناه لك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤١) ومن أخلاقهم أن يسألوا ربهم أن لا يصلى عليهم بعد الموت إلا من خالطهم ، واطلع على زلاتهم من طريق الكشف أو غير ذلك ولو بسوء الظن ، وذلك ليسأل الله سبحانه وتعالى للميت أن الله يغفر له ذنوبه على التعيين ، بخلاف سؤال المغفرة على الأجمال وإن كان الحق جل وعلا يعمله فان دعاء المصلى يكون (خداجا) (١) كدعاء الشيعان أن الله يرزقه رغيفا ، فان (أعضاءه) (٢) لا يستجيب له فى السؤال على وجه الاضطرار كالجيعان ، فافهم . وكذلك القول فى دعاء المعتقد فى الميت الخير والصلاح ، فان دعاءه يكون خداجا ولورد (٣) العلم فيه إلى الله سبحانه وتعالى ، وإيضاح ذلك أن المصلى على الجنازة شافع لها ، فكلما عرف ذنبه اشتد كربته عليه ، كما قالوا فى أدب المريد أنه ينبغى له أن يعرض صحيفته كلها على شيخه فى هذه الدار ، ليشفع له فى ذنوبه عند ربه حتى لا يحوجه لطول الوقوف فى الحساب بين يدى المولى سبحانه وتعالى ، وإنما قلنا أن من يسئ الظن بالميت أولى مما يحسن به على سبيل الغرض والتقدير أو بحكم الفراسة والقرائن الدالة على سوء ظنه بالناس فانه يدعوا للميت مع تخيل ذنوبه التى قاساها على نفسه ، وقد قدموا أخى أفضل الدين مرة للجنازة فتأخر ، وقال : قدموا غيرى ممن هو يعرف زلاته ليشفع له فيها عند ربه على التعيين ، فانى محتاج إلى من يشفع فى ، فان قيل أن العلماء قالوا أن دعاء الصالح أقرب للإجابة ، ومعلوم أن

(١) الخداج هو كل نقعان فى شئ .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

(٣) وردت فى الأصل مطموسة .

الصالح ممنوح الحال ، فالجواب إنما قدرناه لا ينافى ذلك فقد يطلع الصالح على ذنوب الميت من باب الكشف كما قدمناه أو من طريق المخالطة أو من طريق الإلهام ، فيكون أولى من جهتين ، من جهة صلاحه ومن جهة اطلاعه على ذنوبه ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية . فاعرض يا أخى ما قررناه لك من يدعى الصديق تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٢) ومن أخلاقهم ، أن لا يرون لهم فضلا على من أعطوه شيئا من الذهب أو الفضة ، بل يرون التبعة عليهم فى ذلك لأن الغالب على من يطلب صدقات الناس محبته الدينار والدرهم ، ولا يكاد تجد أحدا ممن يسأل الناس بالحال أو القال زاهدا فى الدنيا ، ومعلوم أن الدنيا أبنة إبليس ، وكل من أدخل حبها قلبه دخل له إبليس ليزور بنته وصهره ، فيفسد عليه قلبه وفى سد خلقه بركة العطاء بما حصل له من فساد قلبه بدخول إبليس فيه ، فربما أتلّف قلبه وولد نفسه المعاصي والفتنة والاعراض عن الله والاقبال على رتبة الدنيا فاعلم أنه ينبغي أن لا يسأل فقيرا ذهبيا أو فضة أن يسأل الله تعالى له الفضل من ميل القلب إليه ، حتى لا يدخل إبليس باطنه ، وذلك بالزهد فى الدنيا حتى يصير الذهب كالتراب على حد سواء ، ومن نظر بعين التحقيق رأى ضرر العطاء للفقير أشد من ضرر الشحيح والبخيل عليه ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للمصدق أن يرى الفضل لمن يقبل صدقته ، فانه لولا قبوله الصدقة ما حصل للمتصدق أجر ولا زال منه دون ، فحكم الفقير إذا قبل صدقتك حكم من غسل ثوبك ، إذا اتسخ بلا أجرة ، فله الفضل عليك ، وليس لك الفضل عليه . انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على غائب مریدى عصبك تجدهم لا علم لهم بما قررناه بل ولا خطر ببالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٣) ومن أخلاقهم طلبهم الدعاء من الأمراء والأكابر من حيث أن الله تعالى أعطاهم التصريف في هذه الدار دوننا ، وجعلهم أبواباً لقضاء حوائج الخلق ، فربما تعطف الحق تعالى عليهم بإجابة الدعاء في حق كل من دعوا له ليلا يخلطهم بين الناس ، ولو لم يعدلوا كما وقع لفرعون ، لما سأل الله سبحانه وتعالى في طلوع نيل مصر بعد توقفه ، ولم يرد (دعاه) ^(١) وهذا سر خفى له لا يطلع عليه كل أحد . وقد كان سفيان الثوري ^(٢) رحمه الله يطلب الدعاء من أعوان الوالي ، ويقول ربما كان قلب أحدهم أخلص لله من قلبي ، وربما كان غفر لأحدهم ذنوبه دوني . انتهى . وقد سمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول : إذا توقفت عليكم حاجة عند الله فاسألوا فيها نائب مصر ، فإنه أعظم النواب درجة لكون غالب رعيته في مصر حملة العلم والقرآن ، ومن ولاه الله تعالى على مثل هؤلاء ، فهو أعظم ولاية الله على الجند والعوام والمبتدعة من سائر أقطار الأرض وقد أجمع الناس على أنه ليس في بلاد الإسلام أكثر حفظاً للقرآن والعلم من أهل مصر ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٤) ومن أخلاقهم ، سد باب الإنكار على شيخهم جملة ، وذلك بالعمل على تنظيف باطنهم من سائر الأدناس والخواطر الرديئة ، فإن المرید مادام في قلبه شيء من الأدناس فهو يحمل على ذلك شيخه ظناً أو حضوراً ، ولا ينفك عن مثل ذلك إلا أن أشرف على مقام الكمال ، ودخل أوان القطام ، ومن هنا طالت الطريق على غالب المريدين في كل زمان ، فظنوا بأشياخهم الشر فعدموا النفع بهم وكل شيخ حق ، له

(١) في الأصل : (دعاء) .

(٢) ذكره صاحب اللمع باعتباره أحد الأولياء الكمل ونقل عنه قوله مجال قلوب العارفين بروضة سماوية من دونها حجب الرب معسكرها فيها ومجنى ثمارها بنعيم روح الأنس بالله من القرب .

قدم المشيخة فهو يعلم من ذلك ولو تبرأ منه المرید . فاعمل يا أخى على تطهير نفسك من الأدناس لتنتفع بشيخك ، ويرقيق فى مراتب القرب من حضرة الله تعالى ، فإنه مادام فى باطنك شهوة لحرام أو مكروه ، فلا يقدر شيخك على ادخالك حضرة الله تعالى أبداً ، وأو كنت على عبادة الثقلين ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصديق من مریدی عصرک تعرف هل وفى به أو وقع فى شيخه إذا رآه فى محل رؤية كخلوته بأجنبية ، ونحو ذلك . ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٥) ومن أخلاقهم أن يزكوا أصحابهم فى غيبتهم ، فى كل مجلس ذكرهم الناس فيه بسوء ، ثم لا تطلب نفوسهم منهم أن يعلموا بذلك إخوانهم لا بنفسه ولا بغيرهم . وهذا خلق لا يقدر على التخلق به إلا من يعامل الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم . فليمتحن الذى يزكى اخوانه ، ويذكرهم بخير فى غيبتهم نفسه : فإن رآها تسيل إلى أهلام من زكاته ويحصل منها بعض قبض ، إذا لم يحصل إليه علم ذلك : فليعلم أن ذكره أخاه من ورأه بغير : إنما هو دواء وسمعة ، فإنه لو كان يعامل الله تعالى لأكتفى بعلمه تعالى ، ولم تتشوف نفسه إلى أهلام أحد من الخلق بذلك فاعرض يا أخى ذلك على نفسك وعلى مریدی عصرک تعرف حالک وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٤٦) ومن أخلاقهم ، أن يحذر أحدهم كل الحذر من الوقوع فى شئ من المعاصى سراً لا سيما ما يوجب الحد أو التعزير أو النفى أو إسقاط المحبة من قلوب المؤمنين ، ولا يتساهل فى الوقوع فى ذلك اعتماداً على ما عهد من حلم الله ، وستره عليه . فإن الحق تعالى ربما ستر على العاصى ثم أخذه من بلاده ، وسلط عليه . من يضربه الحد وأكثر أو يعززه بين الناس بالتجريح والصفع والتفريع غيرة على

شرع نبيه ، أن ينتهكه أحد سراً ، فإنه بمراى من الله سميع ، وإنما قلذا غيره على شرع نبيه تلويحاً لأن الله تعالى لا يؤاخذ الخلق إلا لاخلالهم بحقوق الخلق إذ الألوهية لا تنتقم لنفسها لأنها خالقة لأفعال العباد ، وإنما تنتقم للخلق بعضهم من بعض من حيث كسبهم ، ومن هنا يعلم أن جميع ما يؤاخذ به الخلق ، إنما هو بذنوبهم التي أحصاها الله تعالى عليهم ، وإن نسوه فلا ينبغي المبادرة إلى التراجع لمن نفى من بلاده سنين أو جلد ، بل ينبغي التريص فربما زنى وهو بكر ، ولم يعلم به إلا الله تعالى ، فالصادق من سد باب العقوبات عنه بعدم وقوعه فى الذنوب سراً أو جهراً : فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٧) ومن أخلاقهم كتمان الفقر والغنى ، فإن إظهار الفقر فيه شكوى البارى جل وعلا ، ودعوى التجرد من الدنيا ، وكذلك القول فى إظهار الغنى فيه دعوى الكبر من كان فيه وصف الغنى أو العزة للنفس ، كما أنها مباحة لمن كان فيه وصف الفقر والذل ، فيدخل حضرة الله عز وجل ، فى أى وقت شاء لا يمنع فى وقت من الأوقات ، فعلم أنه ينبغي لكل من سئل غنى أم فقير ، أن يقول : أنا بخير . ولا يتعرض لفقر ولا غنى والحمد لله رب العالمين .

(١٤٨) ومن أخلاقهم ، مزاحمة الأبطال فى التقوى والاكتثار من عمل الآخرة ، فقد قالوا ليس البطل من يقطع البرارى والقفار ، إنما البطل من يتق الله ويخالف هواه ، وقالوا عليكم بالتقوى ، فانها ما جاوزت قلب عبد إلا وصل إلى حضرة الله عز وجل . وقالوا لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يصبر على شدة الجوع والعرى والآلام كما يصبر القابض على الجمر فى كفه ليلا ونهاراً مدة حياته . انتهى .

وهذا أمر لا يصلح إلا ممن أيدته الله تعالى بقوة من قوة أهل حضرته .
فاعرض يا أخى ذلك على نفسك ومريدى عصرك تعرف حالك وحالهم
والحمد لله رب العالمين .

(١٤٩) ومن أخلاقهم ، عدم الخوض فى أعراض أحد ممن مات
فضلا عن أهل الزمان وذلك لأنه قل من يكون فى نعمة إلا ويكون له
أعداء وأضداد ، ينقلون عنه البهتان والزور ، فالعاقل من حفظ لسانه
عن الأحياء والأموات وأطلق لسانه بالحمد والشكر والثناء بطريقه
الشرعى ، وقد قالوا من أراد العز عند الله وعند الناس فليسكت عن
ذكر عيوب الناس ما أمكن : قالوا ويتأكد ذلك على كل من اعتزل فى
رؤوس الجبال والقفار ليشاكل بعضه بعضا ، فإن صورة المعتزل
صورة من إنقطع إلى الله سبحانه وتعالى ، وترك الناس ، وذكره لعيوب
الناس التى بلغت عن ألسنة الفسقة محا صورة حاله ، وذلك بأكل
الحسنات التى عملها حال عزلته فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين ،
وهذا الأمر قل أن يسلم منه معتزل ، لكون إبليس له بالمرصاد ، لا يكاد
يفارقه ، ويقول له أذكر أقرانك الذين لم يعتزلوا الناس بسوء لتنفرد أنت
بالصمت ويكمل لك اعتقاد الأمراء فلا يلتفتون إلى غيرك فتصير تشفع
فى الناس عندهم ، ولا يردون لك شفاعة ، ويزين له ذلك كل التزين
حتى يهلكه . فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من مريدى عصرك
تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٠) ومن أخلاقهم ، العمل على جلاء قلوبهم من الشهوات
والأدناس حتى لا تصير خواطر العقول فى الفحشاء تخطر على قلوبهم
وذلك ليحسح لهم دخول حضرة الله سبحانه وتعالى فى الصلاة والمكث
فيها ، وقد كنت مرة فى حضرة الله تعالى وعندى من الخشوع ما الله
به عليم ، فخطر فى بالى سوء ظن بشخص ممن يكرهنى ، فطرد

قلبي من الحضرة وضرب الحجاب بيني وبينها ، فاستجليت ذلك بالاستغفار حتى عجزت ، فلم أقدر على دخول الحضرة عدة أيام ، هذا في خاطر لم يستقر فكيف بالخواطر التي استقرت وصارت عزمًا . وهذا الخلق قد صار غريبًا في أكثر المريدين . فاعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حاله وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥١) ومن أخلاقهم ، أن لا يتخذ أحد منهم نقيبًا لحدث السن . وإنما يتخذون من جرب الأمور من الكهول لأنهم أقرب إلى معرفة مرادهم عن الأحداث في صغر السن ، والأحداث في الطريق ، فإنهم ليسوا بمحل لأسرار الرجال ، وربما لاث الناس بالفقير إذا كان نقيبًا حدثًا ، وظنوا فيه السوء وقد قالوا من سلك مسالك التهم وطلب حسن الظن به ، فهو كمن يريد أن يحجب نور الشمس عن الأرض بلا حجاب سحاب ، فكما أن الشخص تحكم بحرارتها الأرض ، فكذلك سوء الظن بمن سلك مسالك التهم يحكم على الناس به . وقد أقمت مرة نقيبًا أمرًا ، فكشفت لي قرأيت معه شيئًا كثيرًا ، واحدًا أمامه وواحدًا خلفه ، كلما يدخل على . ثم رأته . ومن ذلك الزم ما رأيت نقيبًا إلا أن كان ملعن في السن ودارت لهيته ثم من قدامته إتخاذ النقيب من الأحداث سقوط جاه الفقير من قلوب الناس فلا يصير له بناء في قلوبهم ، وذلك أن الميل إلى كل (مستحسن) (١) في الوجوه دون الله تعالى يورث المقت والاهانة عند الله تعالى فضلاً عن الخلق ومن يهون الله فما له من مكرم ، وقد قال أشياخ الطريق كلهم إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف . يعني بذلك صحبة الأحداث ، وقالوا ما ابتلى عبد بذلك إلا أهانه الله وخذله ولو يألف ألف كرامته أهله (٢)

(١) في الأصل (مستحسن) .

(٢) المقصود : كرامة لأهل الله .

لأن الحق تعالى غيور ، ولا يحب أن يرى قلب عبده المخصوص بغيره ، وربما رأى تعالى محبة أحد فى قلب وليه فمقت ذلك الولى أو ذلك المحبوب ، وربما غار الحق على قلب وليه أن يدخل محبته ، غيره ، فقضى حوائج كل من توجه إلى ذلك الفقير من غير علمه خوفاً أن يشغل قلب وليه بأحد سواه ، ولو حصل بذلك الثواب ، لأنه ثم مقام رفيع أرفع ، ومن هنا يعرف المحقق سر أمره ﷺ بالإستغفار فى سورة النصر مع أنه ﷺ كان تحت أمر الله تعالى فى كل شئ فعله أو قاله . فإياك يا أخى وظن السوء فى الفقراء الذين اتخذوا أهدأ من الأحداث نقيبا ، فربما قصداً بذلك حفظه من الفواحش ، وقد مقت خلق كثير باعتراضهم على الأشياخ كسيدي يوسف العجمي وسيدي إبراهيم المتبولى ، ومات المعترضون عليهم على أسوأ حال ، ثم لا يخفى أن كل فقير جعل لظاهره الشرع عليه اعتراضا ، فهو ناقص رتبة الرجال إلا أن يحمى نفسه من المعترضين ، فيأخذ بأفواههم عن الكلام فى حقه وبقلوبهم عن سوء الظن به ، كما أوضحنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى فأعرض يا أخى ما ذكرته لك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٢) ومن أخلاقهم أستجلأهم لصحبة الولاة إذا رأوا فيها مصلحة ترجع على التباعد منهم وطردهم كذلك من صحبتهم إذا رأوا أن ذلك الطرد أرجح فى حقهم وذلك لأنهم لا يفعلون شيئاً إلا أن رأوا رضى الله عنه فيه ، فليحذر الأمير إذا تودد إليهم ، أن يرى له فضلا عليهم بتردده بل الواجب عليه أن يرى فضل الفقراء عليه ، وتقريبهم له من حضرتهم لأنها حضرة الله عز وجل ، ومن أدخل مطرودا حضرة الله عز وجل فلا يصح له مكافأة من أدخله بشئ من الكونين . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله إذا طلب أحد الأمراء أن يصحبه يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول فى سجوده : اللهم أن فلانا قد عزم

على صحبتنا فإن كان في صحبتته خير لى وله فسهل علينا ذلك وإلا فاصرفه عنى صدقة من صدقاتك على . فيصبح ذلك الأمير عنده بنفسه من غير استجلاب ، فيعرف بذلك أن صحبتته خير وإن لم يصبح عنده يعرف أن صحبتته شر . وقال سيدى على الخواص رحمه الله لا يحسبوا الوقت الفقير فى صحبتة الأمير إلا بعد صدقة تحصل له من عزل أو مصيبة فى بدنه ويجد الخلاص منها على يد الفقير ، وما لم تحصل له الصدقة فلا تصفو محبته معه ، وكان أيضا يقول : لا ينبغي لفقير سحب أميرا بعد الاستخارة وظهور أن صحبتته خير ، أن يأكل من هديته أبدا ، وقد وقع لى أن الأمير عبدالله بن بغداد أرسل للزاوية عشرة أرادب بسلة فأكلت منها يوما ناسيا فتقيأته وكل من لم يعطه الله التصريف فى الظلمة فاستجلابه لصبتهم من سخافة العقل ، فان من حق الظالم على الفقير إذا صحبه أن يتحمل عنه جميع مظالم العباد يوم القيامة أو يشفع له عند الله تعالى فيرضى عنه أصحاب التبعات كلهم متى يخرج من قبره تقياً من الذنوب ليس لأحد من الخاق عليه حق ، فمن قدره الله تعالى على ذلك فليصحب الظلمة وإلا فليكن عن صحبتهم بممزل ، وقد وقع أن عبدالله بن بغداد خرج عن طاعتى فيما أمره به من الخير ، فتوضأت وصليت ركعتين ، وقلت اللهم إن كان فى صحبتة هذا الولد خيراً فأجعله منقاد القلب لما أمره به من الخير ، فأصبح عندى من بكرة النهار ، فعلمت أن صحبتته لى خير من مقاطعتى ، وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : كل فقير توجه إلى الله فى ولاية أحد من الولاة فهو وشريكه فى جميع الاثم الذى يحصل له ، فليوطن الفقير الذى توجه فى ولاية ظالم نفسه على تحمل مظالمه يوم القيامة . فاعلم ذلك وأمره على فقره ، مسرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٣) ومن أخلاقهم تفويض أمرهم إلى الله تعالى فى إصلاح أولادهم إذا كانوا على غير قدم الاستقامة النسبية لأمثالهم ولا تعبوا أنفسهم فى تربيته من غير تفويض أمرهم إلى الله تعالى ، فإن ذلك لا يفيد لاسيما أن ضرب أحدهم ولده وجوعه وأعرأه ، فإنه لا يزداد إلا جوعا . وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشد الناس فى دين الله تعالى ومع ذلك ابتلاه الله تعالى فى ولده أبى مشحمة وكان مغرما بشرب الخمر وعجز أبوه وهو يحده ، وهو لا يرجع ، ففوض أمره إلى الله تعالى فتأب من يومه ، وصلى حاله ، وكذلك وقع الكثير من أولاد العلماء والصالحين ، وأخبرنى شيخنا أن بعض أولاد مشايخ الإسلام كان مغرما بالشراب والشيخ يقول : تكذبون عليه ، فلما أكثروا عليه قال لا أخذه إلا بطريق شرعى من إقراره أو بينه أنه شرب غير مكره ، فأتوه به مرة فى دست طباح وحملوه بغير عقل ، وقالوا له : أنظر ولدك فكشفوا الدست بين يديه ، فوجد ولده لا يعرف السماء من الأرض ، فأثر فى والده ذلك ، فلما كان الليل كشف الشيخ رأسه وسأل الله تعالى أن يتوب على ولده ، فأصبح الولد تائبا وما شئ أبغض إليه من الشراب ، فاعلم ذلك وفوض أمر ولدك إلى الله تعالى وأمر إخوانك بذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٤) ومن أخلاقهم العمل على تحصيل محبة الله تعالى لهم حتى أن الحق تعالى يحميهم من الوقوع فى شئ يحجبهم عن حضرتة ، فإنه هكذا يفعل مع من يحبهم عكس من يكرهم ، ومن فائدة محبة الله تعالى أيضا للعبد ، أنه يرسل على كل جارحه من جوارحه الظاهرة والباطنة ملكا يحرسها ويحفظها من أن تتصرف فى شئ يكرهه الله سبحانه وتعالى ، وقد رأيت ذلك الموكل فى ليلة من الليالى حين كشف الله عن بصرى ، فشهدت الملك الموكل بعينى ،

والموكل بلساني ، والموكل بفرجي ، والموكل بقلبي ، ففرحت بذلك غاية الفرح ، ثم حزنت بذلك أشد الحزن ، خوفا من خيانتى لرسول الله تعالى إلا فى حالة ذهولهم عن حفظى بما تجلى لهم من عظيمة الله سبحانه وتعالى مثلا ، فإن قلت : كيف الوصول إلى مقام متابعة الله ، فالجواب أن ذلك بمتابعة رسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وزيارته وورعه وغير ذلك من أحواله . قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (١) . وان قلت : كيف الوصول إلى متابعة رسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله والموانع دونها قائمة ؟ فالجواب يصل العبد إلى ذلك بالسلوك على يد شيخ صالح يزيل منه الموانع شيئا بعد شيء ، حتى لا يبقى بينه وبين مقام الاتباع مانع إلا عدم القسمه الإلهية ومن ثمرة محبة الله سبحانه وتعالى للعبد أيضا حمايته من أكل الحرام والشبهات ومن أن (لا) (٢) يرد له دعاء . فإن أكل الحرام والشبهات مانع من قبول الدعاء مادام فى البطن شئ من قوى تلك اللقمة ، وقد قالوا أن اللقمة يمكث قواها فى ثلاثين يوما . وقلب العبد أقوى من الحجارة لا يكاد يظن أن الله سبحانه وتعالى يجيب له دعاء فيجنى ثمرة سوء ظنه بربه ، عكس من يأكل الحلال فإنه لا يرد له دعاء لحسن ظنه بربه ، ثم انه يتعين ترك أكل الشبهات على كل من صار معروفا بقضاء حوائج الناس عند الله تعالى . فاعرض ذلك على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٥) ومن أخلاقهم ، أن يحكموا بين الشراء بالعدل ولا يميلوا مع ولدهم أو صاحبهم ولو بالقلب ، بل البعيد والقريب عندهم فى الحق سواء وقد أجمعوا على أن كل شيخ حكم بين الفقراء (بالهوى) (٣)

(١) سورة : آل عمران ٣١ .

(٢) فى الأصل مطموسة .

(٣) فى الأصل مطموسة .

ذهبت حرمة من القلوب وهيئته لزوال تعظيمه عند الله سبحانه وتعالى، وكل من حكم بالحق عظمه الله تعالى في قلوب عباده وأعطاه الهيبة في قلوبهم . فاحكم يا أخى بالحق وإلا ذهبت حرمتك وهيبتك من القلوب وعدمت انتفاع الفقراء بك ولاه ثوابك بالسنتهم وقلوبهم واعلم أنه يجب على شيخ الزاوية أن يقوم كل القيام على ولده وأخيه وابن عمه إذا تخاصم مع أحد من الفقراء ليرضى الله والناس والا ذهبت رياسته على الفقراء ، وخرجوا من تحت طاعته قهرا عليه ، فاعرض يا أخى على نفسك وأقرانك حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٦) ومن أخلاقهم تنقيتهم لأعمالهم من الشوائب الفاحشة في الاخلاص ، فانها تعب من غير قائدة فيحملها صاحبها على ظهره إلى أن يضعها عند الميزان ، فتأتى بها الملائكة فتميز ما كان منها لله تعالى ويضمحل ما لم يرد به وجهه ، فحكم هذا من فتح مطلبها في دار الدنيا وملا منه جرابه . فلما جاء به إلى داره وجد به بعرأ أو خنفسا ، فانه يندم حيث لا ينفعه الندم ، ولعل هذا الحال هو حالنا اليوم في أعمالنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٧) ومن أخلاقهم أن يكون لهم حال المعصية عينان أو عين ، فعين ينظرون بها كسبهم المعاصي بعد نهى الشارع لهم عنها فيستغفرون منها ، وعين ينظرون بها حكمة التقدير الالهي ، فيرضون بذلك عن الله ، وهذا معنى قول الأئمة رضى الله عنهم بحب الرضى بالقضاء لا بالمقضى . وقولهم نؤمن بالقدر ولا نحتج على الله به . ومن هنا كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم احفظنى من الوقوع فيما يكره أنبيأؤك ورسلك وعبادك الصالحون . ولا يقول : احفظنى مما تكره . فان الله تعالى هو خالق لأعمال العباد ومختار لها ، وما كان من فعله

واختياره لا تتخلص لكرهاته من كل وجه كيف يتصور حقيقة كراهيته لما (خلقه)^(١) واختاره . انتهى . واعلم أن معنى عدم محبة الحق تعالى لشئ من الأهمال ويفضيه له أنه لا يحبه لعبدته شفقة تعالى عبده ، مثل قوله تعالى : «ولا يرضى لعباده الكفر»^(٢) وقوله في السجدة انفسى : في عبده المؤمن من يكره الموت مع أنه تعالى هو الذى قدره عليهم فأفهم فما تفاضلت الأعمال إلا بالنظر إلى الخلق واكتسابهم وإلا فمن جعلها إلى الله تعالى كلها من حيث كونه خالقاً لها ، ومزى هنا قالوا الربوبية لا تنتقم لنفسها ، إنما تنتقم لكون بعضه من بعض وكذلك القول فى إبليس يجب عليهم عداوة أفعاله من حيث كونها حاجبة لهم عن حضرة ربهم لا يجوز لأحد أن يتبعه فيها كما يجب على كل عارف أن يطلب من الله تعالى الحكمة فى لغة إبليس مع أنه لا يتحرك بحركة إلا أن حركة الله تعالى بقدرته . وهذا أسرار فى الكلام على حقيقة مرتبة إبليس لا تسيطر فى كتاب . فأعرض يائسى ما ذكرناه على نفسك ومريدى عصرك تعرف حالك وحالهم فى هذه المشاهدة والحمد لله رب العالمين .

(١٥٨) ومن أخلاقهم ، أن لا يستحي أحدهم أن يذكر لشيخه أمراضه التى أبتلى بها فى الباطن ، لأن المريد مريض والشيخ هو الطبيب ، وإذا كتم المريض داءه عن الطبيب طال زمن مرضه ، وليس من شرط الشيخ الاطلاع على ذنوب المريد ، إنما الواجب على المريد ، إنما هو الذى يذكر عيوبه لشيخه لأن حضرته منزهة عن شهود النقائص والقبايح ، إذ هى بعينها حضرة الأنبياء والملائكة والأولياء وليس فى حضرة أحد من هؤلاء شئ من النقائص التى تسخط الله

(١) مطبوعة فى الأصل .

(٢) سورة الزمر : ٧ .

تعالى ، وإنما هي حضرة رضى الله تقريب ومنح وعطايا ، عكس
 حضرات الشياطين ، فانها حضرة سخط وبعد عن الله ومقت وحرمان ،
 وقد قدمنا فى هذا الكتاب أنه يجب على المريد أن يعرض صحيفته كل
 يوم أو ليلة على أستاذه ليشفع له فى ذنوبه عند الله تعالى أو يدلّه على
 طريق مغفرتها ، وأنه ليس بين المريد وبين شيخه عورة ، لأنه نائب
 للحق تعالى فى محاسبة المريد فى دار الدنيا ليخف حسابه فى الآخرة ،
 وقد حكى القشيري^(١) فى باب رؤيا النوم ، من رسالته بأن بعض
 الأولياء رأى بعد موته ، ف قيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : غفر
 لى كل ذنب أقررت له به إلا ذنبا واحدا استحييت أن أتلفظ به فأوقهنى
 فى العرق حق سقط لحم وجهى . ف قيل له : وما ذلك الذنب ؟ فقال :
 نظرت يوما إلى أمرد بشهوة حال بدايتى . فلو أن هذا الشخص كان
 ذكر ذلك لشيخه فى دار الدنيا أكان شفيع له فيه عند الله تعالى أو علمه
 الدواء المكفر لذلك . فعلم أن كل مريد كتم عن شيخه ذنبا من الذنوب
 فقد غش نفسه وخان شيخه^(٢) . فأعرض يا أخى صحيفتك كل يوم أو
 ليلة على شيخك ولا تخف من ازدراء شيخك لك ، فإن الأشياخ لا
 تزدري أحدا من العصاة بذلك ، بل ينظرون إلى كل عاص بعين
 الرحمة وإقامة العذر فى الباطن ، وإن زجروه فى الظاهر ، وأكثر من
 يعمل بهذه الخلق طائفة الدنيا ، فيخبرون أشياخهم بكل ما خطر ببالهم
 أو فعلوه رضى الله عنهم أجمعين . فأعمل على ذلك لكن يكون ذلك
 سرا بينك وبين الشيخ . هذا شأن المريد ما لم يتحد بالشيخ ، فإن وقع
 له اتحاد ، فهناك يكفيه التوجه إليه بقلبه ، ولو كان بينه وبينه بعد
 المشرقين . والحمد لله رب العالمين .

(١) الرسالة القشيرية ، ج ٢ .

(٢) ينظر الصوفية التى شيوخهم نظرة المربى والمعالج للأمراض الباطنية ، وإن المريد إن
 لم يكشف شيخه بأفاته فهو الذى يعلمه العوم فى البحر اللجى غرق .

(١٥٩) ومن أخلاقهم إذا وقع أخوهم فى ذنب يستقبح ذكره عادة كتنقيب امرأة أجنبية ، وأراد تأديبه أن يراعيه بذنب لا يُستقبح عرفا كالبول قائما بلا عذر وتركه قيام ليلة ونحو ذلك كيلا يخلطونه بين الناس لا سيما إن كان فى مجلس المناقشة من لبس خرقة الفقراء ، وقد كان سيدى أبو السعود الجارحى إذا وقع له مناقشة فقير على ذنب عظيم بين العامة يقلب ذكر الذنب إلى شئ لا يراه العامة ذنبا كجمعه الدينار وتبنيته للدينار والدرهم فى داره مع علمه بحاجة أحد من المسلمين إليه فنقول العامة للشيخ : شئ لله المدد ، ويتعجبون من مثل ذلك ، وكان يخرج فى الليل فيضع يده على فروج المريدين وهم نائمون فكل من رأى فرجه منتشرا عاتبه بكرة النهار وأمره بالجوع والأعمال الشاقة خوفا عليه من الفواحش ، ويقول إذا كان فرجك منتشرا وأنت نائم وروحك بين يدى الله عز وجل ، فكيف بك إذا كنت مستيقظا ونفعاك فى حضرة الشياطين والفساق . انتهى . يتوهم منه محبة الفاحشة فيه فلو كان ذلك الشخص يمسح الشباب لفاحشة لنفر منه ، وقد كان الشيخ عبدالحليم بن مصطفى يقول : إذا رأيتم الشباب يحب الملتحى فظنوا بالشباب خيرا ، وإذا رأيتم الملتحى يحب الأمرد ، وهو غير محفوظ الظاهر فهو محل الريبة . انتهى ، وكلامنا فى غير أرباب الأخوال ، أما من كان له حال مع الله تعالى فهو محفوظ غالبا من الوقوع فى فاحشة ، وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله تعالى ينام مع الأمرد فى الخلوة ويقول : أحفظه من أهل الفساد . فانكر عليه فقيه فى ذلك فقال له : إنما أفعل ذلك لأحفظه منك ، ومن أمثالك ، فاستفتى على الشيخ فمسكوه ثانى يوم بأمره من ممالك الأكابر فدخلوا به بيت الوالى وضربوه ضربا مبرحا ، وحبسوه سنة كاملة ، فأرسل يقول للشيخ : تبت إلى الله . فقال : غدا يطلق : فأطلق . وكذلك كان سيدى إبراهيم يجمع بين المرد والرجال الغرب فى مكان

واحد ، ويقول كل من تعدى على أخيه لحقته الباردة والسخونة تهزه
 وأسنانه تضرب عليه سبع شهور فما كان إلا هلك . انتهى . فان كنت
 يا أخى تعلم من نفسك حماية نفسك وحماية الشاب ، فلك أن تتبع
 سيدى إبراهيم وإلا فأبعد عن ذلك لئلا تهلك وتهلك الناس (بسببك)^(١) .
 فأعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأقرانك تعلم حالك وحالهم والحمد لله
 رب العالمين .

(١٦٠) ومن أخلاقهم ، إذا شاورهم أحد من الولاة فى صحبة
 أحد من إخوانهم (نفروه)^(٢) عنه جهدهم ويجرحوا فيه عندهم إلا أن
 وثقوا برسوخه فى الطريق وقبول شفاعته عند ذلك الأمير مثلاً فحينئذ
 يرغبونه فى صحبته ويذكرون له محاسنه وكراماته . وكان أخى أفضل
 الدين يقول : مذهبى وجوب التنفير من صحبة أمثالنا لغلبة الميل إلى
 الألوهية يقينا ، وكان يشكر الله تعالى ويحمد كل من ينفر منه أحد من
 الولاة . ويقول جزا الله أخانا فلانا خيراً على ما فعل معنا . انتهى .
 وقد وقع أن الشيخ أحمد القللى رغب الأمير عبد الله بن بغداد فى
 صحبتى فشكرته من حيث ظنه فى الخير ، ثم أرسلت أقول له : لا تعد
 ترغب فى صحبتى أحداً من الولاة . فان السلامة مقدمة على الغنيمة ،
 ومن حق الأخ أن يحتاط لأخيه كل الاحتياط وفاء بحقه ، وقد بسطنا
 الكلام على ذلك فى المنن الكبرى . فأعرض يا أخى ما ذكرت لك على
 نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦١) ومن أخلاقهم إذا حج أحدهم ورجع إلى بلاده أن (يبدأ)^(٣)
 بإخوانه بالسلام ، ويذهب هو إلى بيوتهم ويسلم عليهم ولا يحوجهم إلى

(١) وردت فى الأصل مطموسة .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

(٣) فى الأصل (يبدأ) .

الذهاب إليه ، ولو كانوا دونه في المقام عادة وفي ذلك من التواضع ورياضة النفس وتهذيب أخلاق الإخوان ، وقد دخل أبو حفص النيسابوري^(١) بغداد (فبدأ)^(٢) بمنزل أبي القاسم الجنيد^(٣) ، فسلم عليه لئلا يحوجه بالمشى إلى المشى له فتعانقا وتحادثا ملياً ، ثم خرج أبو حفص إلى مكانه ، فما إستقر إلا والجنيد عنده ، فسلم عليه ثانياً ، ثم قال : ذلك فضلك وهذا حقك . انتهى ، فليحذر الفقير إذا حج أن يحوج أحداً من أكابر العلماء والصالحين أو الأمراء أن يأتوا إليه ، بل يبدأهم هو بذلك ، إلا أن يترتب على ذهابه إليهم لوث بعرضه يرجع ضرره على ضرر عدم الذهاب ، فهناك يعمل بالأرجح ولا يذهب إلى أحد منهم ، وقد سمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تلتفت إلى مجئ أحد يسلم عليك إذا رجعت من سفر الحج لا سيما أكابر الناس ، فإن ثواب حجك لا يجئ (من)^(٤) حق طريق واحد منهم ، فيجب عليك رد النفس عن طلب زيارتها ما أمكن . فإن كل من لم يأتها فقد عتقها من منته عليها ، ولكن أن جاءه أحد مع غير قصد ، فأشكر الله تعالى وكافئه على ذلك بقضاء حاجة له أو تودد لزيارته أو هدية ترسلها إليه ونحو ذلك وهذا الخلق يخل به كثير من أصحاب الرعونات المتمشixin بأنفسهم حتى أن شخصاً من تلامذة سيدي على المرصفي حج فلم يأت إليه سيدي على ، فانقطع عن زيارته إلى أن مات ، وهذا الأمر واقع في غالب فقراء هذا الزمان ، فيعادي أحدهم

(١) هو أبو حفص عمرو بن سلمة وقيل بن سالم والأول هو الأصح كما ذكر في كتب الطبقات - توفي سنة ٢٧٠هـ وقيل ٢٦٧هـ صاحب على النصر اباذى وأحمد بن خضرويه البلخي كان أحد الأئمة والسادة وانتمى إليه شاه بن شجاع الكراماني وتلمذ عليه قوم كثيرون وهو من أعظم الصوفية .

(٢) في الأصل (فبدء) .

(٣) شيخ الطائفة .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

من لم يسلم عليه ويهجره إلى أن يموت ، وربما كان أحدهم أكبر نفسا من الأمراء أو من يظن بنفسا نيتة من الصالحين ، وقد وقع أن الأمير حمزة كاشف الخريبة والأمير خضر كاشف الشرقية والقيصرية (١) حجاً سنة اثنين وستين وتسعمائة^(١) أتيا إلى زيارتي قبل أن أتى إليهما فعلماني بذلك التواضع من كونهما من الولاة ولم يروضوا أنفسهم ولم يدعيا الصلاح ، فأذن هما أحسن من كثير من مشايخ الزمان الذين تأذف نفوسهم أن يبدأوا بزيارة أحد من الولاة والفقراء إذا رجعوا من الحج ، وربما ظن أحدهم بنفسه الصلاح وأنه غفر للحاج تلك السنة بسببه وربما سمع من يقول بذلك في حقه فيسكت ولا يذكره ، فيرجع من مكة ممقوتاً ، ولذلك قالوا : إذا حج جارك فحول باب دارك . أي لأنه لا يرجع من الحج يرى نفسه على ، ويقول : ذنوبي قد غفرت كلها بالحج بخلاف جاري . فيقال لمثل هذا : فإذا غفرت ذنوبك فقدم على احتقار نفسك ورؤية عيوبك خوفاً أن تموت في تلك السنة فلا يقع لك بعدها حج ، فتذهب إلى الآخرة بكل ذنب يعادل ذنوبك السابقة . وقد أوضحنا الكلام على آفات رؤية النفس في كتاب المثل والأخلاق الكبرى فراجعها إن شئت وأعرض ما قلناه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٢) ومن أخلاقهم ، أن يفتش أحدهم في هدية الحاج قبل أن يأكلها ولا يبادر إلى الأكل منها تبركا بها لكونها جاءت من مدينة رسول الله ﷺ مثلاً ، كما يقع فيه كثير من المسامحين . وقد وقع لى حمزة أمير الحاج أرسل لى جراب تمر فرقته على المجاورين فأكلت ثلاث ثمرات فاحسست بأنه نزل فى بطنى حجر معصره ، ثم لعبت نفسى وتقيأت كل ما فى بطنى من تلك التمرات حتى خرج طعام اليوم

(١) يؤكد أن هذا المخطوط كتب بعد سنة ٩٦٢ هـ .

الذى قبله ، وهاتان علامتان تقعان لى كثيرا فى الحرام والشبهات ، فما أحس بثقل فى بطنى ، فأشرب عليه ماء واتقيأه . واما نفسى فيطالع بنفسه ، وهذا من أكبر نعم الله تعالى على ، فان فيه قطع مادة المعاصى فانها لا تنشأ إلا من أكل الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن لم يستبرأ لدينه ، فيبادر إلى الأكل من الهدايا التى تأتى من الحجاز والتطيب بإيائها والتسوك بمساويكها ، ولا يلتفت إلى المادة الأولى التى اشترت تلك الهدايا بها ، هل هى حلال أم حرام ، وقد سئل الإمام أحمد رضى الله عنه مرة عن نبيذ الجرة ، فقال اسألوا عن الثمن الذى اشترى منه الزبيب قبل أن يتنبذ . انتهى . وقد أعدت تلك الصلاة التى صليتها والتمرات لى بطنى وأمرت الاخوان الذين أكلوا من ذلك التمر أن يعيدوا تلك الصلاة لما ورد أن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد وفى جوفه شئ من الحرام . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك واخوانك تعرف الحال والحمد لله رب العالمين .

(١٦٣) ومن أخلاقهم ، أن يعمل أحدهم الأعمال الصالحة غير طامع فى الثواب ، فان طلب الثواب على العمل من سقاطة النفس ، وهو محظور عند شريف الأصل فإن الأكابر إنما تخدعهم غلمانهم قياما بواجب حقهم لا لأجل أن يعطوهم أجرة على ذلك ، كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول .. من طمع فى فضل الله فقد حجر على الحق أن لا يحرمه مما طمع فيه ، وذلك معدود من سوء الأدب كما قالوا فى الرجاء : أنه من أنواع التحجير على الحق جل وعلا ، وأيضاً فان العمل الذى يطلب للأجرة نسبته ، هو خلق لله وحده لا خلق له عبد^(١) . فكيف يسوغ له أن يطلب أجرة على فعل هو لغيره ، فكان من رجا فى الله خيراً يحجر عليه بقلب أن لا يفعل معه شئ من الحرام

(١) المقصود أنه لم يخلق لعبد هذا الحق .

تعالى مطلق لا يدخل تحت تحجير عبده ، وطريق العبد أن يسأل الله سبحانه وتعالى إظهار للفاقة والحاجة ويظهر الطمع والرجاء فى فضله من غير ترجيح للعطاء على المنع . انتهى . وسمعتة يقول أيضاً : إذا تصدقت بمال وهبه الناس لك ، فأجره لمن اكتسبه بتجارة أو صنعة ولك أجر نية الخير لا غيره ، وقد رأيت زبيدة فى المنام بعد موتها ، فقيل لها ما فعل الله بك بعد تلك الصدقات العظيمة التى كنت تتصدقين بها . فقالت أجزها لأربابها وحصل ثواب النية فى تفرقها للفقراء والمساكين . انتهى . ولو أن زبيدة حققت النظر لوجدت نفسها لا تستحق ثواباً على نيتها لأن النية هى من خلق الله أيضاً^(١) . فأعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٤) ومن أخلاقهم الواجبة عليهم إعانة الملهوف فمن ادعى الولاية وقلبه فارغ من تحمل هموم الناس فهو كاذب فى دعواه حتى ان القطب الغوث^(٢) لم يلقب بالغوث عندهم إلا لإغاثة الملهوفين من جميع العالم ، وهذه الحقيقة سارية منه فى جميع الأولياء وكذلك من أخلاقهم عدم الاحتجاب عن الناس إلا لضرورة ولا يخلون قط على أبوابهم حجاباً إلا أن كان فى البيت عيال لا مكان لهم يتوارون فيه ، وذلك حتى يكون كل من طلبهم فى حاجته وجدهم ، وكل من أرادهم وصل إليهم إلا أن يكثر الواشون الذين يدخلون عليهم لغير غرض شرعى ، فيشغلوا الوقت بغير فائدة ، وكان سيدى عبدالقادر الدشوطى^(٣) رحمه الله يقول : من شرط الفقراء أن يتواروا عن أحد إلا لعذر ولا يقولون لمن قصدهم حاجة : ارجع بعد ساعة ولا يمنعون قط

(١) ذلك مخالف للحديث (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) .

(٢) رئيس الحكومة الباطنية وقطب زمانه .

(٣) راجع فهرس الأعلام .

سائلا إلا بحكمة لا لبخل رضى الله عنهم أجمعين . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٥) ومن أخلاقهم أن لا يطلبوا من الخادم أن يجرى على أغراضهم وإذا آتاهم بما لا يوافق أغراضهم لا يعتبون على ذلك إلا أن يكون الخادم تلميذ للشيخ ، فله أن يؤدبه من حيث مخالفته أمر شيخه لا لغير ذلك ، وإنما تركوا العتاب لمن خالفهم من الخدام ، وخالف أغراضهم تهذيباً لأخلاقهم ورياضة لنفوسهم كما أنهم يحتملون الأذى من الخلق ، ولا يقابلونهم بنظير ذلك ويحملون مؤنتهم عن الناس ولا يلقون كلهم على أحد ، ومن شأنهم أن ينبهوا الغافل ، ويرشدوا الضال ، وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : من القوم من صارت إرادته متعلقة بكل ما يجريه الله تعالى عليه من الكون من غير تخصيص ما عدا محارم الله عز وجل ، فإنه لا يرضاها كما أن الحق يريد ما لا يرضاها ، ومن تحقق بهذا المقام صار يرضى بكل ما يفعله الخادم أو الخلق معه ، ويراه غير خارج عن غرضه لرضاه بكل شئ أجراه الله تعالى على أيدي عباده ، وهو فان عن حظ نفسه لمفارقته عالم نفسه ، ومن لا نفس له لا غرض له ، ومن زال غرضه زال مرضه ، فإن سبب الأمراض عدم موافقة الأغراض . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأبناء جنسك تعرف حالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٦) ومن أخلاقهم عدم اختبار الشيوخ إذا دخلوا عليهم ، كأن يقول أن ألهمنى الشيخ الفلانى كذا اعتقدته ، وأن لم يطعننى ذلك لم أعتقده ، وذلك لأن كل من دخل على شيخ يختبره فهو جاهل ممقوت عند الله ، فان الشيوخ لا يختبرون البتة لكمالهم ، وإنما الحق تعالى هو

الذى يختبرهم ، وأما الخلق فهم دونهم فى المقام ، فكيف يختبرونهم فى مقامات لا يذوقونها . وكان سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول : لا يطلب من الشيوخ الكلام على هواجس النفوس ، وإنما يطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء ونحو ذلك مما هو من شروط المشايخ ، فإن المكاشفات إنما هى من أخلاق المريدين لا من أخلاق الكمل العارفين . وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله إذا سأل عن عبده الأبق مثلاً : أين هو ؟ يقول للسائل : أصبر حتى يأتى مريدنا فلانا يكشف لك عنه . فقالوا له يوماً : وكيف يحتاج مثلكم إلى من يكشف له ؟ فقال : يا ولدى العارف إذا بلغ مقام العرفان يسير يهرب من مشاركة الحق تعالى فى الاطلاع على الغيوب فلا يكون له التفات إلى شئ من المكاشفات لا سيما إطلاعه على عورات الناس . إنتهى . وفى الفتوحات المكية للشيخ محى الدين أن من عباد الله من كشف له عن ملكوت السموات والأرض على التفصيل ، ومع ذلك لا يعلم ما فى جبينه لأنه مع الله تعالى بحسب ما يطلبه لا مع ما تشتهي نفسه . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٧) ومن أخلاقهم إذا صحبوا أحداً من الولاة يعلموه الأدب مع مُراسلاتٍ إذا وردت عليهم فى أمرهم بمعروف مثلاً وأن يقبلوها ويضعوها على أعينهم ، لأن بذلك تدوم ولايتهم ، وقد بلغنا أن كتاب يعقوب عليه السلام لما ورد على يوسف عليه السلام بمصر فقبله يوسف ووضعه على عينيه ، وقال : أتدرون لما فعلت ذلك ؟ فقالوا : لا . قال : لأنه من سنة الملوك ، وبذلك يدوم ملكهم . انتهى . وذكر صاحب الدلالة على الله ، أن فى أولياء الله من إذا أرسل السلام لظالم واحد من العصاة تاب الله عليه وسامحه فى جميع التبعات التى عليه ، وذلك لأن الله تعالى ينتصر لأوليائه ولا يخذلهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ،

ويستحيى أن يؤمن أحد من أوليائه بإرساله لأحد ويخذه في أمانة ،
 فينبغي للفقير إذا سحب أحد من الولاة أن يخبره بهذا السر العظيم ،
 ولا يرد على فقير مراسلاته له بالسلم ، وقد لى مع بعض بنى بغداد
 أنه صار يرد مراسلاتى ولا يقرأها وتارة يعطيها للنصارى ، ويستنكف
 عن قراعتها فصرت أكاآبه وأسقط البسملة والصلاة على رسول الله
 ﷺ والسلم عليه خوفا أن يمقته الله تعالى باعطائه النصارى اسم الله
 تعالى ، فينتهكون ذلك ، فمكث بعد ذلك مدة يسيرة وعزل وأدخل
 البرج ، وعوقب ، هذا أمر شهدته فيهم ، وبالجملة فمن لم يكن له حال
 مع الله تعالى يحمى به نفسه من الظلمة وتصريفها فيهم بالولاة والعزل ،
 فليس له التصدر فى الشفاعات عندهم ، فإن ذلك لا يتم له لا سيما
 ظلمة (النصف) (١) الثانى من القرن العاشر أبى العجائب والغرائب فإنه
 لا يكاد تجد أحداً من الولاة يعتقد فى فقير ولو أظهر له كرامة قال
 هذا ساحر فإن أعطاك الله ياأخى التصريف فى الظلمة ، فافتح باب
 الشفاعة عندهم وإلا فكف عن ذلك . والحمد لله رب العالمين .

(١٦٨) ومن أخلاقهم ، عدم المبادرة إلى تصريف المنكرين على
 أهل الطريق وعدم الخوض فى أعراض الفقراء بمجرد اشاعة النقائص
 عنهم فإذا قام على أحد من أخوانهم منكر فلا يصغون إلى شئ من
 كلامه فى حق أخيه ، بل يتربصون وينظرون فى أعمال أخيه
 الصالحة وأعمال المنكر عليه ، فكل من رأوه أكثر أعمالا وورعا وزهدا
 واحتمالا للأذى ، قدموه فى المحبة والتعظيم ، ولاشك أن أعمال القوم
 ولو نزلوا إلى أدنى المراتب اظهروا أكثر وأحسن من أعمال المنكر
 عليهم . ومن هنا قالوا : لم تزل الأشراف تبلى بالأطراف . انتهى .
 وما رأينا أحداً قط تظاهر بأنه من أهل الطريق يترك الصلاة أو يشرب

(١) فى الأصل (القرن) والتصحيح ليستقيم المعنى .

الخمر ولا يزنى ولا يتعاون فى الناس عند الظالمين ، ولا يزاحم على الدنيا ، وإنما هم على الدين والخير حتى لو أراد أحد أن يثبت فسقهم ، لما قدر على ذلك ، وغاية أمر المنكرين على الفقراء أن يرموهم بالأمور الباطلة كالرياء والكبر والحسد والغل ونحو ذلك ، وهذا أمر لا يطلع عليه غالبا إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد وكل ﷺ سرائر الخلق إلى الله تعالى بقوله فى حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وحسابهم على الله^(١)) . انتهى . فباب سده رسول ﷺ فلا يجوز لأحد أن يفتحه . فاعرض يا أخى هذا الخالق وما قبله على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٩) ومن أخلاقهم ، الاعتناء بالذب عن أهل الطريق ورد المنكرين عليهم بالأدلة الواردة فى الكتاب والسنة وإن كان المنكر معدودا من الجهال المأمور بالأعراض عنهم ولو أنه كان عالما لم يقع منه انكار ، بل كان يستدل بأفعالهم وأقوالهم بالكتاب والسنة ، كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنن والأخلاق ، والحمد لله رب العالمين .

(١٧٠) ومن أخلاقهم ، كثرة التعفف عن أموال الناس وأطمعتهم ظاهرا وباطنا لا سيما الولاة فإنهم إذا علموا من الفقير سقاة النفس ازدروه ، ولو كان له سبحة وعمامة صوف جعلوه من جملة النصابين فلا يقع له نفع لأحد من المسلمين على أيديهم فيحتاج الفقير الذى يشفع عند الولاة أن يكون أعف الناس أن طلب ليكون أكثر الناس شفاعا ، وأعلم يا أخى أن من علامة النصب المكشوف أن يهدى الفقير لذلك الأمير حلوة ماء ورد أو سكر ونحو ذلك ، لأن الأمير فى غنية عن مثل ذلك ، وأول ما ينظر الأمير معه هدية يفهم منه

(١) ذكر هذا الحديث عن أبى هريرة وهو متواتر والسيوطى فى الجامع الصغير مع تغيير

فى اللفظ .

أنه شحاذ ، وقولهم : «أجبروا بباطل الفقراء جبراً ونفاق» لأن الفقير الصادق لا يطلب جبر الخاطر من الولاة لأن مرتبته فوق ذلك ، بل الولاة هم الذين يطلبون منه جبر الخاطر بأطعامهم من طعامه لأن كل لقمة من الفقير تعادل في هذه الأيام ألف دينار ليلة الجلال المناسبت للفقراء الآن ، فما كل طعام يليق بهم الأكل منه ، وما كان لباس يليق لهم اللبس منه ، فإذا سمح لذلك الأمير بأن يأكل من طعام الفقراء ، فذلك غاية التبجيل والتعظيم ، ومن رأيتهم يرون الفقراء أعظم منهم درجة ، ويتبركون بالأكل من طعامهم ، أولاد بغداد فكل يوم يأكلون فيه عند فقير يعدونه يوم عيد عندهم ، ويقدمون طعام الفقراء على أبناء الدنيا ولو ملحا وعدسا وبسلة . فاسأل الله تعالى من فضله أن يسبغ النعمة عليهم في الدارين وأن يديم عليهم عمارة بيتهم بتولية خيارهم ويعطفهم على شرارهم آمين . انتهى . وهذا آخر الكتاب المسمى (بالكوكب الشاهق في الفرق بين المرید الصادق وغير الصادق) تأليف سيدنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدي الشيخ عبدالوهاب الشعراوي صاحب الكرامات والعلوم والمعاني رحمه الله آمين ورضي عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ووافق القراع من هذه (الكلمات)^(١) الشريفة المباركة المجلدة المعظمة صبيحة الجمعة خامس من شهر شهور سنة سبعة وثلاثين بعد ألف .

(١) وردت في الأصل مطبوعة .

تعليق على المخطوط

يبدو لنا من دراستنا لمخطوط الشعرائى أن تلك الأخلاق التى ذكرها هى أخلاق نادرة الوجود فى عالمنا المعاصر ، حيث أن الناس قد غلبتهم مطالب الحياة وحظوظ الدنيا فتغيرت أخلاقهم وتبدلت نفوسهم ، وكان هذه الأخلاق التى يحكى عنها الشعرائى هى أخلاق مثالية لا يمكن أن تكون لأحد من البشر .

لكننا لو تأملنا أخلاق الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، نجد هذه الأخلاق تاج على رؤوسهم فالإيثار سمة ملازمة لأشخاصهم ، والإحسان وصف لطباعهم ، والأخوة فى الله رابطة لعلاقاتهم ، والصبر فى الله وصف لسلوكهم ومجاهدة النفس رمز لحياتهم ، ومخالفة الهوى أساس فى طريقهم ، والتقوى رداً عنهم ، والنقاء والصفاء والإخلاص سبيلهم إلى الله ، والتفويض وإسقاط التدبير والتوكل على الله شرعتهم ومنهجهم إليه تعالى ، فالدنيا عندهم مزرعة الآخرة ، فلا ينظرون إليها إلا نظرة عابر سبيل يودعها عما قريب إلى ما هو أعظم وأبقى ، وهكذا نرى الإسلام قد ربي رجالاً عظماء هم قدوة للإنسانية ومفخرة لشرعة الله ، وأين هذه الأخلاق الكريمة والقيم العظيمة والمفاهيم النبيلة من أخلاقيات الأمم السالفة والحاضرة ...

إن أخلاق هذه الأمة الإسلامية هى النموذج الذى يجب أن يقتدى به الناس جميعاً . ففيها نجد الصلاح والنجاح والفلاح ، حيث أن هذه الأخلاق تستقى من أخلاق الله من رحمة وعفو وصفح جميل ، ومن المنبع الذى لا ينضب معينه ألا وهو سنة رسوله الأمين محمد ﷺ وما فى فكره وسلوكه وحياته من التواضع والطهارة والصفاء والنقاء .

إن اتهام المسلمين بالإفتقار إلى النظرية الحياتية قول مرفوض ودعوى زائفة ، وزعم باطل ، فاللمسلم منهجه وسلوكه وقيمه ومفاهيمه ونظرته الواضحة للحياة ، فليس هو الذى يأخذ عن غيره ، وإنما هـ الذى يعطى المفاهيم الرائدة التى تواكب الفطر السليمة وتوافق العقـ الرشيد وينزع إليها القلب السليم . ومن هذا المنطلق يبدو لنا منهـ المسلم الفريد فى تطبيقاته فى التربية والأخلاق والاقتصاد والتشريع .

فاللمسلم نظريته الحياتية فى الأخلاق وهى مستقاه من أخلاق أمـ بها الله سبحانه وتعالى ، وتلك الأخلاق تشتمل على الإيثار والإحساس والأخوه فى الله والأدب والطاعة والتقوى والورع والصدق والإخلاص وهذه المعانى مستقاه من شريعة الله وسنة رسوله ، فإذا قارنا النظرية الأخلاقية لوجدنا أنها تحقق للإنسان الكمالات الأخلاقية ، وترتفع با إلى قمم شامخة فى التحضر القلبى والسمو الإنسانى الذى لا يمكن أن نجد مثيلا لهذه النظرية الأخلاقية الحياتية فى أى من العقائد سواء القديم منها أو الحديث .

فخـرة المسلم الحياتية :

ذلك أن النظرية الأخلاقية للمسلم لم يضعها مشرع عاجز ، ولا عقل قاصر ، ولا قلب يشوبه الهوى ، فيميل ميلا ويجنح إلى الإفراط تارة وإلى التفريط تارة أخرى ، وإنما وضع هذه النظرية الأخلاقية رب العباد وفاطر السموات والأرض العالم الخبير بالنفس البشرية وما يصلح لها وما لا يصلح وما ينفعها فى دنياها وما يفسدها .

ومن هنا نجد أن النظرية الأخلاقية الإسلامية نظرية متوازنة فهى ميزان عدل وحكمة لا تنحرف يمينا ولا شمالا ، وإنما هى نظرية مستقيمة ليس فيها عسف ولا عنـ ولا إرهاب لمن يتبعها ويسير على

هداها ويعمل فى إخلاص وصدق بنصوصها وفصوصها وحكمتها ، وهذا ما يجعل المسلم فى أمن دائم واستقرار نفسى وصحة قلبية وعقلية .

والأخلاق الإسلامية ترتبط بالمعاملات كما ترتبط بالعبادات فاقتصاد الإنسان المسلم إنما هو اقتصاد مقرون بسلوكه الأخلاقى كما أن عبادته ليست طقوس وشعائر وممارسات شكلية أو مظهرية إنما هى تعبير عن الحياة الأخلاقية الإسلامية .

فالسلوك الإقتصادى والفرائض والتكاليف الشرعية كلها نابعة من نظرية أخلاقية تجعل ظاهر المسلم كباطنه فلا تناقض بين الأخلاق والمعاملات والعبادات كل فى قطار واحد مترابط منسجم بنضجه مع بعض ، وفى قمة هذا السلوك الرائد نجد أهل الله بهم الثلة السالكة الذين يقتدون بالرسول ﷺ فى تطبيقاته العملية لكلام الله ، فيتبعونه فى كل أمر وينتهون عما نهى عنه من أعمال وأعمال .

إذن فأخلاق الصوفية ليست شذوذا ولا إنحراف عن السنة الشريفة ، ولا ابتعاد عما هو فى كتاب الله من آيات بينات كما يظن بعض السطحيين والظاهريين والقشريين ، إنما هو ثمرة طيبة نتيجة لإتباعهم الدين القيم والشريعة السمحاء .

الصوفية والباطنية :

إن اتهام الصوفية بأنهم يرفعون التكاليف والفرائض الشرعية قول مردود ودعوى كاذبة ، فالصوفية يؤمنون بإيماننا راسخاً بأنه لا شريعة بلا حقيقة ولا حقيقة بلا شريعة ، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، فاعمال القلوب يجب أن ترتبط بأعمال الجوارح فلا تباين بينها ولا تناقض ولا انفصال وكل عضو من

أعضاء الجسم وظيفته التى يجب أن يؤديها فى معاملاته وعباداته وتكاليفه الشرعية ، كما أن عقل الإنسان ونفسه وقلبه جميعاً يجب أن تتكامل مع جوارحه بالتقرب إلى الله تعالى ، فإذا ما انفصلت أعمال الجوارح عن أعمال القلوب فسدت النفس والبدن جميعاً .

فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك أن الصوفية قوم خمول وتبطل وتكاسل وأنهم يدعون إلى رفع التكاليف الشرعية وهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الكريم .

ويبدو للمتأمل السليم القلب أن هناك اختلافاً بيناً بين أهل الحق الذين يتبعون شريعة الله وسنة رسوله ، وبين المبتدعة الذين يخالفون قول الله وسنة رسوله ، فيبتدعون أعمالاً وأفعالا من عند أنفسهم ، ويأولون كلام الله فيحرمون أشياء ويبيحون أشياء بحسب أهوائهم .

وهؤلاء ليسوا من الصوفية ، إنما هم دخلاء على أهل الله ، وهم من مرضى القلوب يزعمون أنهم من الصوفية وهم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان .

ومن هذه الفرق من يقولون أن القرآن ظاهر وباطن ، وأن ظاهره هو القشر وباطنه هو اللب وأن الجاهل هو الذى يأخذ بالقشر ، وأما اللبيب الفطن فهو الذى يأخذ باللب وبذلك يبيحون لأنفسهم الأقطار فى رمضان ورفع التكاليف الشرعية والإتيان بالفواحش .

ولقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي + ٥٠٥ هـ هذه الفرق وعددها وسماها بالباطنية أى الذين يهتمون بالباطن ، وينكرون الظاهر من العبادات ومازالت هذه الفرق التى ذكرها الغزالي تعشعش فى عقل الأمة الإسلامية وتروج لدعاويها البعيدة عن الحق والعدل وشريعة الله .

وقد يختلط على كثير من الناس أمر هؤلاء فيعتقدون أن هذه الفرق التى هى من المبتدعة هم أنفسهم الصوفية وبذلك يتهم الصوفية

بأنهم من المبتدعة حيث يخلط بين أهل الحق وأهل الباطن برغم وضوح مذهب الصوفية وثقاؤه وبعده عن الانحراف وتمسكه بشريعة الله وسنة رسوله .

الإسلام والمسلم :

وفى تصورنا أن الطاعن فى أهل الحق تزداد خصومته للصوفية لما يراه ويشاهده فى بعض الموالد والجلوات من أمور مستقبحة ينفر منها صاحب العقل الرشيد والنفس المستقيمة ، فقد تودى بعض الممارسات المستقبحة وتختلط النساء بالرجال فى تبرج وسفور ، ويدعى إلى تلك المجالس بعض السفلة من الناس فيدعون إلى الفواحش فتقترب الرذائل وتؤتى المستقبحات ويقوم الجهلة من الناس ببعض الممارسات البعيدة عن هدى الدين فيجعلون من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً ثم يزعمون فى آخر الأمر أن ذلك من الدين فيشوهون حقيقة الإسلام ويظهرون المسلمين على أن دينهم القيم يدعو إلى هذه الظاهرة اللاأخلاقية .

والحقيقة أنه يجب أن نفرق بين الشريعة الغراء والدين القيم وبين تلك الممارسات اللاأخلاقية التى يقوم بها بعض ادعياء الإسلام ، فهناك يورث شاسع بين الإسلام وحال المسلمين فى انتكاسهم واندحارهم وتكائبهم على الدنيا وإنحلالهم الأخلاقى . ويتوجب على الصادق الأمين أن يفرق بين من يتبع الدين ومن يتبع الأهواء والشهوات ، فإذا خلط بين حال المسلمين اليوم وبين منهج المسلم القويم فى حياته إذا خلط الإنسان بين هذا وذاك فإنه يصبح ظالماً لنفسه ولدينه الذى يدعو إلى القيم العليا والآداب السامية والمفاهيم الطيبة الصالحة .

إن أئمة الصوفية الذين جاهدوا فى سبيل الله فكراً وسلوكاً عملياً كانوا وما يزالوا هم حملة راية الإسلام فى المشرق والمغرب على

السواء يدعون إلى ربهم خوفاً وطمعا ، لا يتظاهرون ولا يتاجرون
بكتاب الله ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخشون إلا الله عز
وجل .

أنهم قوم آمنوا بالله فزادهم الله إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ،
يحملون بما يعلمون فوهبهم الله بفضله ومنته ، علم ما لا يعلمون وشرح
قلوبهم بأنواره وعطاءه وتجلياته وفتوحه ، وملأ قلوبهم بالأمن والطمأنينة
والسكينة والرضا بحضرة الله والرجاء في وعد الله والخوف من وعيده .
إن قوماً مثل هؤلاء لا يمكن أن يصدر عنهم إنحراف أو باطل أو
دعوى يدعوونها لأنفسهم ، إنما هم قد أسقطوا التدبير مع الله وفوضوا
أمرهم إليه تعالى وتوكلوا عليه بالكلية ، وخالفوا هوى نفوسهم
فاستقامت وسكنت واعتدل أمرها ، فكيف يقال أن هؤلاء أبتعدوا عن
حقيقة الدين وهم الساهرون على المحافظة على تعاليمه وأحكامه
وعباداته .

فلسفات الأخلاق المعاصرة :

إن الأخلاق الصوفية هي أخلاق جديدة بالإتباع ، ولقد جرب
العالم قديمه وحديثه فلسفات في الأخلاق مادية وحسية وتجريبية
وعقلية ، لكنه لم يستطع بهذه الفلسفات تحقيق التوازن النفسي
والوصول إلى الكمالات الأخلاقية ، إنما على العكس من ذلك تماماً
فقد ظلمت هذه الفلسفات الأخلاقية الإنسان في هذا العصر كما ظلمته
في كل عصر فبدلاً من أن تدعو إلى الإصلاح والإصلاح والاستقامة
تدعو الآن إلى السفور والتبرج والانحلال والزنا والربا والفسوق
والعصيان ، وقد أريد بهذه الفلسفات اللاأخلاقية الحرية الفوضوية ،
فتجعل من الخير شراً ومن الشر خيراً ، كما نجد ذلك واضحاً في

السوفسطائية الحديثة^(١) ومذاهب اللذة ودعوى النفعيين والحسين والتجريبيين الذين يريدون أن يطبقوا المناهج العلمية الحديثة على فلسفة الأخلاق ويغفلون ويتقائلون على أن الإنسان غير المادة والحيوان .

فالإنسان خلق في أحسن تقويم ، إنه يولد على الفطرة السليمة والفطرة السليمة هي أساس الدين ، والدين هو التوازن والقوامة والاعتدال والتناسب والتناسق بين الروح والبدن والقلب والعقل والظاهر والباطن والشريعة والحقيقة .

فإذا اتبع الإنسان فلسفات الأخلاق المادية أو التجريبية ، فإنه سيجد نفسه في آخر الأمر ضائعاً يائساً قنوطاً حيث أنها لا تحقق له الأمن والسكينة والطمأنينة إنما تتركه يصارع في بحر لجى عميق الأغوار فيضيع ضياعاً رخيصاً ويفقد دنياه وآخرته جميعاً .

أن الرجوع إلى الأخلاق الصوفية إنما هو رجوع إلى الأصل الذى يجب أن يتوخاه الإنسان فإذا ما أصبحت هذه الأخلاق فكره وسلوكه وقدرته فإنه لن يضيع أبداً لأنها تواكب الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

حضارة القلب :

ما أحوج المسلمون إلى تلك النظرية الصوفية الأخلاقية فى وقتنا الحاضر الذى غلبتهم فيه ماديات الحياة فأضاعت منهم عروة الإسلام الوثقى وبدأوا يقلدون كل ناعق ، ويسايرون كل فاسد ، ويوافقون أصحاب الأهواء والشهوات بدعوى أن الحضارة الغربية الحديثة هي القدوة التى يجب أن يقتدى بها الناس جميعاً ، ومن ثم فإن على المسلم أن يتبع أخلاقيات الغربيين حتى يمكن أن يعيش فى مجتمع متحضر

(١) السوفسطائية الحديثة هي الوجودية .

كما يعيش الغرب ، وهذا الإستغراب فى الفكر نتاج للقصور فى فهم الدين الإسلامى والعقم فى التفكير العقلى ذلك أن هناك فرق بين الحضارة المادية وحضارة القلب ، فالقلب المتحضر لا يمكن أن يأتى الفاحشة ولا يمكن أن تسيره المعاملات الربوية وتقوم علاقاته بين الناس على أساس المنفعة والمصلحة الذاتية .

إن القلب المتحضر هو الذى يؤثر غيره على نفسه وهو القلب السليم الذى لا ينافق ولا يرائى ولا يظهر غير ما يبطن ولا يفعل المستقبحات ، إنما هو قلب يشع حبا ونورا على الناس جميعا ويتعاون مع غيره من أجل الإصلاح والصلاح والسمو عن الدنيا والارتفاع بالنفس إلى الاستقامة والتوازن والاعتدال .

إن الصوفية هم أصحاب حضارة القلب بحق فيعملون على تطهير قلوبهم من الرجز والفسوق والعصيان ويدعون إلى الله بصدق وطهارة وإخلاص دون سلبية أو تبطل أو إنعزال ويسعون فى الأرض يجاهدون من أجل الرزق الحلال الطيب ، فإذا أنعم الله عليهم كانوا من الحامدين الشاكرين وإذا ابتلاهم كانوا من الصابرين الراضين .

أليست هذه هى الأخلاق التى يدعوننا إليها فاطر السموات والأرض ويوصينا باتباعها فى كتابه العزيز وسنة رسوله الأمين أنها أخلاق الله تعالى التى يرضى عنها ويحبها . «ومن أصدق من الله حديثا» .

الشيخ محمد رفيع كليب حجت :

إن هذه الدراسة التى قام بها الإمام الشعرانى لطوائف الصوفية فى مصر لتتأثر مما لا يدع مجالا للشك فيه أنه استخدم منهجا علميا سليما ، واستخلص منه نتائج محددة مما يستدعى على الدراسة الموضوعية التى هى أساس البحث العلمى الحديث ..

كما إستخدم الإمام الشعراني الدراسة المقارنة ، وعقد تلك المقارنة بين مجتمع الصوفية فى القرون السالفة على عصره باعتبارها الأصل ، وبين مجتمعه الذى يعيشه وهو القرن العاشر باعتبارها امتداد للأصل ، فظهر له بذلك مدى الإنحراف والتغير عن الأصل رغم وجود اتفاق فى الامار الخارجى أو الشكل .

والدراسات الانثربولوجية الحديثة عندما تدرس مجتمعا ما إنما تحاول أن تعتمد إلى مقارنة الأصل بالمجتمع الجديد الذى تمخض عنه . مع أظهار مدى التغير أو الإنحراف عن الأصل . وهذا فعلا ما فعله الشعراني فى دراسته للمجتمع الصوفى فى عصره .

والقد اعتمد الشعراني على الملاحظة المباشرة المتأنية وقد ساعده على ذلك فهم طبيعة المجتمع الصوفى وتفاعله معه واندماجه فيه وتعرفه لأوراده وممارساته الروحية وشعائره وطقوسه ، ثم أنه يستطيع أن يفهم معانى الصوفية ولغتهم ومصطلحاتهم وألفاظهم الذى يستخدمونها الأمر الذى ساعده على كشف طبيعة البناء والوظائف الإجتماعية لذلك المجتمع ...

النتائج التى خلص اليها الدكتوراسات الانثربولوجية الحديثة :

وتتفوق دراسة الشعراني على الدراسة الانثربولوجية الحديثة فى أنه استطاع أن يغوص فى أعماق المجتمع ولا يقتصر على دراسة الدينية والوظائف الاجتماعية فحسب .. ذلك لأنه تدارس المعامل الروحية وتأثيره على شخصية المريد فى الطريق الصوفى وهذا المعامل من الناحية ، على الباحث الانثربولوجى الحديث أن يدخله فى دراسته المجتمع محدود .

إذ أن هذا العامل شئ غير منظور وربما يتخفى عليه ولا يستطيع استبتيانه برغم استخدام أساليب البحث والتحصيل ..

إن العامل الروعى يعد من الأهمية بمكان ، إذ أنه بدونه لا يمكن أن يقال أن الدراسة المسحية قد استكملت أو أن الباحث قد وصل إلى نتائج محددة بالنسبة للفرض الذى وضعه والذى يود امتحان صدقه من كذبه فى دراسته للمجتمع المدروس ...

فدراسة الشعرائى للمجتمع الصوفى تعد بحق من الدراسات الانثربولوجية الرائدة فقد أضاف البعد الذوقى الذى تفتقر إليه الدراسات الحديثة ومن ثم استطاع أن يخرج بنظرية متكاملة تفسر الحياة فى ذلك المجتمع الصوفى .

والذوق يختلف عن النظر لأن المعرفة الذوقية أضافة إلى معارفنا المحدودة ، فيها يشرق العقل بالمفاهيم والمعانى التى تستفاق عليه عند بحثه مستخدما أدوات المعرفة الحسية والظنية . ذلك لأن الذوق نوع من الكشف لا يعتمد فيه الباحث فحسب على الرؤية البصرية أو السمعية أو اللمسية ، إنما يتجاوز ذلك إلى الرؤية القلبية أنه نوع من الالهام يفتح فيه الباحث آفاق جديدة كانت من قبل مستغلفة عليه .

المعرفة الذوقية :

فالمعرفة الذوقية تختلف عن علوم النظر ذلك لأن الأخيرة علوم كسبية علوم يتحصل عليها بالمجاهدة أما الذوقية فانها أنوار تقذف على القلب العبد فتصبح علما . ويمكن تقسيم مراتب العلوم بهذا المعنى إلى مراتب ثلاثة .

العلم الأول : علم العقل : وهو كل علم يتحصل عليه بطريق الضرورة إذ هو نتيجة نظر ، ويحث دليل بشرط الحصول على برهان وهذا العلم منه صادق وكاذب ، بل منه صحيح وفاسد .

العلم الثاني : علم الأحوال : ولا سبيل إلى الوصول إليه إلا ذوقاً ولا يتحصل عليه عن طريق العقل فلا يقدر عاقل أن يجده أو يقيم دليلاً على معرفته وهذه المعارف من المحال يعلمها أحد إلا إذا كان يتصف بها أو يتذوقها ..

العلم الثالث : علم الأسرار : وهو العلم الذي يتجاوز طور العقل وهو نفث روحاني ويختص به الأنبياء والعلماء من الصالحين .

لذلك فإن الباحث إذا كان مريداً صادقاً لله . فإن سلاحه في المعرفة يكون هو الذوق بالإضافة إلى الحس والعقل وهنا يكشف ويشاهد ويراقب بالذوق أو البصيرة ما يعجز عنه بالفكر والعقل ...

ويرتبط الذوق بالإيمان لأن الإيمان هو الذي يجمع المريد الصادق إلى الله وبالله .. فمن وافق الله فهو المؤمن الموحد . وأما من وافق الأشياء مزقته الأهواء .

لذلك فإننا نجد أن الشعراني استخدم في دراسته للمجتمع الصوفي في عصره أدوات ووسائل تعز على أكثر الباحثين الذين يهتمون بالدراسات الانثروبولوجية الحديثة واشترط أن تكون من صفات الباحث فكون الباحث ، مثقفاً ودارساً ومتفهماً للمجتمع المدرس وعارفاً بلغته ومستخدماً الموضوعية العلمية والإحصاء والإستقراء والقياس .. كل هذه الأدوات في رأيه غير كافية للباحث لتفهم المجتمع المدرس وستظل النتائج التي يصل إليها أى باحث من هذا الطراز عاجزة تماماً عن فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية ومن ثم طبيعة المجتمع المدرسي .

أن إضافة الأبعاد الاجتماعية والبيئية للدراسات النفسية

أن إضافة المعامل الروحية في الدراسات الانثروبولوجية - كما سبق الإشارة - يعطى لهذه الدراسات بعداً جديداً تفتقر إليه دراساتها للمجتمعات النامية والمتخلفة واليسيلة .

ويستحيل على الباحث أن يتفهم الممارسات والطقوس والشعائر والأخلاق والمفاهيم والقيم التي يستكشفها في المجتمع المدروس إلا من خلال علمه الدقيق وهذا العلم هو موهبة وأستعداد لا يحظى به غير المؤمنين إذ أنه فرع من الكشف والبحيرة التي يمكن أن تنفذ من خلال الحجب فتتفهم ما لا يمكن تفهمه عن طريق التحليل والاستدلال والاستقراء والقياس .

وليس معنى ذلك أننا ننكر استخدام علوم الفلك للكشف عن المثل والمطلوبات والأسباب والمسببات القريبة ، أو استخدام الأفيصة والاستنباطات والاستدلال العقلي إذ أنها معارف ضرورية للباحث إذ أنه بدونها يعد جاهلاً لا يستطيع أن يدرك الأفعال والأعمال أو يحكم على ما يراه أو يشاهده أو يلمسه : كما أنه لا يمكن أن نقول أنه يكفي الباحث علوم الفلك في الدراسات الانثروبولوجية ذلك لأنه إذا تم الإسترشاد بها فإنها لن تكون كافية للوصول إلى نظرية متكاملة تفهم الحياة في المجتمع المدروس .

يفترضني البعض إذن الاستعانة بالمنهج الدقيق بالإضافة إلى علوم الفلك حتى يتكامل البحث ويصبح الدراسة أكثر فاعلية وإيجابية وأقرب إلى الحق منها إلى الباطل .

وهذا ما فعله البهوانى في دراسة المجتمع الصوفي المذكور فقد استخدم الملاحظة المباشرة وغير المباشرة بالإضافة إلى الدراسة العقلية - ثم تاملت طريقة تفكير الباحثين التي يصدر عن هذا المنهج من

ذلك أن هذا هو السلوك ويتطابق مع السلوك في المجتمع الأسمى
أي أنه يتصرف به. وفيما سبب ذلك الانحراف والتغير إن وجد .

الفرق بين الأسمى والافتقار :

ويستخلص الشمراني في نهاية الأمر نتائج للبحث ويصم الآسباب
التي أدت إلى هذا التغير عن الأصل ، وما هي الوسائل العلاجية التي
أن تُعين ذلك المجتمع للتخلص من الآفات والعيوب والنقائص ، ويحدد
بين ثانياً هذا البحث تلك العلاجات ، فيبين أن أهمها وأولها هو التقيد
بالحكم الشرعية والسنة واتباع القدوة الممثلة في شخصية الرسول ﷺ
والصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

ويبين أن سبب الخروج والانحراف عن الأصل إنما راجع لاتباع
الهوى والآثرة وحب المدح والتفاخر والرضا عن النفس والاهمال في
الفرائض والتكاليف الشرعية ، وبين أن من أكبر الآفات النفسية التي
تتفعل في المجتمع المدروس هو الرياء وهو الشرك الخفي الذي هو
الطريق المؤدى إلى فساد النفس ومطلبها وتلفها ومن ثم يوصل الإنسان
إذا لم يصلح نفسه إلى الشرك الأكبر أو الإلحاد .

فالشمراني وضع فرضاً علمياً قبل دراسته ، حاول امتحانه عن
طريق الدراسة المسحية الدوقية ومؤداه أن مريدى عصره قد ابتعدوا
عن الأخلاق القويمة التي كانت عند السلف الصالح من الصوفية .
وانتهى إلى إثبات صحة هذا الفرض بعد إقامة البراهين والأدلة
الداعمة عن طريق التمثيل بما لاحظته وشاهده من العينات الممثلة
التي جمعها وهي أكثر من مائة مريد في الطريق الصوفي ، ثم بين
بعد الدراسة المستفيضة لهم أنهم قد ابتعدوا عن الأصل أو مجتمع
أهل السلف من الصوفية وهذا ما دعاه إلى إثبات صحة الفرض الذي

وبين الإمام الشعرائي أسباب هذا الخال أو الانحراف ثم وضع التوصيات اللازمة لإصلاح المجتمع المدروس ، وبين أنه إذا لم يؤخذ بتوصياته فسيكتب لهذا المجتمع الارتكاس والاندحار على مر السنين .

أهمية البحث في طائفة الإسلاميين :

أن هذه الدراسة نحن أحرص إلى مثيلاتها في مجتمعنا المعاصر ، يمكن أن تستكشف النقائص والعيوب والآفات التي تستغل على الكثير من الباحثين ، فلا يهتموا بإبرازها بوعي أو بغير وعي ، وإذا ما تم لنا ذلك فإننا نكون قد وضعنا أيدينا على الداء وبعدها يسهل علينا العلاج .

لقد سبق الشعرائي عصره بأكثر من خمسة قرون عندما قام بهذه الدراسة العظيمة ، ونحن نعرضها للمتخصصين ليعرفوا أن المسلمين قد أنتجوا علوماً رائدة في مجال الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها وقد سبقت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة وتميزت عليها بتقديم منهج يتفوق على مناهجها ويقدم حلولاً أكمل لقضايا المجتمعات ومشاكلها الاجتماعية .

ولاشك أنه إذا رجع الباحثون إلى تراثنا الإسلامي فإنهم سيجدون ما يشفى غليلهم العلمي ووشبع نفوسهم وقلوبهم وعقولهم من تلك الموارد من ذلك النبع الفياض الذي لا ينضب أبداً .

إننا ندعو الباحثين والمتخصصين من علماء الأنثروبولوجيا الحديثة إلى الرجوع إلى تلك المخطوطات العربية التي تدرج بها المكتبة الإسلامية للكشف عن كنوزها وإنتقاء فصوصها النادرة وعمل الدراسات المقارنة بين ما وصل إليه العرب في عصورهم الحضارية الزاهرة وبين ما توصل إليه العلماء الغربيون من نتائج في دراستهم العلوم الحياتية .

وسيجد الباحث مما لاشك فيه ثراء المكتبة العربية القديمة وسيعجب عندما يكتشف أن العرب هم رواد بلا مذارع في العلوم الحياتية كما هم رواد أيضا في العلوم التطبيقية والعملية .

لقد عشنا بين ثنايا هذا الكتاب الرائع لتتعرف على أخلاق الصفة من المسلمين الذين اتخذوا من القرآن الكريم شرعتهم ومنهجهم ومن سنة وأخلاق رسول الله قدوتهم في الفكر والسلوك والحياة .

ولا عجب إذا تبرزت تلك الأخلاق في العالم كله قديمه وحديثه ، ففيها شفاء للقلوب العلية ، وإرشاد للنفوس الظائمة لمعرفة الحق والحقيقة ..

ولقد اتسمت أخلاق الصوفية بعدد من الكمالات الإنسانية التي يهفو للوصول إليها كل قلب سليم وعقل رشيد ونفس نقية تقية ورعة ..

ومن العلامات الدالة على صدق أخلاقيات الصوفية ، أنها لا تهتم كثيراً بالألفاظ التي قد تبدو لامعة براق ، إنما تركز هذه الأخلاق على السلوك والعمل ، ومن هنا كانت معانيهم تقض استار الحجب ، وتنفذ إلى شغاف القلب فيتملك المستجيب الأنس والأمن والطمأنينة .

وتلك الكلمات الصادقة لا تحتاج إلى الكثير من التأويل والتفسير والشروح فهي تنفذ إلى القلب في يسر وسهولة بلا تكلف وافتعال فتصبح نورا يضيئ جنبات القلب الخامئ إلى النور .

وتعديد الشعراني لأخلاق الصوفية إنما هو تذكرة لكل قلب مؤمن حتى لا يغفل ولا ينسى .. فإن من طبيعة النفس الإنسانية ما لم تتعهد بالذكر الدائم والاستعاذة من الشيطان ، التكاثر عن الواجبات والمطالبة بالحقوق ، ومن ثم تطبع ببعض الآفات الضارة والأمراض المزمنة التي تسبب لها الارتكاس والسقوط إلى الهاوية .

الأخلاق واضدادها :

لذلك رسم الشعراى لنا الأخلاق الفاضلة واضدادها ، ليبين للمريد مقامه فيعرف أين هو فى طريق الله ، فلا تغشيه نفسه ، ولا يضيع حياته وهو يظن أنه فى خير وهو هالك فى الضلال .. ومن ناسية يتكشف المريد الصادق من خلال عرض الشعراى لأخلاق الصوفية وبين أن من صدق طريقه فيشكر الله على ذلك ويزداد تمسكا بتلك الأخلاق ولا يجد أفضل منها طريقا ...

أن المؤمن يحتاج دوما إلى التثبيت فى المقام ولا يتمكن من ذلك حقا إلا إذا وجد نفسه يقتدى علما وعملا برسول الله ﷺ وبالصحابية والأئمة التابعين . ومعرفة ذلك الحال مما يزيد المؤمن ثباتا والمريد الصادق رسوخا و يقينا .

وأما المريد الذى يزعم لنفسه الصلاح وما زالت نفسه تبحث عن العلائق والخلووظ ، فإنه من دراسته لتلكم الأخلاق يستطيع أن يستكشف باطنه ، ومن ثم يحاول أن يتجنب العيوب والنقائص التى تضيق دايه حاله ، ويخالف هوى نفسه الذى «سبب اقباله على اشباكات النفس والمطالب والحاجات التى لا تشيع .. وبهذا يمكن أن يتخلص تماما من أقاته واسقامه ويصلح ما اعوج من أمره يمتثل إلى أمر ربه .

ولذلك شى أن مصارحة النفس بعيوبها وأقاتها واسقامها والتعرف على نقائصها وأمراضها هو الباب الموصول إلى إصلاح أمرها من العطب والآفات والخسرات ..

ذلك لأن المريد أن لم يصارح نفسه ويصدق معها ويراقبها فى جميع أمورها ، فإنه لن يتعرف على حقيقة ما خفى عليه من أمرها ، ويصير بعيدا عن الله ويظن القرية منه تعالى رياء وكذبا ..

آفة الرياء :

فالرياء يدخل إلى النفس مثل دبيب النمل ، وربما لا يشعر الإنسان بدخول الرياء إلى القلب ، وحيث لم يتعهد نفسه بالمراقبة والمحاسبة ، إنما يستحس أفعالها ويرضى عنها ويتملكه الغرور فيجاهر بعلمه الواسع ، وعمله الخير ، دون أن يظن أنه يفعل ذلك رياء ونفاقا ...

والمنافق يظهر أشياء ويخفى أشياء ، فيظهر غير ما يبطن ويعيش فى أكلوبة ظانا أنه يخدع الناس والحقيقة أنه يخدع نفسه فهو خادع مخدوع ...

لذلك فإن الأخلاق الصوفية تركز على كشف المريد غير الصادق الذى خدعته نفسه فيظن بها الخير وهى تضمحل له الشر ، وأن فى كشف خداعها وحيلها وكذبها وتملقها ونفاقها ، الطريق الذى يعاون على فضح أمرها واستجلاء بواعثها وإظهار عيوبها ، الأمر الذى يعين الإنسان للرجوع إلى الحق والهداية والرشاد .

وبعض الصوفية يقول : إذا أردت أن تعرف مقامك فاعرف أين سبحانه وتعالى أقامك .

ومعنى ذلك أنه عليك أيها المريد أن تستكشف دخيلة نفسك ، وتتعرف على صدقها من كذبها ، فإن وجدتتها تميل إلى الدنيا وشهواتها وأهوائها وحظوظها ، فاعلم أنك بعيد عن الله ، وإن ظننت القرب منه تعالى ، مردود وأن ظننت القبول . وأن وجدت أيها المريد نفسك طائعة لله ، متوكلة عليه بالكلية ، مسترسلة معه فى كل أمر ونهى ، مسقطة للتدبير مفوضة الأمر لله تعالى ، صابرة على المحبوب والمكروه ، راضية بقضاء الله عاملة عابدة فى سبيله ، فاعلم أيها المريد أن الله تعالى يحبك ويرضى عنك ، وقد ثبت قلبك على الإيمان .. فاشكر الله وأحمده على مننه وعطاياه . فإنك قد أغلقت باب الذل ودخلت باب المزن .. وكفى بالله معينا ونصيرا .

إن الصوفية أساتذة كبار فى علم السلوك فهم يعطون للمريد مفاتيح للدخول إلى أبواب النفس المفلقة فيستجليها ، ويتعرف على ما بداخلها ويحاول تطهيرها . مما قد ألم بها من آفات وأدران وعيوب .

ولا نجد فى علم النفس الحديث بجميع مدارس ما يروى غليلنا فى الكشف عن أسرار النفس ، بل ربما يتدارس الطالب المدارس النفسية الحديثة ويتعمق فى أبوابها وفصولها ثم يخرج بعد ذلك مهموما محصوراً ، لا يعرف حقيقة نفسه ، فكيف يستطيع أن يتعرف على سلوك غيره ، ويكتشف اسقام وأمراض الآخرين فإن فاقده الشئ لا يعطيه .

أما الصوفية فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ففتح عليهم بمننه وعطاياه أبواب عظيمة فى المعرفة كشفت لهم عن مخبئات النفس البشرية فشخصوا أمراضها وعالجوها علاج العالم العارف لا علاج الجاهل المدعى .

إن التصوف كمنهج من مناهج الدراسات النفسية أولى بأن يجد طريقه فى هذا العصر الذى تناقضت فيه النظريات النفسية ، وأصبحت أساليب العلاجات المختلفة لا تفيد قليلاً أو كثيراً مرضى النفوس . لذلك فإن علينا أن نجرب ذلك المنهج الذى اتبعه الصوفية فى علاج أمراض النفس لننتعرف إلى أى مدى يتفوق على المناهج النفسية الوضعية فى التطبيق والعلاج .

فقد جربنا مئات من الطرق العلاجية حتى الآن ولا نستطيع أن نقول أن أحداها قد نجح فى الوصول إلى تماثل المرضى للشفاء . فلماذا لا نجرب هذا المنهج المجرب والذى نعتقد أنه أسلوب ناجح فى العلاج فهو مأخوذ من الطب النفسى النبوى الذى علمه الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ومن أصدق من الله حديثاً .

صنيع الشعرائى الأخلاقى :

إن الشعرائى فى دراسته وضع نصب عينيه أن يجعل من أخلاق الرسول ﷺ ومسابقته والتابعين القدوة المباركة التى يجب أن يقتدى بها كل سالك للطريق .

ومن هذا المنطلق يضع الشعرائى العينات التى جمعها من طوائف الصوفية على ميزان الشريعة ليمتحن به صدق المريد أو عدم صدقه ، ومن خلال ذلك المنظار الدقيق يتفحص تلك العينات التى حللها ليرى إلى أى حد ابتعدت عن الأصل ، وجنحت عن الصواب ، وتظاهرت بزى الشريعة وخرجت عن الحقيقة ، وهى بعيدة كل البعد عن حقيقة الدين .

إن هذه النظرة الفاحصة لأخلاقيات مريدى عصره ، لتبين بصورة لا مراء فيها أن الشعرائى قد نجح فى إستبار ما شملته الدراسة ، وخاص فى أغوار النفوس البشرية ليتعرف على معادنها الخسيس منها والثمين .

والشعرائى لم يقف موقف المتعالي لينظر من عل إلى الذين يخطئون ويقعون فى المثالب والآفات ، بل نجده يتهم نفسه أولاً بأنه من الجائر أن يقع فيما وقع فيه المريد من أمراض وآفات ، ويبين لنا كيف استطاع بممارساته السابقة أن يتخلص من تلك الآفات ، أنه لا يريد أن يفتش عن عيوب المريدين ليكشفها للناس ، إنما هو يريد على الحقيقة أن يشخص الأدواء ، ويوضح الطرق العلاجية التى تعالج بها هذه الأمراض وتلك الأسقام ، فإذا ذكر العيوب والآفات التى يستط فيها بعض المريدين فإنه يبادر فى الوقت نفسه بإيضاح الفرق بين هذه الأخلاقيات وبين ما درج عليه السلف الصالح من كمالات ، ثم يأخذ بيد المريد ليقتدى بالأئمة الصالحين الذين هم صفوة الناس فى التقيد بالكتاب والسنة .

وهذا المنهج الذى إتبعه الإمام الشعرانى وجمع فيه بين التحليل والوصف والتاريخ لأئمة الصوفية هو منهج متكامل حقا ، حيث يشعر الإنسان فى غمرة تدارسه أنه يخاطبه وحده وأنه يقصده بهذا الحوار النفسى .

وما من شك أن كل من قرأ كلام الشعرانى يشعر أنه يشخص له علله ، وأوجاعه ، وأنه يقدم له الدواء الناجع الذى يظفر بواسطته بالأمن والسكينة ، وينجو من الهم والغم والكروب التى تحاصره ، ويدفع عنه بعيدا حب المدح والرياء الذى يهدد حياته النفسية .

إن الشعرانى يعد بحق من هذه الناحية الطبيب النفسى الذى يعالج القلوب ، قلوب المرضى .. بلا مبضع يقطع به الأشياء ويدمى به الأفئدة ، وإنما هى سنة استلهمها من الرسول ﷺ فى معالجته للقلوب المريضة وهى استخدام معامل الحب والصفح الجميل والإيثار والأخوة فى الله ، والبعاد عن الحسد والحقد والعجب والافتقار والفتنة والشر والطمع والجشع وحب المال والأنانية والنفاق .

إن هذه الآفات النفسية التى يمكن أن يصاب بها المرید هى كما يسمونها لذا الشعرانى الأسباب المباشرة التى تحيل بين العبد وبين الوصول إلى التوازن النفسى والصحة القلبية ولن يتسنى له أن يصل إلى الأمن والطمأنينة والسكينة التى ينشدها كل إنسان إلا إذا عود نفسه على الأخلاق النبيلة ، وتطبع بالإيثار بدلا من الأثرة وحب الذات ، وبالإحسان بدلا من الشره والحرص والشح والبخل ، وبالصبر على الإبتلاءات بدلا من الجرى وراء الشهوات والأهواء ، والتوكل على الله بدلا من التدبير والاعتراض والتحدى واللوم لله على ما ابتلاه من محن ومصائب وامتحانات ، وبالإخلاص فى العلم والعمل بدلا من النفاق والرياء وطلب الرياسات وحب المدح والإمتنان بالنفس والرضا عنها .

ويركز الشعراى على أن الطريق الواضح الذى يوصل إلى هذه الأخلاقيات إنما يتعدى إلى الحقيقة فى مخالفة النفس ، فالنفس لا تصدق والقلب لا يخذب ، وكلما أراد الإنسان أن يضيح مطالب نفسه ، ويلبى حاجاته المتزايدة ، ومطالبه التى لا تتوقف عند حدود كلما انشغل بحفظ الدنيا وأصبحت كل همه ، فحجب عن الحق تعالى ، فمن انشغل بالخلق حجب عن الحق ، ومن انشغل بالحق حجب عن الخلق والدنيا جميعا .

فالشعرانى يريد أن يوجه النفس الإنسانية بطريقة مقنعة إلى أنه لا سبيل إلى تحقيق الأمن والسكينة النفسية إلا بالالتجاء إلى الله والعمل بما شرعه ، والنهى عما نهى عنه ، وفى اتباع السنة الشريفة ينجو الإنسان من جميع الأمراض النفسية ، فيتواضع لله بعد أن كان مغترا بنفسه ، ويطيع الحق تعالى بعد أن كان يطيع الشيطان ، ويهدى إلى الحق بعد أن كان ظالما لنفسه عدوا لغيره وربيه جميعا .

إن السكينة النفسية هى منتهى غاية السالكين إلى الله والتجربة الذوقية الصوفية تشهد بأن أعظم النعم التى يمكن أن يحظى بها الصوفى إنما هى لذات ونعم ومبشرات وفراسات وإشراقات ومن وعطايا وتجليات وفترحات وكشوفات كلها تشهد أنها لن تتحقق إلا بسكينة القلب وطمأنينة النفس والقربى من الله تعالى .

وخلاصة القول أن الشعراى يختلف فى دراسته المسحية كثيراً فيما يتعلق بالوسائل التى استخدمها والنتائج التى توصل إليها فى دراسته لمجتمع محدود وهو مجتمع الصوفية فى عصره ، وفى مصر بالذات ، وفى القاهرة على جهة التخصيص ولما من مريد عصره كميونات ممثلة للدين الصوفى .

يختلف الشعراى فى دراسته المسحية عن الطرق المستخدمة عند الأنثروبولوجيين المحدثين فى أنه لم يقرر الواقع ويتفحصه فحسب ، ولم يعتمد على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة فى مرحلة جمع البيانات فقط ، وإنما قام بعملية هضم لهذا المجتمع المدروس وطبقه على الأصول التى استقى منها هؤلاء الصوفية سلوكهم ، ثم عمد إلى إظهار الفروق الواضحة بين الأصول وبين المجتمع المدروس وأظهر بصورة مدعمة بالأدلة والقرائن مدى بُعد وجنوح هؤلاء الذين درسهم عن الأئمة السابقين من السلف الصالح .

وبذلك ظهرت لنا من هذه المقارنات فى كل دراسة بصفة من صفاتهم ، نتائج فورية توضح هذه الفروق توضيحا تاما لا أبس فيه ولا غموض ، وهذا لا يحدث فى الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة التى تعرض الممارسات والطقوس والشعائر والتقاليد والعادات والدين والأخلاق فى المجتمعات التى تدرسها إذ انها تهتم برصد العلاقات بين الأفراد وتعمل على تحليلها لتصل إلى نظرية فى آخر الأمر تفسر الحياة فى مجتمع مدروس وتستهدف من ذلك ليس إصلاح هذا المجتمع بقدر ما تستهدف دراسة الانساق والأبنية الإجتماعية قبل أن يندثر ذلك المجتمع ، عندما يداهم التغير الإجتماعى ويفقد سماته الأصلية ، بغزو الحضارة الحديثة . وهى تفترض فى دراسات المجتمع محدود ، تفترض فرضا تحاول امتحانه ، وهذا ما سبق إليه الإمام الشعراى فى دراسته المجتمع الصوفية فى عصره ، فلقد أشار فى مقدمته إلى أنه قد عمد إلى هذه الدراسة واضعا فرضا مؤداه أن المريدين قبل عصره هم فى منزلة مشايخ عصره ، وإن مشايخ عصره فى منزلة المريدين قبل عصره ، وهو بذلك يريد أن يقول أن هناك حالة تغليب للمريدين فى الطريق الصوفى وأنهم ابتعدوا عن الأصل وحاول امتحان ذلك الفرض بطريقة عملية مستعينا بعينات من مريدى عصره ،

ومقارنا بينهم وبين المريدين فى العصور السابقة ، وكما سبق الإشارة فقد أظهرت النتائج التى عددها الإمام الشعرانى فى أكثر من مائتى نتيجة أن هناك اختلافا بين الأصل الذى يعتبر المجموعة الضابطة للطريق الصوفى ، وأن هناك جنوحا عن تطبيق قواعد وأخلاقيات الصوفية فى عصره تحتاج فعلا إلى علاج سريع ، وقد وصف لنا الداء والدواء وبذلك تعتبر دراسة الشعرانى دراسة متكاملة استخدم فيها جميع المقاييس العلمية والأدوات التى يحتاج إليها كل باحث مدقق فى مجال علم الإنسان الاجتماعى ، بالإضافة إلى استباره للمعامل الروحية التى تفتقر إليه الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة ، والذى هو من الأهمية بمكان بحيث أن لم يفصح عنه فإن الدراسة تكون بدونها ناقصة ومشوهة لا تفسر حقيقة المجتمع المدروس ولا تكشف عن واقعه ومنهجه الحياتى ونظريته الاجتماعية .



الفهارس

- ١ - فهرست الأعلام حسب الترتيب الأبجدي .
- ٢ - نبذة عن سيرة الأعلام الواردة بالمخطوط .
- ٣ - فهرست الموضوعات حسب ترتيبها في الكتاب .

فهرست الأعلام

فهرست الأعلام

الاسم	رقم الصفحة
(أ)	
إبراهيم بن أدهم	١٥٦
إبراهيم الدسوقي القرشي	٣٤
إبراهيم المتبولي	٨٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٨
أبو الحسن الشاذلي	٢٧ ، ٦٧
أبو السعود بن شبيل	١٩
أبو بكر الشبلي	٦٦ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦٠
أبو حفص النيسابوري	١٨٣
أبوذر الغفاري	١٥٣
أبو القاسم الجنيد	١٦٠ ، ١٨٣
أبو مدين المغربي	٥٣ ، ١٣٦
أبو يزيد البسطامي	١٠١ ، ١٤٠
أحمد البدوي	٣٤
أحمد الرفاعي	٢٦ ، ٢٧ ، ٣٤
الحسن البصري	١٥٧
الفضيل بن عياض	٧٥
أنس بن مالك	١٥٠
أويس القرني	١٢٣

رقم الصفحة	الاسم
(ب)	
١٥٣	بشر الحافى
(ح)	
٨٩	حبیب العجمی
٦٢	حسن العراقى
(س)	
١٦٩	سفيان الثوري
٧٨	سرى السقطى
(ع)	
١٥٥ ، ١٥٣	عبد العزيز الديرينى
١٢٣ ، ١١٩ ، ٣٣	عبد القادر الجيلانى
١٥٥ ، ١٥٣	عبد الله المنوفى
١٥٣	عتبة الغلام
٧٤	عطاء السلمى
٧٢ ، ٦٦ ، ٥٩ ، ٣٧ ، ٧٢	على الخواص
٧٩ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،	
١١٩ ، ١٢٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،	
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،	
١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،	
١٦٧	على النبتيتى الضرير
٢٢ ، ٦٣	على نور الدين المرصقى

رقم الصفحة	الاسم
(م)	
٨٢ ، ٨٧	مالك بن دينار
١٦٢ ، ٦٣	محمد بن أخت مدين
٦٢	محمد بن عنان
٤١	محمد السروى
٨٣	محمد الشربيني
١٦٣ ، ١٠٥ ، ١٠٣ ، ٤١	محمد الشناوى
١١٥ ، ٥٣	محمد الغمرى
١١٩ ، ١١٦ ، ٩٩ ، ٦٤	محي الدين بن عربى
١٨٨ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٢٢	
١٢٨	نورالدين الشوفى
(ى)	
١٧٤ ، ١٤٣ ، ١٣٠ ، ٥٣	يوسف العجمى الكورانى

فهرست الأعلام

إبراهيم بن أدهم

هو شيخ الصوفية أبو اسحق إبراهيم بن أدهم من أبناء الملوك والأغنياء ، خرج مرة للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته ، فاتبع طريق أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة ، وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض .

ذكر عنه السلمي في طبقاته قوله : «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه» .

وذكر المناوي في الكواكب الدرية قوله «لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب لجالدونا عليه بالسيوف» وقال : «طلبوا الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم» توفي رضى الله عنه سنة ١٦٢ هـ .

إبراهيم الدسوقي القرشي

يقول عنه الشعرائي : هو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق ، صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ، ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة وأحوال خارقة .

كان رضى الله عنه يقول : يجب على المرید أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه ، إن كان جسمه حاضرا ، وإن كان شائبا يستأذنه بالقلب ، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حق ربه عز وجل ، فإن الشيخ إذا رأى المرید يراعيه هذه المراجعة ، رباه بلطيف

الشراب ، ولا حظاً بالسر المعنوي الإلهي في إسعاد من أحسن الأدب مع مربيه ، ويا شقاوة من أساء . وكان يقول : «من لم يكن متشرباً متحققاً نظيفاً عفيفاً فليس من أولادى ولو كان ابنى لصلى ، وكل من كان من المريدين ملازماً للشرعية والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو وادى وإن كان من أقصى البلاد» وقيل له مرة ما تريد ؟ فقال : ما أراد الله عز وجل . توفى رضى الله عنه سنة ٦٧٦هـ .

إبراهيم المتبولى

من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ .

وكان رضى الله عنه يلبس الصوف ويتعمم به ، وإذا جاءه جبة أو جوخة مثدنة يتحزم عليها بحبل ، ويعزق الغيط وهو لا يلبسها ويقول : ليس لللباس الدنيا قيمة ، وكان إذا فارقه أحد مريديه وذهب إلى أصحاب الخلوات والرياضات يهجره . ويقول له : يا ولدى أنا أريد أن أجعلك رجلاً وأنت تريد أن تصير كالبومة العدياء لا تنفع أحداً ، وكان يعارض السلطان قايتباى فى الأمور ، حتى قال له : يوما إما أنا فى مصر أو أنت ، فخرج فتوجه إلى القدس ، ومات رضى الله عنه هناك على ما يذكر الشعرانى فى طبقاته سنة نيف وثمانين وثمانمائة .

أبو الحسن الشاذلى

شيخ الطائفة الشاذلية على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى ومن أقوائه : إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك أن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة .

وقوله : إذ جاذبتك هواتف الحق فأياك تتشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبية وتردها فتكون من الجاهلين ، وأحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل . وكان يقول : إذا أردت أن تكون مرتبطا بالحق من نفسك فاخرج عن حواك وقوتك . توفي رضى الله عنه سنة ٦٥٦ هـ .

أبو السعود بن شبلى

من أجل تلاميذ الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، قال عنه السهروردى : كان أبو السعود رضى الله عنه من أرباب الأحوال السنية ، والواقعين فى الأشياء مع فعل الله ، متمكناً فى حاله ، تاركاً لاختياره ، سبق كثير من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار ، شاهدنا منه أحوالاً صحيحة عن قوة وتمكين .

ومن كلامه : لله قوم يتكلمون على خاطر وماهم مع خاطر ، يعنى يجرى الله على لسانهم ما هو الحاضر عليه من الحال فيقول من سمعه قد تكلم الشيخ على خاطرى والشيخ ليس معه حتى لو قيل له ما فى ضمير هذا الشخص لا يعرفه .

قال فيه ابن عربى رضى الله عنه أنه أعلا مقاما من شيوخه الجيلى إمام وقته حينئذ بالعراق .

أبو بكر الشبلى

هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى ، خراسانى الأصل ، بغدادى المولد تاب فى مجلس خير النساء ، وصحب الجنيد ، وكان عالما فقيها على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث ورواه ، من كلامه حين سئل عن الوفاء « هو الإخلاص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق » .

وقال عن التصوف : هو ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك .
التصوف : التألف والتعاطف .

ويسئل متى يكون الرجل مريدا ؟ فقال : إذا استوت حاله في
السفر والحضر ، والمشهد والمغيب .
توفي رحمه الله على ما يورد السلمى سنة ٣٣٤هـ .

أبو حفص النيسابورى

هو أبو حفص عمر بن سلمه ، وقيل بن سلم والأول أصح وهو من
أهل قرية قريبة من نيسابور .

كان أحد الأئمة والسادة ، وانتمى إليه شاه بن شجاع الكرامانى
وأبو عثمان سعيد بن اسماعيل ، وكان دائم الذكر لله ، وما يذكره إلا
على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة وكان يتغير عليه الحال ، حتى
كان يرى ذلك جميع من يحضر مجلسه وكان إذا غضب يتكلم فى
حسن الخلق حتى يسكن غضبه .

ويرى أن الفقير الصادق الذى يكون كل وقته بحكمة ، فإذا ورد
عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وسئل عن
العبودية فقال : ترك مالك والتزام ما أمرت به .
توفى سنة ٢٧٠هـ وقيل سنة ٢٦٧هـ .

أبو زر الغفارى

صحابى جليل رفض الألام قبل نزول الشرع والأحكام ، أول من
حى الرسول بتحية الإسلام ، أول من تكلم فى علم البقاء والفناء ومن
كلامه : « تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى
وتتركون ما يبقى ، الا حبذا المكروهان الموت والفقر ، وقوله « نفس
الإنسان مطيته أن لم يرفق بها لم تبلغه . وكان من أخوف الصحابة
وأكثرهم تفكيراً فى شأن المعاد ، لا يدخر قوتا لغد ، ولا يعمر ما

أفهم من داره ويقول رب المنزل لا يدعنا فقير فيه إلا قليلا مات رضى
الله عنه سنة ١٢٢ هـ .

أبو القاسم البغدادي

هو أبو القاسم بن محمد بن الجنيد البغدادي ، اشتهر بلقب سيد
الطائفة الصوفية وأحيانا شيخ الطائفة . نشأ بالعراق وقال عنه صاحب
الرسالة القشيرية أنه كان فقيها على مذهب الإمام أبي ثور بلغ في
التصوف مبلغا جليلا ، ومن أقواله :

«إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره على حسب ما تخلص
إليه القلوب فأنظر ماذا خالط قلبك» .

ويقول عنه السلمي في طبقاته : لم يكن في وقته أحسن طريقة
منه ، ولا ألطف كلاما . سئل عن التصوف فقال قولته المشهورة : ليس
التصوف رسوما ولكنه أخلاق ، صحب ذا النون المصري وسرى
السقطي وبشر بن الحارث وغيرهم وقيل أنه أول من تكلم في الفناء
والبقاء ، توفي رضى الله عنه سنة ٢٩٧ هـ وقيل سنة ٢٩٥ هـ .

أبو حنيد بن المشري

ذكر في الطبقات الكبرى للإمام الشعراني أن اسمه شبيب وولده
مدين وأد بالمغرب وكان من أعيان مشايخها ودفن بمصر بجامع
الشيخ عبدالقادر الدشوطي ببركة القرع .

من كلامه رضى الله عنه «ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه
إليها سجد عن غيرهما» قيل له مرة : أحقيقة سرك حقيقة سرك في
توحيدك ، فقال : «سرى مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلهية التي
لا ينفي عنها لغير أهلها ، إن الإشارة تعجز عن وصفها وأبت العبارة
الإلهية إلا أن تستعاض بها أسرار موصولة بالوجود لا يتركها إلا من

كان بطلته مفعولاً ، يأتى من عالم الحقيقة ويسرى ، رزاً ، بقايتها في الحياة الأبدية ، وهو يسرى جازى في انشاء الكون يسرى من سرادقات الجبروت ، وقد تخلق بالاسماء والذات ، ونفى عنها بمشاهدة الذات ، هناك قرارى ورائى ، وقرة عينى وممكنى ، والحق تعالى فى غنى من الكل ، قد أظهر فى وجودى بدائع قدرته ، وأقبل على بالحفظ والتوفيق ، وكشف لى عن مكنون التحقيق ، فحياتى قائمة بالجدانية ، وإشارتى إلى الفردانية ، قروى راسخ فى علم الشيب ، يقول لى مالكى ياشعيب ، كل يوم جديد على العبيد ولدينا مزيد» رضى الله عنه .

أبوزيد البسطامى

هو أبوزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ، وكان جده سروشان مجوسيا فأسلم وكان لطيفور أخوان هما آدم ، وعلى ، والثلاثة من الزهاد العباد أصحاب الأحوال وسمى بالبسطامى نسبة إلى أهل بسطام وهى بلدة قريبة من نيسابور .

ويحكى البسطامى عن نفسه أنه فى ابتداء أمره اخطأ فى أربعة أشياء بالنسبة لله تعالى فيقول : توهمت أنى أنكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته تقدمت معرفتى ، ومحبته أقدم من محبتى ، وطلبه لى أولاً حتى طلبته .

ونصح مرة تلاميذه قائلاً : إذا صحبتك إنسان وأساء عشرتك فادخل عليه بحسن أخلاقك يطب عيشك ، وإذا أنعم عليك فابدأ بشكر الله عز وجل ، فإنه الذى عطف عليك القلوب ، وإذا ابتليت فاسرع بالاستعانة بالله فإنه القادر على كشف ما ابتليت به دون سائر الخلق .

وسئل ما علامة العارف فقال «الا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره (تعالى) وقد ورد قوله : «لا يعرف نفسه من صحبتته شهوته ، وقد عرفت الله بما دون الله بنور الله عز وجل ، مات رضى الله عنه سنة ٢٦١ هـ .

أحمد البدوي

شهرته قضي عن قهره .

ولد بمدينة فاس بالمغرب ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه يقول له فى منامه : «يا على انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فان لك فى ذلك شأنًا» ، وكان ذلك سنة ثلاث وستمئة فرحل إلى مكة مع إخوته . وفى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمئة رأى فى منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له : قم وأطلب مطلع الشمس فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس ، وسر إلى طنطا فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق ثم إلى مصر حتى وصل مدينة طنطا ومات رضى الله عنه سنة ٦٧٥ هـ .

أحمد الرفاعي

هو أحمد بن أبى الحسين الرفاعي ، انتهت إليه فى زمانه الرياسة فى علوم الطريق ، شرح أحوال القوم وكشف مشكلات منازلهم ، ومما ذكره الشعراى عنه فى طبقاته قوله : الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله والمتوكلين على الله فمن لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شئ مما بعده .

وقوله : إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين ، وإذا صلح القلب

أخبرك بما وراءك وأمامك ونبيوك على أمور لم تكن تعلمها بشيء برية
وإذا فسد حديثك بباطل يغيب حجة الرشيد وينتفي مع السعد .

وكان رضى الله عنه يقول من لم ينتفع بأفعالي لم ينتفع بأقوالى
توفى سنة ٥٧٠ هـ .

الحسن البصرى

كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ، وقال : ما الدنيا كلها من أولها
إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى فى نومه ما يحب ثم انتبه .

ومن أقواله « الدنيا عمل من صاحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد
بها ونفعته صحبتها ، ومن صاحبها برغبة ومحبة شقى بها وأسلمته إلي
مالا صبر له عليه .

وكان رضى الله عنه إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا ، وإذا تكلم
تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تخلق إلا له . توفى سنة
١١٠ هـ .

الفضيل بن عياض

هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى .

من كلامه : « أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله عز
وجل » « أصل الزهد الرضا عن الله تعالى » . وسئل عن التواضع فقال :
« أن تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه » .
« من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه ، وأضممر العداوة والبغضاء ،
لعنه الله ، فأصممه وأعدى بصيرة قلبه » . توفى رضى الله عنه سنة
١٨٧ هـ .

أفصى بن مالك

أخذ رضي الله عنه العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين ، كان يقول : « ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يضيئه الله تعالى في القلب » .

وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخّر وتطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم ويسئل رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فغرق وأطرق وصار ينكت يعود في يده ثم رفع رأسه وقال : « كيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

ويذكر الشعراني في طبقاته أنه ولد سنة ٧٣هـ . ومات سنة ١٧٩هـ . ودفن بالبقيع .

أويس القرني

ذكر في كتب الطبقات ، ويروي أن النبي ﷺ ذكره لأصحابه وأوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كان من أكابر زهاد التابعين دائم الخشوع لله لا يكاد يرى للناس إلا مرة أو مرتين في العام الواحد ، وكان مشغولا بخدمة أمه ، فلم يلتق رسول الله ﷺ مع معاصرتة له وكان أكثر الناس زهدا وورعا ، لم تذكر كتب الطبقات تاريخ وفاته . لكنه عاش في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

هو أبو بصير

هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هاذل ابن ماهان بن عبد الله الحافي أوردته السلمي في طبقاته ومما ذكره من أقواله قوله :

«الرجل الذي يترك الدنيا ويترك الناس
يترك ما كان يتركه الناس من الدنيا»
[رواه الشيخان]

«الدعاء ترك الأنس» ، توفي رحمه الله سنة ١٠٠٠ هـ

حبيب العجمي

كان من أبناء الملوك ، فأنقذته العناية الربانية فصار من أهل
السلوك واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار تصدق بها ، له
كرامات كثيرة منها أنه كان يرى بالبصرة يوم الترويه ويعرفه عشية
عرفة .

من أقواله : لا قرّة عين لمن لم تقر عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح
بك ، وعزتك أنت تعلم أنى أحبك .

وقال : من أوقفه الله في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف
العروس إلى بعلها» لم تذكر كتب الطبقات وفاته إلا أنه توفي في
النصف الثاني من القرن الثالث الهجري .

حسن العراقي

كان يتردد على الشعراني وهو شاب قد رحل من دمشق ، ثم
ذكر عنه الشعراني في طبقاته أنه كان يجتمع يوما في الجسعة على
اللهو واللعب والخمر حتى جاءه التنبيه من الله تعالى يوما : ألهذا
خلقت ؟ فترك ما كان عليه وأصبح من أهل الطريق ، وكان إذا جاءه
شخص بجوخة أو ثوب صوف يأخذ السكين ويشرحها سيورا ثم
يخيطها بخيط دارج ومسلّة ويقول أن نفسي تسيل إلى الأشياء
الجديدة ، فإذا قطعتها لم يبق عندي ميل . توفي رحمه الله سنة
١٠٠٠ هـ وثلاثين وستمائة من الهجرة .

سفيان الثوري

كان سيد أهل زمانه علما وورعا قال عن التصوف : براءة في المعارف وبلاغة في المخاوف ومن أقواله «من عرف الله تحقق في التوكل وتشوق إلى التنقل» ، وقال «التوكل هدو الضمير عند هجوم التقدير» . إذا عرفت نفسك فلا يضررك ما قيل فيك» . ومن كلامه «لا يتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب ولو عشرين سنة» . توفي رضى الله عنه سنة ١٦١هـ .

سرى السقطى

هو أبو الحسن سرى بن المفلس السقطى ويقال عنه أنه خال الجنيد شيخ الصوفية وأستاذه ، وقد صحب معروفا الكرخى ، كما يقال أنه أول من تكلم فى بغداد فى لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، ويعد السرى السقطى رضى الله عنه أمام البغداديين وشيخهم فى وقته ، وإليه ينتسب أكثر مشايخ الصوفية .

سمعه الجنيد مرة يقول : «أعرف طريقا مختصرا يوصل إلى الجنة . فقال : ما هو فقال السقطى : لا تسأل أحد شيئا ، ولا تأخذ من أحد شيئا ، ولا يكن معك شيئا تعطى منه أحد . وله أقوال جليلة ، وحكم رائدة .

يقول السقطى : أحسن الأشياء خمسة ، البكاء على الذنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علام الغيوب ، وجملاء الغبن من القلوب ، وألا تكون لكل ما تهوى مركوب .

ويقول أيضا أربعة أشياء لا يسكن فى القلب معها غيرها ، الخوف من الله وحده ، والرجاء لله وحده ، والحب فى الله وحده ، والانس بالله وحده . مات رضى الله عنه سنة ٢٥١هـ .

رحمة الله تعالى على من أتى به من بعده

كان إقامه رضى الله عنه بريف مصر ، وكان شيخاً جليلاً زاهداً له مصنفات كثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف من غير ذلك .

طلب منه جماعة من الفقهاء كرامة فقال لهم : « يا أبا عبد الله رضى الله عنه كرامة أمثال من أن الله تعالى وبك بنا ، فمصر وام يمشى بها . » استجابوا له . مات رضى الله عنه سنة ١٩٧ هـ . ودفن بديره .

عبد الله بن يحيى الزاهد

هو شيخ الطريقة النادرية أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ، ويرتفع نسبه إلى الحسن بن علي رضى الله عنهم أجمعين وكان مؤيد بالكرامات منذ ميلاده إذ قيل عنه أنه كان لا يرضع ثدى أمه فى نهار رمضان .

وهما ذكره الشعرانى فى طبقاته عنه قوله عن الحلاج : « لم يكن فى زمانه من يأخذ بيده » وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابه ومريدى ومحبيه إلى يوم القيامة أخذ بيده .

ورد عنه قوله : من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الآخرة . توفى رضى الله عنه سنة ٥٦١ هـ .

عبد الله المنوفى

رجل صالح ، عابد ، زاهد ذو كرامات كثيرة .

مات فى السابع من رمضان سنة ٧٤٨ هـ ودفن تجاه قبر السلطان قايتباى وكان يوماً مشهوداً حيث حضر جنازته نحو من ثلاثين ألف رجل .

عتبة الغلام

سمى بالغلام لأنه كان فى العبادة كأنه غلام لا لصغر سنه .
كان يأوى إلى المقابر والصحارى ويخرج إلى السواحل فيقيم فيها
فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة ، فيشهد الجمعة ثم يأتى إخوانه ،
فيسلم عليهم وكانوا يشبهونه فى الحزن بالحسن البصرى . مات
رضى الله عنه شهيداً فى قتال الروم .

صحاء السلمي

يروى عنه الشعرانى فى طبقاته .
أنه مكث أربعين سنة على فراشه من الحزن والخوف حتى أنه لم
يستطع القيام من على فراشه والخروج من بيته ، كان رضى الله عنه
يبكى الثلاثة أيام بلياليهن لا يسكن له دمع إذا بكى يرى حوله بلل يظن
أنه من أثر الوضوء ، وإنما هى دموعه ، وإذا خرج إلى جنازة يغشى
عليه فى الطريق مرات ويخر من على الدابة ثم يرجع .
وكانت كل بلية نزلت بالناس يقول : «هذا كله من أجل عطاء لو
مات استراح الناس منه» .

على الخواص

أستاذ عبدالوهاب الشعرانى ومعلمه يقول الشعرانى عنه أنه كان
أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة
المشرفة كلاماً نفيساً ، وكان يعامل الناس على ما فى قلوبهم لا على
حسب ما فى وجوههم ومر عليه مرة شخص من الفقراء والنور يخفق
من وجهه ، فنظر إليه الشيخ فقال اللهم اكفنا سوء ، ان الله إذا أراد
بعبده خيراً جعل نوره فى قلبه ، وإذا أراد به سوء أظهر ما فى قلبه
على وجهه .

ومن أقواله «إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يترأس على أحد من المخلوقين لأنه يرى الوجود لله» .

وقوله «من طلب دليلاً على الوجدانية كان الحمار أعرف منه بالله» . توفى رضى الله عنه سنة ٩٥٣هـ .

على النبتيتى الضرير

كان مقيماً ببلدة نبتيت بنواحي الخانقاه السرياقوسية . وكان يجتمع بالخضر عليه السلام وذلك أول دليل على ولايته فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية سمعه الأمام الشعرانى : يقول : لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال ، فإن لم تجتمع فيه لم يجتمع به قط ولو كانت عبادة الملائكة . الخصلة الأولى أن يكون أمين على سننه فى سائر أحواله ، والثانية أن لا يكون له حرص على الدنيا ، والثالثة أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام ، لا غل ولا غش ، ولا حسد . توفى فى يوم عرفة سنة ٩١٧هـ ودفن ببلده .

على نور الدين المرصفى

كان من الأئمة الراسخين فى العلم واختصر رسالة القشيري وتكلم عن مشكلاتها ، ويذكر عنه الشعرانى أقواله ، ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه وهجره له ، بل ذلك من سوء الأدب ، وقوله لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبداً إذا لطمه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى المرید فانه طبيبه .

إذا تكلم فى دقائق الطريق وحضر أحد من القضاة فإنه ينقل الكلام إلى مسائل الفقه . إلى أن يقوم من كان حاضرا ، ويقول ذكر

الكلام بين غير أهله عبوة . مات رضى الله عنه سنة ثلثين وتسعمائة .

صالح بن هينان

ذكره المناوى فى الكواكب الدرية على أنه كان قدوة صالحة فى معرفة التصوف يشار إليه فى المحافل بينان التقدم والتعرف ومن أقواله : « بقدر ما تحزن الدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك » وسئل عن لبس الصوف فقال : أما أنا فلا أصليح له لأنه يطلب صفاء . وقال من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وسمى قلبه وضيع عمره » ومن كلامه خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيب شئ فيها وهو معرفة الله توفى رحمه الله سنة ١٨١ هـ .

محمد بن أحمد بن سعيد

اشتهر بابن عبدالدائم المدينى وكانت مجاهداته فوق الحد فظهر صدقه مع تلامذته كما يورد الشعرانى فى طبقاته ومن تلامذته سيدى محمد أبو الحماثل السروى والشيخ نورالدين الحسينى والشيخ نورالدين على المرصفى وعندما أقبل عليه الناس طردهم بالقلب فلم يلتف حوله فقير ، وكان رضى الله عنه يقول : شبعنا كلاما وقال وقيل فى هذه الدار وما بقى إلا القدوم على الواحد الأحد .

محمد بن حنان

ويقول الشعرانى فى ترجمته له : « كان رضى الله عنه من الزهاد العباد ما كنت أتمنئ فى أحواله إلا كطاوس اليمانى أو سفيان الثورى وما رأيت فى عصرنا مثله ، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال فى حجر مربيهم » .

ولم يكن يعجبه أحد فى زمانه يصلح للطريق ويقول هؤلاء يستهزئون بطريق الله ولم يلحق أحد قط الذكر غير الشيخ أحمد النجدى إذا جاءه بالمصحف وقال أقسمت عليك بصاحب هذا الكلام إلا لقنتنى الذكر ، ففشى على الشيخ رضى الله عنه من قسمه عليه بالله عز وجل ، ثم لقنه وقال يا ولدى الطريق ما هى بهذا إنما هى باتباع الكتاب والسنة توفى رضى الله عنه سنة ٩٢٢هـ .

محمد السروى

وهو المشهور بأبى الحماثل ، أحد الرجال المشهورين بالهمة والعبادة ، إذا غلب عليه الحال يتكلم بلغات أجنبية كالعبرانية والسريانية والعجمية ولا يقرب من أحد إلا بعد تكرار امتحانه بما يناسبه وكان يكره أن يقوم المرید بقراءة حزب للشاذلية أو أحزاب غيرهم ويقول «ما رأيناه أحد وصل إلى الله بمجرد قراءة الأحزاب والأوراد وكان يقول نحن ما نعرف إلا لا إله إلا الله بعزم وهمة ومن أقواله «مثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس أشتغل بالدعاء ليلا ونهارا راجيا من الله تعالى أن يزوجه ابنة السلطان . توفى رضى الله عنه سنة ٩٣٢هـ .

محمد الشربيني

شيخ طائفة الفقراء بالشرقية من أرباب الأحوال والمكاشفات حتى أنه كان يصف سائر أقطار الأرض وكأنه أحد سكانها وكان يخرج من بلدة شربين كل ليلة من المغرب لا يرجع إلى الفجر لا يعلمون إلى أين يذهب . توفى قبل التسعمائة والعشرين من الهجرة .

صحة الحديث المذكور

يذكر الشهابي في طبقاته أن الشهابي قد خرج مع ذلك ورواه عن
من الأولياء الراسخين في العلم أهل الانساب ، وكان ، وكان
الله عنه يقول ما دخلت على فقير إلا وأتظر نفسي ، إلى أن يرى ،
وما أمتحت قط فقيرا ، وهو الذي أبطل البدع التي كانت تظهر في
مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه من نهب امتعة الناس وأكل
أموالهم ، وأرشدتهم إلى أن ذلك حرام ونهاهم عن أخذ الأموال من
بغير طيبة نفس من طنطا وضواحيها ، والتي كانت في تصورهم من
الأموال الحلال باعتبار أن تلك البلاد هي بلاد سيدي أحمد وأنهم من
فقرائه . ومن ذلك الحين أبطلت تلك البدع . توفي رضي الله عنه سنة
٩٣٢ هـ .

محمد الغمري

من العلماء العاملين والفقراء الزاهدين المحققين ، سار في الطريق
إلى الله سيرة صالحة ، وكان رضي الله عنه يقول وخدمت عند سيدي
أحمد البدوي رضي الله عنه مدة في البوابة ومدة للوقادة ومدة في
النقابة ، وكان قد قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام الكهول والشباب
والأطفال ، وجعل لكل قسم مكانا يخصه ولا يختلط بالآخر وكانوا لا
يجتمعون إلا يوما واحداً في الجمعة فيتناقشون فيما وقع بينهم في
بقية الجمعة لأنه كان أخذ عليهم العهد أن لا يجيب أحد عن نفسه قط
إذ وقع له مكروه بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما
يشاء من حيث أنهم كانوا يرون نفوسهم ملكا للشيخ يفعل فيهم ما
شاء وهم أوصياء على أجسامهم ، سينتصرون لها من حيث أنها
مضافة إلى الحق ، وما كان أحد منهم يتذكر قط مما ينسبه الشيخ عنه
من ضحك أو أخرج أو ضرب أو جرح أو قهر ، ذلك بل كانوا يرون

الفضل للشيخ ولن غمز عليهم فى ذلك لمكان صدقهم فى طلب الأدب .
توفى سنة ٨٥٠ هـ .

صحيى الدين بن عربى

خصه أصحاب الطبقات بالولاية الكبرى ولقبه الشيخ أبو مدين
رضى الله عنه بسلطان العارفين ، وكلامه رضى الله عنه أول دليل على
مقامه الباطن وكتبه الكثيرة المشهورة تشهد بذلك .

يذكر الشعرانى فى طبقاته عنه أنه كان يكتب الإنشاء لبعض
ملوك العرب ثم تزهد وتهيد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم
وله فى كل بلد دخلها مؤلفات وكان الشيخ عز الدين عبدالسلام شيخ
الإسلام بمصر يحط عليه كثيراً ، فلما صحب ابن عربى الشيخ أبا
الحسن الشاذلى رضى الله عنه وعرف أحوال القوم ، عرف الشاذلى
علو شأنه وسلم بترجمة بالولاية والعرفان والقطبية . مات رضى الله
عنه سنة ٦٣٨ هـ .

نور الدين الشافى

يذكره الشعرانى فى طبقاته على أنه شيخه ووالده وقدوته ، كما
يذكر أنه خدمه خمسة وثلاثين سنة فلم يتغير عليه يوماً واحداً ، ولد
بطنطا وتربى بمسجد سيدى أحمد البدوى حيث أنشأ فيه مجلساً
للمصلاة على رسول الله ﷺ ثم انتقل إلى الجامع الأزهر وعمر فيه نفس
المجلس ، وتفرغت عنه مجالس الصلاة على النبى ﷺ فى فروع كثيرة
بالمعمورة . توفى رضى الله عنه سنة ٩٤٤ هـ .

يوسف الحبشي الكوراني

أول من أحيى طريقة الشيخ الجنيد رضى الله عنه بمصر بعد اندراسها ، لبس الخرقة عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني وعن الشيخ بدرالدين حسن الشمشيري وتلقن الذكر وهو « لا إله إلا الله » رضى الله تعالى عنهما ، وهى سلسلة الشيخ الجنيد رضى الله عنه .

أبرز بمصر الكرامات والخوارق وكانت طريقته التجريد إذ يخرج كل يوم فقيراً من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار فمهما أتى به يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائناً ما كان .

مات فى زاويته بالقرافة الصغرى فى يوم الأحد نصف جمادى الأولى سنة ٧٧٨ هـ .



فهرست الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٩	تصدير
١٦	سيرة الشعراني
٢٠	شيوخه
٢٣	زهد الشعراني
٢٤	كتبه
٢٦	وصف المخطوط
٢٧	حالة المخطوط
٢٨	نسبة المخطوط للشعراني
٣١	بداية المخطوط
٣٣	(١) التبحر في علوم الشريعة
٣٥	(٢) صوم المريد
٤٣	(٣) طلب الشيخ المربي
٤٥	(٤) تعظيم الشيخ
٥٤	(٥) طاعة الشيخ
٥٦	(٦) احتمال المريد الأذى
٥٦	(٧) المواظبة على مجلس الذكر
٥٨	(٨) المحافظة على حرمة الشيخ
٦١	(٩) عدم التكلم بجاه الشيخ

٦٤	(١٠) الصبر على عوائق الطريق
٦٤	(١١) ملازمة الأوراد
٦٥	(١٢) الانشغال بالله
٦٥	(١٣) تحمل الجوع
٦٦	(١٤) الأخذ بالاجتهاد
٦٦	(١٥) المداومة على القرآن
٦٧	(١٦) التصديق بالثوب
٦٨	(١٧) استحسان التنقيص لهم
٦٨	(١٨) ذكر مناقب أخوانهم
٦٩	(١٩) حبهم لتلاميذ شيخهم
٦٩	(٢٠) كراهية من يكره شيخهم
٧٠	(٢١) مقاسمة أخوانهم لأموالهم
٧٠	(٢٢) مقاسمة أخوانهم فى حسناتهم
٧٠	(٢٣) الشكر على النعم
٧٠	(٢٤) كراهيتهم لأهل المعاصى
٧١	(٢٥) محبة من يكرهم
٧١	(٢٦) اهتمامهم باصلاح أخيهام العاص
٧٢	(٢٧) عدم الدعاء على عدوهم
٧٢	(٢٨) كراهيتهم للغيبة
٧٣	(٢٩) شهودهم لأنفسهم أقل من غيرهم
٧٤	(٣٠) شهودهم للفسق فى أنفسهم

- ٧٥ (٣١) محبتهم لنداء أسمائهم مجردة
- ٧٥ (٣٢) عدم الحسد لآخوانهم
- ٧٦ (٣٣) شهودهم الفعل من الله
- ٧٦ (٣٤) عدم اغترارهم بحالهم
- ٧٧ (٣٥) حزنهم على وفاة من أذاهم
- ٧٨ (٣٦) تحمل هموم آخوانهم
- ٧٩ (٣٧) لوم أنفسهم
- ٨٠ (٣٨) الحلم مع جار السوء
- ٨٠ (٣٩) عدم التعلق بالأكابر
- ٨١ (٤٠) رفع مقام آخوانهم فوقهم
- ٨٢ (٤١) فداء العلماء بأنفسهم
- ٨٣ (٤٢) كراهية اظهار نقائص الغير
- ٨٣ (٤٣) مسامحتهم لمن اغتابهم
- ٨٤ (٤٤) شفاعتهم لمن اغتابهم
- ٨٤ (٤٥) مسامحتهم للأمة المحمدية
- ٨٥ (٤٦) مراقبة الله بقلوبهم
- ٨٦ (٤٧) الاستعداد قبل الانخراط فى الطريق
- ٨٧ (٤٨) رياضة النفس
- ٨٨ (٤٩) مراقبة الشيخ
- ٨٨ (٥٠) مخالفة الهوى
- ٨٩ (٥١) حفظ القلب مع الشيخ

- ٩٠ (٥٢) عدم ازدواج الشيوخ
- ٩٠ (٥٣) عدم الخروج عن أحكام الشرع
- ٩١ (٥٤) الشدة مع النفس
- ٩٢ (٥٥) حب الليل
- ٩٣ (٥٦) التقيد بظاهر الكتاب والسنة
- ٩٤ (٥٧) العزوف عن الشهوات الدنيوية
- ٩٤ (٥٨) أخذهم بعزائم الأمور
- ٩٥ (٥٩) كتمان الأعمال الصالحة
- ٩٦ (٦٠) الأقبال على العبادات [غير الفرائض]
- ٩٦ (٦١) عدم زواج المريد المبتدئ أكثر من واحدة
- ٩٨ (٦٢) عدم النوم في بيت فيه جنب
- ٩٨ (٦٣) عدم النوم إلا عن غلبة
- ٩٩ (٦٤) عدم تعلق أحدهم من وقوعه في الشدائد
- ١٠١ (٦٥) مخالفة هوى النفس
- ١٠٢ (٦٦) عدم الإقامة في موضع يعتقد الناس فيه
- ١٠٣ (٦٧) السفر للبحث عن الشيخ
- ١٠٣ (٦٨) الصبر عند جفاء الشيخ
- ١٠٥ (٦٩) التنزه عن طلب الوظيفة في زاوة الشيخ
- ١٠٦ (٧٠) مجاوزة العقبات الثلاث
- ١٠٧ (٧١) غنى النظر عن رؤية الصور المستحسنات
- ١٠٨ (٧٢) العمل بكل خلق سماعه من أهل الطريق

- ١٠٨ (٧١) أخبار الشيخ بالمعصية
- ١٠٩ (٧٤) عدم أخذ الأجر إلا عند الضرورة
- ١١٠ (٧٥) عدم الأكل من كسب امرأة
- ١١١ (٧٦) التباعد عن أبناء الدنيا
- ١١٢ (٧٧) عدم الرضى عن النفس
- ١١٣ (٧٨) عدم الأكل بالدين
- ١١٤ (٧٩) محبتهم لنسبة الخير إلى غيرهم
- ١١٤ (٨٠) عدم احتقارهم لمن كان قليل العبادة
- ١١٥ (٨١) التحفظ من دخول مقام التوحيد ذوقا
- ١١٧ (٨٢) محبتهم لتحجير الشيخ عليهم
- ١١٧ (٨٣) التجرد عن الدنيا
- ١١٨ (٨٤) عدم الخروج على الأئمة
- ١١٨ (٨٥) عدم النظر إلى زينة الدنيا
- ١٢٠ (٨٦) عدم الأكل إلا عند شدة الجوع والعطش
- ١٢٠ (٨٧) تفتيش النفس كل ساعة
- ١٢١ (٨٨) عدم رؤية النفس أعلى من الفسقة
- ١٢١ (٨٩) عدم تصدريهم لإزالة منكرات عصرهم
- ١٢٢ (٩٠) عدم التكدر من عدم الإذن لشيخه له
- ١٢٣ (٩١) الجدة فى كل أمر
- ١٢٤ (٩٢) الفرح عند الخسارة فى التجارة
- ١٢٥ (٩٣) إزالة الخجل من جليسهم

- ١٢٦ (٩٤) عدم مطالبة الشيخ بالإجابة
- ١٢٦ (٩٥) عدم الاغترار بطول صحبة الشيخ
- ١٢٨ (٩٦) عدم القناعة في الحضور مع الله
- ١٢٩ (٩٧) كثرة العمل على جلاء القلوب
- ١٢٩ (٩٨) كثرة الندم على فوات مجلس الذكر
- ١٣٠ (٩٩) الحذر في أمر الدين
- ١٣٠ (١٠٠) محبة الفقهاء
- ١٣١ (١٠١) عدم ترك المأمورات الشرعية
- ١٣٢ (١٠٢) التفاؤل وعدم التطير
- ١٣٣ (١٠٣) كثرة النظر في أخلاق الشيخ
- ١٣٤ (١٠٤) محبة من يحب الشيخ
- ١٣٥ (١٠٥) تقدم ذكر الله على غيره
- ١٣٥ (١٠٦) الحذر من مباسطة الشيخ
- ١٣٦ (١٠٧) كراهة تقبيل الناس لأيديهم
- ١٣٧ (١٠٨) عدم الانشراح بالرؤيا الحسنة إلا عن استقامة
- ١٣٨ (١٠٩) مداومة الذكر المأمور به
- ١٣٨ (١١٠) رؤية الذكر المأمور به أفضل من الاشتغال بغيره
- ١٣٩ (١١١) الرحمة بالعالم كله
- ١٣٩ (١١٢) الحذر في معرفة كلام الشيخ
- ١٤٠ (١١٣) عدم الدخول على الشيخ إلا للخدمة وطلب النصيح
- ١٤٠ (١١٤) عدم رؤية مقامه في المجلس أعلى من غيره

- ١٤١ (١١٥) عرض صحيفته يوميا على شيخه
- ١٤١ (١١٦) اللوم عند رجوع الثياب المباعة
- ١٤٢ (١١٧) التصديق بدل الاقراض
- ١٤٢ (١١٨) عدم الالتفات إلى الوراء عند السير
- ١٤٣ (١١٩) التصديق باعراضهم على العالمين
- ١٤٤ (١٢٠) عدم ازدراء خلق الله
- ١٤٥ (١٢١) عدم التصديق لقضاء حاجات الناس إلا بعد الرياضة
- ١٤٦ (١٢٢) القناعة باليسير
- ١٤٦ (١٢٣) الشكر في السراء والضراء
- ١٤٧ (١٢٤) تنظيف القلوب
- ١٤٧ (١٢٥) غلبة الرجاء عليهم
- ١٤٨ (١٢٦) طرح الميل إلى الكونين إلا عند الضرورة
- ١٤٩ (١٢٧) التبعاد عن حاجات النفس
- ١٤٩ (١٢٨) العمل على تحصيل الحضور مع الله
- ١٥٠ (١٢٩) زيادة الاحترام لإخوانهم الضعفاء
- ١٥١ (١٣٠) لبس المرقع تواضعا لا تميزا
- ١٥٣ (١٣١) المجاهدة في عدم أكل اللذيذ من الطعام مع السعة
- ١٥٤ (١٣٢) بذل الجهد لحضور القلب في الورد
- ١٥٤ (١٣٣) الاحسان إلى الضعفاء في الظاهر والباطن
- ١٥٥ (١٣٤) الاحسان لمن صحبهم
- ١٥٦ (١٣٥) سؤال الله الحفظ من الخطايا مع الحفظ من العجب

- ١٥٧ (١٣٦) عدم الاعتراض لتصدق شيخهم على غيرهم
- ١٥٨ (١٣٧) امتثال النشد لأمر شيخه
- ١٥٩ (١٣٨) خفض الجناح لطلبة العلم
- ١٦٠ (١٣٩) عدم التظاهر بالأخلاق المندرسية خوف الفتنة
- ١٦١ (١٤٠) الحلم على الظالم
- ١٦٤ (١٤١) طلبهم صلاة الجنازة عليهم لمن عرف نواقصهم
- ١٦٥ (١٤٢) عدم الشعور بالفضل على من تصدقوا عليه
- ١٦٦ (١٤٣) الدعاء للإكابر والأمراء
- ١٦٦ (١٤٤) سد باب الإنكار على شيخهم
- ١٦٧ (١٤٥) تزكية الإخوان في غيبتهم
- ١٦٧ (١٤٦) الحذر من الوقوع سرا في المعصية
- ١٦٨ (١٤٧) كتمان الفقر والغنى
- ١٦٨ (١٤٨) الإكثار من عمل الآخرة
- ١٦٩ (١٤٩) عدم الخوض في أعراض الموتى
- ١٦٩ (١٥٠) جلاء القلوب من الشهوات
- ١٧٠ (١٥١) اتخاذ النقباء من الكهول
- ١٧١ (١٥٢) صحبة الولاة في الخير
- ١٧٣ (١٥٣) تفويض الأمر لله
- ١٧٣ (١٥٤) العمل على تحصيل محبة الله تعالى
- ١٧٤ (١٥٥) الحكم بالعدل بين الفقراء
- ١٧٥ (١٥٦) تنقية الأعمال من الشوائب

- ١٧٥ (١٥٧) عينا المنصية
- ١٧٦ (١٥٨) ذكر أمراضه للشيخ
- ١٧٨ (١٥٩) عدم فضح الفقراء
- ١٧٩ (١٦٠) التنفير من صحبة الولاة
- ١٧٩ (١٦١) تهذيب أخلاق الأخوان
- ١٨١ (١٦٢) عدم قبول الهدية عند الشبهات
- ١٨٢ (١٦٣) عدم طلب الثواب على العدل
- ١٨٣ (١٦٤) إعانة الملهوف
- ١٨٤ (١٦٥) عدم عتاب الخدم
- ١٨٤ (١٦٦) عدم إختبار الشيوخ
- ١٨٥ (١٦٧) تعليم الولاة الأدب
- ١٨٦ (١٦٨) تعظيم المحتمل للأذى
- ١٨٧ (١٦٩) رد المنكرين الكتاب والسنة
- ١٨٧ (١٧٠) التعفف عن أموال الناس
- ١٨٩ (١٧١) تعليق على المخطوط
- ١٩٠ (١٧٢) نظرة المسلم الحياتية
- ١٩١ (١٧٣) الصوفية والباطنية
- ١٩٣ (١٧٤) الإسلام والمسلم
- ١٩٤ (١٧٥) فلسفات الأخلاق المعاصرة
- ١٩٥ (١٧٦) حشاشة القلب
- ١٩٦ (١٧٧) الشعراني كباحث

١٩٧	(١٧٨) الشعرانى رائد الدراسات الأنثربولوجية
١٩٨	(١٧٩) المعرفة الذوقية
٢٠٠	(١٨٠) إضافة المعامل الروحى
٢٠١	(١٨١) الغرض العلمى والنتائج
٢٠٢	(١٨٢) أهمية المخطوطات الإسلامية
٢٠٤	(١٨٣) الأخلاق واُضدادها
٢٠٥	(١٨٤) آفة الرياء
٢٠٧	(١٨٥) منهج الشعرانى الأخلاقى
٢١٧	(١٨٦) فهرس الأعلام

مطابع جريدة السغير

٤ شارع الصحافة - المنشية

ت : ٨٠٣٩٦٤

دارالمعارف — ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة
الناشر منطقة الاسكندرية ٤٢ ش سعد زغلول - ميدان التحرير (المنشية)

To: www.al-mostafa.com